هذا كتاب تشحيذ الأذهان
بسيرة بلاد العرب والسودان

لمؤلفه الاخ الصديق

محمد بن السيد

عمر التونسي

ابن سليمان

عفا

عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
يا من سير اقدام الانام بارادته السنية وجعل رحلة
الشتا والصيف بحكمته البهية نحمدك حمد من تلذذ بحلاوة
الراحة بعد مرار مشقة السفر ونشكرك شكر من تنعم
بالاقامة بعد كد الرحلة والكدر ونسئلك يا مالك الاملاك
بما قدرت من سير الكواكب فى الافلاك ان تهطل شآبيب
رحمتك ورضوانك وتنزل غيث صلاتك وسلامك
على افضل من ارتحل واقام وسافر من مكة الى الشام سيدنا
ومولانا محمد الشفيع يوم العرض فى المذنبين الذى
انزلت عليه قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة
المكذبين وعلى اله الذين رحلوا من اوطانهم فى حبه واصحابه

الذين

الذين هاجروا للمدينة رغبة في قربه وسلم تسليما كثيرا وبعد
فيقول الفقير الى رحمة ربه المنان محمد بن السيد عمر التونسي بن
سليمان لما وفقني الله تعالى لقراءة علوم العربية واترع كاسي
من بينها بالفنون الادبية حسبت من بني الادب وذويه
وعشيرته اناخ الدهر بكلكله على ما بيدي من العين فعاد
اثرا بعد عين وكانت همتي اذ ذاك مصروفة بتحصيل العلوم
وجمع المنثور منها والمنظوم وحين شاهدت معاندة
الزمان لمقتي تمثلت بقول العلامة الصفتي

من الكامل

هبطت ثريا النشار داتهمتي | وصعدت في العرفان كل سماء
وفهمت غيري في العلوم وانما | بيني وبين المال كل تناء
فعجبت اذ عقد اللواء لجاهل | والفقر عم عمائم الفقهاء

وصفرت الراحة وقرعت الساحة ومال المال وحال الحال
وغار المنبع ونبا المربع انشدت من مقالي على شرح
حالي شعرا

من الكامل

ما حيلتي ولذا الزمان متاعب | يوذي الشريف وللوضيع يصون
زمن له حرب على اهل التقى | بازايه حرب البسوس يهون
فتراه يرفع كل غمر جاهل | ويسيئ كل مهذب ويهين

وتمثلت بقول القائل

من الهزج

تبيت الاسد في الغابات جوعا ولحم الضان يلقى للكلاب
وخنزير ينام على حرير وذى علم ينام على التراب

ثم ناجتني القرونة ان اسئل من بعض الناس المعونة فتذكرت ان ليس كل احمر لحمة ولا كل ابيض شحمة وربما يريق الانسان ماء وجهه ولا يحظى بقصده وان اراقة ماء الحياة دون اراقة ماء المحيا سيما اذا وقع التعس و النكس وكان الطلب من نحس قال الشاعر

مجزو الرجز

لقلع ضرس وضنك حبس ونزع نفس وورد رمس
ولفح نار وحمل عار وبيع دار بربع فلس
وقود قرد و فرط برد ودبغ جلد بغير شمس
ونقد الف وضيق خسف وضرب الف بالف قلس
اهون من وقفة لحر يرجو نوالا بباب نحس

لا سيما وقد وجد على بعض الاحجار بقلم قدرة العزيز الجبار كل من كد يمينك وعرق جبينك وان ضعف يقينك اسئل الله يعينك فدخلت في خدمة من تزينت بلطائفه صفحات الايام ونارت بعوارفه حوالك الظلام ظل الله الظليل على

البلاد

البلاد والامصار حامي ذمار الاسلام وقامع الفجار من انام الانام
في وارف حلمه واحانه واذاقهم حلاوة الامن بنجدته وامانه

من الخفيف

ملك ماجد حليم كريم جوده ناسخ لكل الوجود
ناشر العدل وهو للجور طاو واقف في الاحكام عند الحدود
صالح الفعل صادق القول واف بوفا العهد منجز للوعود
همه القطع للفساد واصلا ح جميع البلاد والتمهيد
نحن من روض امن دولته في خفض عيش رطبه وظل مديد
ايها المالك الذي يحتمي عن حد اوصافه العلا بحدود
انت من حصن ربنا في امان من جيوش العدا وكيد الحسود

الا وهو فاتح الحرمين الشريفين بجيشه المنصور ومالك الاقطار
الشامية بابراهيم البطل الغضنفر المشهور امير المومنين
الحاج محمد علي باشا ولي النعم اعلا الله سرادق عز دولته وابد
ملكه بجده وصولته وكان اول خدمتي بوظيفة واعظ في الالاي
الثامن من المشاة وسافرت معه الى المورة وكابدت المشقات
وكنت قبل ذلك سافرت الى بلاد السودان ورايت فيها من
العجايب ما اذا سطر يكون كزهر بستان ثم استخدمت في
مدرسة ابي زعبل لتصحيح الكتب الطبية وخصصت منها

بتصحيح كتب الاجزاجية ومكثت على ذلك حتى اجتمعت
بابرع اهل زمانه حذاقة وفهما واذكى اهل عصره صناعة
وعلما معلم الكيميا الحكيم پيرون الفرنساوى وقرأ على كتاب
كليله ودمنه باللغة العربية فذكرت له بعض ما عاينته فى
اسفارى من العجايب البهية فحملنى على ان ازين وجه الدفتر
بايضاح ما شاهدته من العجايب واخبره بما حصل لى في
تلك الاسفار من الغرايب فامتثلت امره لما له علىّ من اليد
البيضا ورايت ان ذلك اجمل بى ايضا لقول صاحب المقصورة

من الرجز — انما المرء حديث بعده — فكن حديثا حسنا لمن وعى

فشرعت فى ابراز فرايدها من صدف الاذهان وكشف
حجاب خرايدها الحسان الى العيان وضممت لذلك من
النوادر ما سمعته من الثقات او نقلته من الكتب على سبيل
الاستطراد للمناسبات لتكون هذه الرحلة روضة يانعة
الازهار لمن تامل فيها وحديقة دانية الثمار لمن تصفح معانيها
ولم آل جهدا فى ايضاح معانيها للمتاملين ولم اتعمق فى غريب
اللغة ليسهل فهمها على السامعين ورتبتها على مقدمة ومقصد
وخاتمة وفى كل منها ابواب كما من الفهرسة وسميتها تشحيذ

الاذهان

الاذهان بسيرة بلاد العرب و السودان والله اسئل ان ينشر
عليها حلة القبول ويقيها شر حاسد يطعن فيما فيها من
المقول وكم من عائب قولا صحيحا وافته من الذهن السقيم على
انى وان اتقنتها وهذبتها وفي احسن قالب سبكتها لا
اقول انها عارية عن الخلل بريئة من الزلل لانى انما انا بشر من
الانسان محل للخطاء والزلل والنسيان لكن انما اتعوذ من
غمر يرمقها بعين الحسد ويندّد بانها من الخرافات عند كل
احد وهبنى قلت هذا الصبح ليل أيَعْمى المعالمون عن الضياء
فرحم الله امرء رأى الزلل فستره وشاهد الخلل فجبره ان تجد
عيبا فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا وبالله استمد
التوفيق الى اقوم طريق وهو حسبى ونعم الوكيل نعم المولى
ونعم النصير **المقدمة** وفيها ثلاثة ابواب **الباب**
الاول في السبب الباعث لرحلتى لبلاد السودان حكى
لى والدى عليه سحائب الرحمة والرضوان ان جده كان
من عظمآء اهل تونس وكيلا من طرف سلطان المغرب
المولى الاكمل الملك المظفر العادل المرحوم الشريف محمد
الحسنى فاجتمع له بذلك مال جزيل حتى صار من اغنى اهل

زمانه ولما مات كان قد خلف من الولد ثلاثة بنين فتنازعوا
تراث ابيهم وباعوا دارهم التي كانت تاويهم وسكن كل منهم
على حدته باولاده وزوجته فاتفق ان اباه كان من اهل العلم
جيد الخط ينسخ الكتاب فيبيعه بضعف ما يبيع به غيره وكان
يعرف صباغة الثياب بالالوان فكان ارفه اخوته معاشا واحسنهم
ارتياشا فاتفق له انه اشتاق لروية البيت الحرام وزيارة قبر
نبيه عليه السلام فباع بعض عقار كان له وتأهب للسفر واشترى
معه احرمة وطرابيش واعطاه الناس اموالا كثيرة يتجر لهم فيها
لما يعلمون من صدقه وامانته حتى انه وسق من السفينة
جانبا عظيما وحين توجه ودعه اخوانه حتى وصل الى السفينة
فركبها واقلعت بهم بريح طيبة ثم اختلفت الرياح على السفينة
حتى انهم اخذوا طريقا غير طريقهم وذلك انهم جاوا على طريق
رودس وبيناهم امنين مطمئنين اذ هبّ عليهم قاصف ريح
وكانوا اذ ذاك بجانب رودس فتلاطمت عليهم امواج البحر
وبُدّل الصفو بالكدر على حد قول الشاعر شعر

من البسيط

حسّنتَ ظنك بالايام مذ حسُنَت ولم تخف سوءَ ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي واغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وكان

وكان بسفينتهم خلل فلما تلاطمت عليها الامواج وسطت
عليها سطوة العجاج تحلل تركيبها وفسد ترتيبها وتفرقت
اجزاؤها وانفصلت افلاذها وغرق من فيها ولم ينج الا القليل
من راكبيها وكان ممن نجى معهم جدى المذكور فخلص بعد غص
الريق الى البلد المذكور

من الطويل
اذا سلمت هام الرجال من الردى فما المال الا مثل قص الاظافر

فمكث فى رودس مدة ونفعه فيها هميان كان فى وسطه فيه
بعض ذهب فكان ينفق منه مدة اقامته ثم اشترى زادا
وركب فى سفينة الى ثغر اسكندرية وكان ذلك ابان الحج
والذهاب الى العج والثج فتوجه فى الحال من غير اهمال الى ان
وصل الى تلك البقاع وبلغ مامولة جهد ما استطاع وكان
لسان حاله يقول قبل بلوغ المامول

من الرجز
ابرك الايام يوم قيل لى هذه طَيْبَة هذى الكُثُب
هذه روضة طه المصطفى هذه الزرقا لديكم فاشربوا

والياء فى هذى بدل عن الهاء ولما قضى ما وجب عليه وتملى
بزيارة الحبيب وصاحبيه افاق من دهشته وفاء الى
سكينته وافتكر فى ضياع ماله وتشتت حاله وافتضح من

دخوله الى تونس ذا عسر وفاقة بعد ان كان ذا يسر واناقة وكيف يصبر بعد الرفاهية على النكد ويراه على هذه الحالة اهل البلد وبما نذكر ما قد حدث اننشد على وجه الجد لا العبث

من الطويل

سأضربُ في الآفاق شرقا بغربها   واكسب مالا او اموت غريبا
فان تلفت نفسي فلله ردها   وان سلمت كان الرجوع قريبا

ومن المعلوم انه يسهل على المرء ان يعيش في تعب ونصب وكد في بلد لا يعرفه فيه احد خصوصا في هذا الزمن الذى يكرم به اليهودي لماله ويهان الشريف لفقره وسوء حاله ورحم الله القائل

من الرجز

يغدو الفقير وكل شيء ضده   والارض تغلق دونه ابوابها
وتراه ممقوتا وليس بمذنب   ويرى العداوة لا يرى اسبابها
حتى الكلاب اذا رات ذا ثروة   مالت اليه وحركت اذنابها
واذا رات يوما فقيرا عاريا   نبحت عليه وكشرت انيابها

ولذا قال الامام على كرم الله وجهه الفقر داء لا دواء له ان اذعته فضحني وان كتمته قتلني وقد قيل اذا افتقر الانسان خونه من كان يامنه واسا فيه الظن من كان يحسنه وابعده من

كان

كان يقربه ومنه من كان يحبه شعر

من البسيط
ان قل مالي فلا خل يساعدني … وان غنيت فكل الناس خلاني

وليت الانسان اذا افتقر بترك هو وشانه ولا يحتقر لا والله بل يكذب في المقال وان كان صوابا ويهان وان لم يكن عابا شعر

من الكامل
من كان يملك درهمين تعلمت … شفتاه انواع الكلام فقالا
وتقدم الاخوان فاستمعوا له … ورايته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التي في كيسه … لرايته اسوء البرية حالا
ان الغني اذا تكلم بالخطا … قالوا صدقت وما نطقت محالا
واذا الفقير اصاب قالوا كلهم … اخطات يا هذا وقلت ضلالا
ان الدراهم في المواطن كلها … تكسوا الرجال مهابة وجمالا
وهي اللسان لمن اراد فصاحة … وهي السلاح لمن اراد قتالا

واذا كان كذلك فالموت خير لذوي الاحساب من ان تلتصق ايديهم بالتراب شعر

من مجزو الرجز
الموت خير للفتى … من ان يعيش بغير مال
والموت خير للكريم … من التضرع والسوال

ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم ان الفقير يهان بعد

الاكرام ويذل بعد العز والاحترام قال اكرموا عزيز قوم ذل وغنى
قوم افتقر لكن كل ذلك بحسب ما سطر في ام الكتاب وقدره
في علمه العزيز الوهاب والا فكم من فقير اسعفته الاقدار
وكم من غني اصبح لا يملك ربع دينار ومن ذلك ما حكى ان
الوزير المهلبي كان في اول امره فقيرا لا يملك نقيرا واتفق انه
سافر راجلا من بغداد الى مكة في قافلة وقد اضرّ به الجوع واحرمه
الهجوع فانشد يقول

من الهزج

الا موتا يباع فاشتريه ... فهذا العيش ما لا خير فيه
الا رحم المهيمن روح عبد ... تصدق بالوفاة على اخيه

فسمعه احد التجار فاعطاه رغيفا ودرهما ثم تغيرت الاحوال
فترقى المهلبي الوزارة وافتقر التاجر حتى صار لا يملك قوت يومه
وبلغه ان المهلبي ترقى للوزارة فذهب اليه وكتب له في رقعة
ما صورته

من الهزج

الا قل للوزير فداته نفسي ... مقالا مذكرا ما قد نسيه
اتذكر اذ تقول لضنك عيش ... الا موتا يباع فاشتريه

وارسلها له مع بعض خدمه فلما قراها بكى واستعبر وتذكر ما قد
سلف وامر له بعز وسبعمائة درهم وكتب له على رقعة مثل الذين

ينفقون

ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل وكل سنبلة مائة حبة الآية فعلم من ذلك انه ينبغي اكرام من افتقر بعد غناه وذل بعد ان بلغ في العز منتهاه واذا عنّت للانسان حاجة واراد يسئل فيها الناس فان كان عاقلا لا يسئل الا من كان ذا فضل ومروة ولا يسئل من تموّل بعد فقره وعز بعد ذله قال الشاعر

من الطويل
سل الفضل اهل الفضل قدماً ولا تسل غنيا ربي في الفقر ثم تمولا

ثم ان المال تميل الى صاحبه القلوب وتنضم عليه ازرار الجيوب به تتم الارادات وتقضى جميع الحاجات ولقد اجاد الحريري في مدح الدينار حيث قال

من مشطور الرجز
أكرِمْ به اصفر راقت صفرتُهْ جوّاب افاقٍ ترامت سفرتُهْ
مأثورة سُمعتُه وشهرتُهْ قد أُودِعتْ سرَّ الغنى أَسرَّتُهْ
وقارنتْ نُجحَ المساعي خطرتُهْ وحُبّبتْ الى الانام غرّتُهْ
وان تفانت وتوانت عترتُهْ ياحبّذا نضارُه ونُضرتُهْ
وحبّذا مَغناتُهُ ونُصرتُهْ كم آمرٍ به استتبّتْ إمرتُهْ
ومُترَفٍ لولاه دامت حسرتُهْ وجيشِ همٍّ هزمَتْهُ كرّتُهْ
وبدرِ تِمٍّ انزلتْه بدرتُهْ ومستشيطٍ تتلظى جمرتُهْ

اسر لجواه فلانت شرّته وكم اسيرٍ اسالمته أسرته
انقذه حتى صفت مسرّته وحق مولى ابدعته فطرته

لولا التقى لقلت جلّت قدرته

ولقد شوهد ان الالكن اذا استغنى يصير فصيحا والاعمش اذا تمول يعود بصره صحيحا ومصداق ذلك انى رايت فى سفرتى هذه رجلا يسمى محمد المكّنى وكان خادما على باب يوسف باشا صاحب طرابلس الغرب وكان اعمش العينين مسلّق الجفنين ترشح دموعه ويقل هجوعه ودام كذلك الى ان تولى حاكما على اقليم فزان فبرئ عمشه ونبت رمشه وذهب وجعه وبطل دمعه وصار اجل اهل عصره واوجه اهل قطره قلت ولعل الامراض انما تعتري الفقراء لما يرونه من الذل والمسكنة والعري والمسغبة فيهتمون لضيق معاشهم وعدم ارتياشهم فتتشوش اذهانهم وتسقم ابدانهم والغني ليس كذلك نعم وان كانت له هموم لكنها من جهة اخرى شعر

من الطويل

ومن يحمد الدنيا لشيء يسرّهُ فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا ادبرتْ كانت على المرء حسرةً وان اقبلتْ كانت كثيرًا همومها

لكن الغني اذا بذل الدينار يبلغ الاوطار ومن ذلك ما حكي

ان على

ان علي باشا الاول صاحب تونس كان قبل ولايته فارّا بالجزاير
مستجيرا بحاكمها ان يمده بعساكر لياخذها من ابن عمه حسين
باشا وكان صاحب الجزائر يعده بذلك والاخبار ترد على
حسين باشا بذلك فكان يغتم اذا سمع شيا من ذلك لما
يعلم مما يطرا عليه من انحطاط شانه وذهاب ملكه وسلطانه
فاتفق ان ورد عليه خبر اقلقه واهمه واحزنه واغمه فركب
وهو ضيق الصدر كثير الفكر وشق في وسط تونس بموكبه
وكان احد وزرائه محاذيا له يتحدث معه فراه على تلك الحالة
فساله عن سبب تغيره فاخبره بما سمع من الخبر فقال الوزير
ايّد الله مولانا ونصره اتهتم بامر لا اصل له على اني اقول انك ما
دمت موجودا لا تقوم له قائمة والتفت عن يمينه وكانا بمحل
يسمى سوق البلاط فراى ساق شجرة يابسا ملقى على الارض
فقال له ان كان هذا الساق يعود شجرة خضرا يملك علي
باشا تونس ويصير حاكما عليها واراد بذلك اطمئنان صاحبه
فما مرت الايام قلائل حتى جاء علي باشا بجيش كثيف من الجزائر
وقتل حسين باشا واستوزر الوزير المذكور مدة حتى تمهدت
له الامور فاتفق انه ركب يوما في موكبه ودخل تونس والوزير

المذكور محاذيا له كما كان محاذيا لحسين باشا فتماديا في سيرهما حتى
وصلا الى سوق البلاط فالتفت علي باشا فراى ساق الشجرة ملقى
بمكانه فقال للوزير ان عاد هذا الساق شجرة خضرا يعود علي
باشا حاكما على تونس وكان بعض اعداء الوزير القى اليه ذلك
فاسره في نفسه الى ذلك الوقت ثم اعرض عنه ولم يحادثه بعد
ذلك فعلم الوزير انه مقتول لا محالة لما يعلم من اخلاق علي
باشا لانه كان سفاكا للدما حتى انه كان يقتل على الهفوة الصغيرة
فضلا عن مثل هذه وتماديا على ذلك حتى وصل الباشا الى محل
سلطنته وايوان ابهته فتقدم اليه الوزير قبل ان يامر فيه بامر
وقال ايد الله مولانا ان ابن عمك حسين باشا حين سمع بقدومك
اودع عندي اموالا جمة خباتها في محل لا يعرفه غيري وانا محقق
انك قاتلي واخاف ان انا مت وهي بمكانها لا ينتفع بها مولاي فان
راى سيدنا ان يسرحني لآتيه بها فليفعل ففرح علي باشا وظن
صدقه وامره بالتوجه وان تصحبه عشرة حوانب والحوانب
في لغة تونس هم القواص بلغة اهل مصر وقبل توجههم قال
للحوانب ان فر منكم قتلتكم اجمعين فتوجهوا معه حتى
وصل لداره فاوقفهم اسفل الدار وصعد ليبعد الحريم عن الطريق

فوقفوا

فوقفوا وحال صعوده لم يكن له هم الا انه قصد خزانة امواله فملا
منها جيوبه ذهبا واخذ معه صندوقا صغيرا يسمى في عرف
اهل تونس بالفنيق مملوءا ذهبا ايضا وصعد على السطح وتسوّر
من دار اخرى وخرج الى الشارع وتوجه الى دار قونصل الانجليز
فدخل عليه واخبره انه مستجير به واعلمه بالقصة واعطاه
الصندوق بما فيه وقال له اريد ان تامر باحدى سفاينك
يتوجه بي في هذه الساعة الى انجلاتيرة فكتب له القونصل
في الحال كتابا الى احد قبودا ناته ان سافر الى الانجلاتيرة حال
حلول جوابنا هذا اليك ولا تتاخر دقيقة واحدة واعطاه
الكتاب ورافقه بترجمانه ونزلا البحر حتى وصلا الى السفينة
فحين قرأ مدبر السفينة كتاب القونصل اقلع عن المرسى
واطلق مدفعا علامة للقونصل بتوجهه واستبطاه الجواَ
فنادوا يا فلان انزل فقال الحريم انه نزل من وقت صعوده
فكذبوهن وهجموا الدار فلم يروا فيها احدا وعلم علي باشا
بافلاته فاغتاظ وعرف انها حيلة وتمت عليه فانظر رحمك الله
الى هذه القضية اترى ان هذا الوزير لو لم يبذل هذه الدنانير
كان يبلغ ما تمنّاه لا والله بل كان يقتل ويوخذ ماله ولا ينفعه

بشيء لان الدرهم والدينار اذا لم يبذلا لم ينفعا ولا تُقضى لصاحبهما حاجة بل ان كان واليا عُزِل وان كان تاجرا احتُقر وفي هذا المعنى انشد شيخ مشايخنا العلامة الشيخ محمد الامير الكبير حين عُزِل خورشيد باشا والي مصر سابقا وتولاها صاحب السعادة لعدم اعطاء مرتبات العساكر شعرا

من مجزو الكامل

عزلوك لما قلتَ ما   أُعطي وولَّوا من بذل
او ما علمتَ بانّما   حرفُ يكُفّ عن العمل

ولقد اجاد ابو القاسم الحريري في ذم الدينار من حيث انه لا ينفع صاحبه الا اذا فرّ من يده حيث قال

من مجزو الرجز

وشرُّ ما فيه من الخلائق   ان ليس يغني عنك في المضائق
الا اذا فرّ فرار الآبق   واهاً لمن يقذفه من حالق
ومن اذا ناجاه نجوى الوامق   قال له قول المحق الصادق
لا رأي في وصلك لي ففارقِ

وفي الامثال التونسية اذا وضعتَ الدينار على فم البلا اسكتّه وفي الامثال المصرية حبيب ماله حبيب ما له اي من احب ماله وخزنه لا حبيب له ومن هذا القبيل حكاية وقعت بتونس وهو ان المرحوم الامجد ابو محمد حموده باشا برد الله

ثراه

ثراه كان له وزير يسمى يوسف صاحب الطابع ومعناه المهردار
اى الذى فى يده الخاتم الذى تختم به الاوامر وكان يوسف
المذكور قبل ذلك مملوكا لقايد صفاقس المسمى محمد الجلولى وكان
من الجمال والادب والحيا فنمى خبره الى الباشا فارسل الى الجلولى
يقول له انه قد بلغنى ان عندك مملوكا صفته كذا واسمه يوسف
فاذا وصلك كتابى هذا ارسله صحبة حامله والسلام فلما قرا
الجلولى الكتاب لم يجد بدا من ارساله فلما صار فى حيازة الباشا
اعجبه حسنه وذكاؤه وفطنته وصدقه وامانته واتفق ان
بعض المماليك اتفقوا على قتل الباشا ودخلوا عليه وهو نايم
ووضعوا الشفرة على مذبحه فاستغاث منهم وبخت يوسف
المذكور كان خلاص الباشا منهم على يده فنزل عنده منزلة
عظيمة واحله محل ولده وقلده الولايات العظيمة وصارت
الالوية تخفق على راسه حتى صار يشار اليه بالعراو البنان
وكان يوسف المذكور سعيد الطالع جيد التدبير مظفرا فى
الحروب ميمون الحركة سخى الكف يجذب القلوب بلطفه حتى ان
الباشا جعله رييسا على العساكر البرية فى محاربة صراط وهى
محاربة وقعت بين حاكم تونس وصاحب الجزاير فبيمن صاحب

الطابع كانت الدائرة على اهل الجزاير واغتنم عسكر تونس اخبية
المعسكر الجزايرى وخيله وابله وسلاحه وأُسر من عسكر الجزاير
فى هذه الواقعة جم غفير ثم صار مدبر الجيوش البرية و البحرية بحلق
الوادى وذلك حين قدم أُسطول الجزاير لمحاربة تونس ايضا فكان مقيما
ببرج حلق الوادى يدبر امر الجيش والسفن والشوانى و العسس
على الشاطى وكانت اكابر تونس تاتى اليه لقضاء اشغالهم بحلق
الوادى لان زمام الامور كلها بيده وكان من جملة من يحضر ديوانه
محمد الجلولى ابن سيده سابقا لكن كان ياتى بتيه وخفر مع عدم
سلوك طريقة الادب اللائقة بامثاله وكان صاحب الطابع يرى
منه ذلك ويتغافل عنه حتى ان اكابر ديوانه تكلموا معه فى
شان ذلك وذكروا له امورا كثيرة حتى قالوا انه يراك الى الان
مملوك ابيه وقد صرح بهذا مرارا فنقم ذلك عليه وتحيل فى
طريق الانتقام منه فاخبر انه يدخل داره راكبا ولا ينزل خارج
الدار كبقية الامراء وان سايسه ياخذ بغلته ويربطها فى
مربط دوابه فدعى برئيس السياس وقال له قد بلغنى ان
سائس الجلولى يربط بغلته فى مربط دوابى ان بلغنى انه ربطها
فى مربط خيلى بعد اليوم لا تلومن الا نفسك فقال سمعا وطاعة

ثم

ثم ان الجلولي جاء ونزل على عادته واخذ سايسه البغلة وربطها
كالعادة والسايس كان غائبا وصعد هو الى مجلس صاحب
الطابع وجلس وبينما هو جالس اذ سمع هيضة وصياحا فنظر
من احد الشبابيك فراى بغلته تركض عائرة وسايسه مضروبا
والدم ينبع من راسه فانزعج ونزل فاخبره سايسه ان كبير
السايس جاء ووجد البغلة مربوطة فاطلقها وضربها فخرجت
عائرة فسمعتُ بذلك فقلت له لِمَ تطلق بغلة سيدى
فشتمني وشتمك فرددت عليه فضربني وترك حالي كما
ترى فرجع الجلولي الى صاحب الطابع وهو مغضب وقال له أتُطْلق
بغلتي ويضرب خادمي وانت موجود فلم يلتفت اليه ولم يرد عليه
جوابا فزاد حنقه وعلم ان الخادم لا يفعل مثل هذا الفعل الا باذن
سيده فنزل وركب من ساعته وتوجه الى الحضرة ودخل على
المرحوم حموده باشا وشكى له جميع ما قد جرى عليه من صاحب
الطابع فما اشكاه ولا التفت اليه فكاد يتميز من الغيظ ونزل
من الحضرة وتوجه لداره كئيبا حزينا لا يدرى ما ذا يصنع فاجتمع
عليه بعض اصحابه وراه على تلك الحالة فساله عن سبب حزنه
فاخبره الخبر فلام عليه فيما صنع لا سيما في شكواه للباشا وقال

له اما تعلم ان صاحب الطابع هو المقبول وكلمته هي المسموعة
اتريد ان تعاديه وتشكوه للباشنا ويسمع لك عليه دعوى
بيسما فعلت وساء ما توهمت ادرك نفسك وتلاف امرك والا
حل بك ما يحل بك من التلف وانت المذموم اما سمعت قول الشاعر

من الكامل
واذا العناية صادفت عبد الشرا تمشي على ساداته احكامه

فقال الجلولي والخروج من هذا الامر والحيلة في الخلاص منه قال له صاحبه
اعلم ان المال اذا لم يبذله صاحبه في مثل هذا المهم كان هو وحجارة
الدار سوآء والحيلة تحتفل في هدية سنية وتقدمها بين يدي
صاحب الطابع وتتوسل اليه باعز احبابه عليه كحضرة ابن ابي
الضياف وقاسم البوّاب وصالح ابي غدير واضرابهم وتبذل لهم
من المال ما يرضيهم وينشّطهم للشفاعة لان المال لا يُطلب
الا لمثل هذا المهم فاخذ الجلولي نصيحته بقبول واحتفل في هدية
عظيمة منها سيف لا يقوّم بمال الحسن جوهره وخاتم من الماس
عظيم لا يقوم ايضا وخنجر مرصّع بماس وياقوت وعلبة نشوق
وساعة مرصعتين وعشرة الاف محبوبا واخذ ما لا جزيلا غير
هذا وتلطف حتى اجتمع باصحاب صاحب الطابع واخبرهم انه
متوسل بهم اليه ان يتوسلوا له في العفو وبذل لهم ما ارضاهم

وسلمهم

وسلمهم الهدية فاخذوها وذهبوا الى صاحبهم واخبروه ان
الجلولي جآء معتذرا يطلب عفو سعادته واطلعوه على الهدية
وزينوا له امر الصلح والعفو عنه وترك الانتقام منه الا ان عاد
لمثلها فشرهت نفسه الهدية وقبلها وعفا عنه وامرهم باحضاره
وان يبالغوا فى وصيته على سلوك طريق الادب وان يترك ما
كان عليه من التكبر ولا يرى لنفسه على غيره فضلا بل يقف على
قدم العبودية لانه هو واحد القواد عندنا على حد سوآء وان
عاد الى مثلها لا يلومن الا نفسه فامتثلوا امره واحضروه
وبالغوا فى وصيته ثم ادخلوه على صاحب الطابع فلما راه بش
فى وجهه وامره بالجلوس واجل مجلسه واعتنى به ولم يفاوضه
فى شيء مما كان ثم ان صاحب الطابع كتب الى مخدومه الباشا
واعلمه بما وقع من الجلولي ومنه وان الجلولي استرضاه بهدية
وانه رضي عنه وارسل الهدية صحبة الكتاب فلما وصله الكتاب
قراه واحضر الهدية ونظرها ثم ردها اليه وكتب له ما صورته
قد بلغنا كتابك وفهمنا ما انطوى عليه ووقعت منا الهدية
احسن موقع لكننا راينا كل ما فيها يصلح لك لا لنا فقد رددناها
عليك وسامحناك فيها لانك شاب وتحب الزينة ونحن بمعزل

عن ذلك واما العشرة الاف فاصرفها في مصالح العسكر وقد
رضينا عن الجلولي لرضاك عنه والسلام ولما كان من الغد دخل
الجلولي على الباشا فاعظم ملقاه ورحب به واضاف له عملا على ما
بيده من الاعمال وصار في احسن حال فتامل رحمك الله في
هذه القضية بعين الاعتبار اترى ان الجلولي لو لم يبذل هذا
المال اكان يرجع لحاله الاول لا والله بل توخذ من يده الاعمال وربما
قتل في الحال واذ قد انجر الكلام الى سيرة المرحوم حموده باشا
ووزيره المرحوم يوسف صاحب الطابع فلنذكر نبذة من سيرتهما
لان المقصد ان لا تخلو رحلتنا عن الفوايد الجميلة ولا اجمل من
ذكر الملوك العادلين الذين حسنت سيرتهم فتنعمت بهم
رعيتهم ونبدا بذكر الباشا فنقول هو المولى الاجل الفاضل العادل
الفطن الحازم ابو محمد حموده باشا بن علي باشا بن حسين باشا
ابن علي ولد ليلة السبت الثامنة عشر من ربيع الثاني سنة ١١٧٣
وبويع له يوم وفاة ابيه سنة ١١٩١ وتوفي ليلة عيد الفطر سنة ١٢٢٩
كان من الحزم وحسن الراي والعدل بمكان شجاعا مهابا عفيف
النفس عالي الهمة انشا بستان منوبة المشهور الان الذي
اخفى ذكر بستان ابي فهر الذي قال فيه ابو عبد الله محمد الورغي

وقف

من البسيط

وقف هنا بابى فهر الجميل فقد مضت به دولة النثر العرانين

ترى الحنايا كسطر النخل مدبه بعض لبعض بمحنى العراجين

اوخرد نهضت للرقص فاعتنقت كى لا تجئ برقص غير موزون

وسور على تونس السور العظيم وحصنها بالابراج والمدافع وشحن الابراج بالعسكر ورفع التلال التى كانت بين تونس والبحيرة وقد كانت مثل الجبال العظيمة مانعة لجودة الهوا يخشى على البلد منها وهى من مدة دولة بنى حفص فاجتهد فى نقلها فى مدة سبع سنين حتى ترك محلها مزرعة عظيمة وكشف بذلك غمة اهل تونس وانشا محلا لانشاء المدافع العظيمة وحصن حلق الواد بالابراج والابنية العجيبة بحيث صار لا تدخله فلوكة الا ويفتح لها باب وبنى قلعة الكاف واخرج تونس واعمالها من ربقة الرق من اهل الجزاير الى الحرية المطلقة وكان مظفرا ميمونا لا يعاديه احد الا خذل فلم تقدر له اهل الجزاير على شئ ومن سعادته انه استوزر يوسف صاحب الطابع المذكور واطلق يده فى جميع الامور كما قدمناه فكان يوسف المذكور جيد الراى حسن التدبير عالى الهمة محبا للعلماء واهل الفضل مجبولا على فعل الخير جوادا مهابا بنى الجامع المشهور به الان بسوق الحلفاوين بتونس وبنى

بازايه مدرسة عظيمة لطالب العلم ورتّب فيها وفى الجامع
رواتب جليلة منها انه جعل نظر المدرسة لاوحد اهل زمانه
علما وديانة المولى الاجل الاديب البارع سيدى الشيخ ابراهيم
الرياحى شيخنا وشيخ المشايخ الآن بتونس وشرط عليه قراءة
درسين فى كل يوم درس فى الفقه ودرس فى التفسير وزاد الشيخ
من نفسه درسا فى الحديث ودرسا فى النحو وصرف صاحب الطابع
على بناية الجامع والمدرسة المذكورين مالا جزيلا حتى ان جامعه
الآن فى الحسن والاتقان اعظم جامع يوجد بتونس بل يمكن
ان لا يوجد اتقن منه ولا اعجب منه وان كان صغيرا الا فيما لم
نشاهده ولقد رايت عدة جوامع بالقاهرة وبطرابلس الغرب
وبالمورة والحجاز فلم ار اتقن منه اللهم الا ان يقال ان الجامع الاموى
بدمشق او جامع القرويين بفاس او جامع اياصوفيا بقسطنطينية
اعظم منه وبنى أمام الجامع سوقا عظيما للتجار وبنى فوقه سراية
عظيمة لجلوسه وانشا عدة مكاتب وموارد فى جملة مواضع ولقد
رايت احد الموارد التى انشاها مكتوب عليها تاريخا لشيخنا العلامة
الشيخ ابراهيم الرياحى وصورته

من منهوك الرجز

ذا مَوْرِدٌ جاد به راجى ثواب ربه

يوسف

يوسف خوجة الرضى صاحب طابع البهى

فخر العلا حمودة بانشا وذا من سببه

يا واردا ادعُ وقل تاريخُه بِشُرْبِهِ

١٢٠٩

وهو على طريقة أيقَتَش اى طريقة حساب المغاربة قلت وهذا التاريخ اعنى قوله بشربه غير بليغ اى ليس فيه من المعنى شىء حسن واين من تاريخ الاديب البارع المولى الشيخ محمد شهاب الدين المصرى فى السبيل الذى انشاه محمود افندى بالمحروسة الكائن بين الازهر والمقام الحسينى وصورته

من البسيط

يا واردًا سَلْسبيلًا راق منهلُهُ اشْرَبْ هنيأً فهذا العَذْبُ موروُدُ

وانظر الى حسنه والسَعْدُ ارّخَهُ سبيلُه عاطفٌ للخير محمودُ

١٠٧ ١٦٠ ٨٧٠ ٩٨

١٢٣٥

ومن بعض تواريخ اديب زمانه الشيخ على الدرويش فى كسوة البيت الحرام ونصه

من مجزو الرجز

يا نورَ ناظرٍ كِسوةٍ يزهو بها خزٌّ وبزٌّ

بُشْرى خليلٍ ناظراً فله بها سعدٌ نجزْ

والسعدُ قال مؤرّخاً سترٌ لبيت الله عزّ

٦٦٠ ٤٤٢ ٦٦ ٧٧

١٢٤٥

واين هذا التاريخ من تاريخي الذين نظمتهما للمرحوم السيد محمد المحروقي حين انشئنا الزاوية التي تجاه زاوية الشيخ العفيفي بالقرافة الصغرى والمورد الذى انشاه ببركة الرطلي بالمحروسة ونص الاول

من الكامل

انظر لزاوية تكامل حسنها   وصبا اليها لبّ كل مَشُوقِ
وبدت باتقانٍ فاعجز وصفُها   ذا النطق بالمفهوم والمنطوقِ
وقد استضائت بالسيادة ارّخوا   مليت بنور السيد المحروقي

٤٨٠ ٢٥٨ ١٠٥ ٣٩٥

١٣٣٨

ونص الثانى

تاملْ لما شادت يدُ العِزّ والبها   ترى موردًا بـ[illegible]طف والحسن قد زهى
وقد شاده من نسل اكرم مُرْسَلٍ   هُمامٌ له مجد على ذروة السُها
محمد المحروقي انشاهُ راجيا   ثواب الاله حدّه ما له انتها
ومُذ تم قال السعد للشربِ ارّخوا   زلالٌ شفاءٌ جيّدٌ وهو مُشْتَها

٦٨ ٣٨١ ١٧ ١٧ ٧٥٥

١٢٣٨

توفى المرحوم يوسف خوجة صاحب الطابع فى شهر صفر سنة ١٢٣٠ ومات قتيلا وطيف بشلوه يجرى فى الاسواق بعد ان كان البصر يخشى ان يمتد اليه فسبحان المعز المذل ورثاه شيخنا العلامة الشيخ ابراهيم الرياحي بابيات كتبت على قبره وهي هذه

من مجزو الكامل

لله قد وجب الدوام   وسواء نهبك للحِمامْ

سيّانِ فى تنغيصه عالٍ و منخفض المقامْ
اين الملوك واين من كانت لهم ترعى الذمامْ
لم يظفروا بسوى الذى عملوه من خير فدامْ
هذا الذى بصنيعه قد رامه هذا الهُمامْ
من فعل خير عزّان يغنى الانام من الغمامْ
وجوامع ومكاتبٍ وموارِدٍ تسقى الاوامْ
الله يرحم يوسفا ختم الكرام بلا كلامْ
لاعزو ان ارختُه بمماته يتم الكرامْ
٤٨٨ ٤٥٠ ٢٩٢
١٢٣٠

ولنرجع الى ما نحن بصدده ثم ان جدى خرج من مكة المشرفة الى بندر اى مرسى جُدَّة ومكث ينسخ الكتب بالاجرة وكان جميل الخط كما قدّمنا فاتفق انه اجتمع فى تلك المدة باناس من اهل جزيرة سنّار وتودد اليه بعضهم وارتبطت بينهم صحبة فساله من اى البلاد انت فقال من تونس فساله عن سبب اقامته بجدة فاخبره بقصته وماجرى عليه فقال له السنّارى لا تتوجه معنا الى مدينة سنّار ويحصل لك العزّ والافتخار لان مكّننا اى ملكنا رجل مبسوط اليد لا يبالى بلُجَينٍ

ولا عسجد يحب الفضل واهله ويحل كلا منهم محله وينيل الاشراف
بما يقدر عليه من الاسعاف وانا ضامن لك ان ذهبت معنا ان
يجبر كسرك ويسد خللك وتصبح ذا مال ونوال ورقيق وجمال
فطمع جدى فى نوال الملك المذكور وتوجه معهم يامل الفرح والسرور
وحين وصل معهم الى جزيرة سنار قابلوا به الملك واعلموه انه رجل
من اهل العلم غريب الديار قد انكسرت سفينته وضاع ماكان
حيلته فرحب به واعظم ملقاه وبشّره باليُسر وهنّاه وانزله
دار اكرامه وامر له بجزيل انعامه فكان فيما انعم عليه به جارية مكَّية
بهية سنية غالية القيمة تسمى حليمة فتسرّاها جدى لجمالها
فجاءت بغلام وجارية مثالها واجرى عليه رزقا فاستقر جدى
بسنّار ونسى اهله بتونس واولاده الصغار وكان حين خروجه
من تونس ترك ثلاثة اولاد مع امهم اكبرهم عمى المرحوم السيد محمد
كان عمره تسع سنين واوسطهم المغفور له والدى وكان
عمره ست سنين واصغرهم عمى المرحوم السيد محمد طاهر وعمره
ثلاثة سنين هكذا سمعت من والدى وجدتى عليهما سحائب
الرحمة والعُهدة عليهما فانحنى عليهم خالهم المولى الاجل الاكمل الامثل
الفقيه المحدِّث العالم الفاضل السيد احمد بن العلامة الرُّحلى

الرسند

السند السيد سليمان الازهرى صاحب التصانيف العديدة والتاليف
المفيدة كان السيد احمد عالما فاضلا ثقة حجة فى المنقول عرض عليه
منصب القضا بتونس فامتنع منه وكان مشتغلا بالتدريس وولى
وظيفة التدريس بمدرسة على باشا الاول فلازمها وأصيب فى اخر
امره بدآء أزمنةُ فكان يقرا الدروس فى داره وتحضره اكابر طلبة
العلم والفضلآء ولم يزل كذلك حتى شب والدى وبلغ مبلغ الرجال
وكان حفظ القران وحضر بعض دروس فى العلم على خاله وغيره وبينما
هو كذلك اذ تحرك شوقه الى الحج فاستشار خاله فى السفر فتحرك شوقه
هو ايضا فتجهزا للسفر معا وركبا البحر من تونس الى اسكندرية ومنها
الى مصر ومن مصر توجها الى القُصَير وكان ذلك قبل اشهر الحج وبينما
هما سايران فى القافلة اذ عرضت لهما قافلة قادمة من سنار فنادا علا
منادٍ يا ايها المغاربة هل فيكم احد من تونس فقال ابى نعم نحن منها
فقال هل تعرفون السيد احمد بن سليمان فقال ابى نعم نعرفه
ومن انت قال انا نسيب احمد قد خرجت من تونس منذ كذا وكذا
وتركت اولادى واهلى ولا ادرى اهم احيآء ام اموات وكان خال ابى
فى شبرية مرخى عليها ستر فسمع ذلك كله فقال لابى يا عمر سلّم
على ابيك فاكبّ والدى يسلم على ابيه ويقبّل يده واعلمه ان خاله

في الشبرية فجآء جدي وسلم على نسيبه وبعد انقضآء السلام
قال ابي لوالده ايسوغ لك ان تتركنا هذه المدة بدون نفقة ونحن
صغار ولولا ان الله سخّر لنا خالنا لكنا ضايعين فقال والدي يا بني
والقضاء والقدر يجريان على وفق الارادة العلية مفرد

من الكامل
إنّ المقدّر كاين لا ينمحي ولك الامان من الذي ما قُدِّرا

فقال ابي لوالده الم يآن لك ان ترجع الى بلدك وتقر اعيننا برويتك
فقال يكون ذلك ان شا الله قال له والدي متى قال انا الآن متوجه
الى القاهرة ابيع ما معي من الرقيق وارجع الى سنار واخذ متاعي
واولادي واتي الى القاهرة وانتما تتوجهان للحج وترجعان الى
القاهرة فنجتمع هناك وكل من سبق صاحبه انتظره هناك ثم
ودعهما وتوجه كل منهم الى سبيله على حد قول الشاعر

من الكامل
لم استتم سلامهُ لقدومهِ حتى ابتدأتُ سلامهُ لوداعهِ

فتوجه والدي وخاله الى الحج وتوجه جدي الى المحروسة اما جدي
فباع رقيقه وتسوق ورجع الى سنار واما والدي وخاله فتوجها
الى الحجاز ومكثا بالطائف حتى جاء وقت الحج فقدما مكة وحجا وبعد
انقضاء الحج تُوفِّيَ خاله في مكة المشرفة ودُفِن بباب المعلا ثم
رجع والدي الى القاهرة فما وجد اباه فاقام ينتظره مدة فلم يات

وكان

وكان ابي في هذه المدة يحضر العلوم بالجامع الازهر ولما اعياه الانتظار
توجه الى سنار مع قافلة اتت فلما وصل اليه وجده قارا في داره مغتبطا
باولاده وعياله لا يسئل عن غيرهم ولا يخطر له السفر على بال فساله
عن سبب خلف الوعد ولمَ جعل الهزل مكان الجد فاعتذر بعذر ساقط
لا يجد له لاقط فقال له يا بُني ان لي ديونا على بعض الناس ماطلوني في
دفعها ولا يمكنني الارتحال الا بعد خلاصها على كل حال ليستقيم بها
اودي ويقوى في السفر عضدي فمكث معه نحو ستة اشهر وبعد
ذلك تجهزت قافلة الى الاقطار المصرية فسال ابي والده في احد
امرين بان قال له هذه القافلة متوجهة فاما ان تتوجه بنا صحبتها او
تاذن لي بالتوجه معها فابى عليه فيها وقال اما الذهاب فلا سبيل
اليه لما علي في تونس من الاموال لا سيما وقد أُخبرتُ بان امك
تزوجت واما الاذن لك فيكون لكن في قافلة اخرى ان شاء الله
تعالى حتى اجمع لك ما تسافر به من الرقيق والجمال والذهب والاحمال
بحيث انك لا تعود الا مجبور الخاطر فابى والدي المكث واستطال
اللبث وقال اني مشتاق لطلب العلم وفي اقامتي هنا ضياع زمن
بغير فايدة فاختلف رايهما وحصلت بينهما وحشة فخرج والدي
مغضبا وتوجه مع القافلة لا يملك شيا فالحقه والده بعد ثلاثة

في الشبرية فجاء جدي وسلم على نسيبه وبعد انقضاء السلام
قال ابي لوالده ايسوغ لك ان تتركنا هذه المدة بدون نفقة ونحن
صغار ولولا ان الله سخر لنا خالنا كنا ضايعين فقال والدي يا بني
والقضاء والقدر يجريان على وفق الارادة العلية مفرد

من الكامل
إنّ المقدَّر كاين لا ينمحي ولك الامان من الذي ما قُدِّرا

فقال ابي لوالده الم يان لك ان ترجع الى بلدك وتقر اعيننا برويتك
فقال يكون ذلك ان شا الله قال له والدي متى قال انا الآن متوجه
الى القاهرة ابيع ما معي من الرقيق وارجع الى سنار واخذ متاعي
واولادي واتي الى القاهرة وانتما تتوجهان للحج وترجعان الى
القاهرة فنجتمع هناك وكل من سبق صاحبه انتظره هناك ثم
ودعهما وتوجه كل منهم الى سبيله على حد قول الشاعر

من الكامل
لم استتمّ سلامَهُ لقدومِهِ حتى ابتدأتُ سلامَهُ لوداعِهِ

فتوجه والدي وخاله الى الحج وتوجه جدي الى المحروسة اما جدي
فباع رقيقه وتسوق ورجع الى سنار واما والدي وخاله فتوجها
الى الحجاز ومكثا بالطائف حتى جاء وقت الحج فقدما مكة وحجا وبعد
انقضاء الحج تُوفِّيَ خاله في مكة المشرفة ودُفِن بباب المعلا ثم
رجع والدي الى القاهرة فما وجد اباه فاقام ينتظره مدة فلم يات

وكان

وكان ابى فى هذه المدة يحضر العلوم بالجامع الازهر ولمّا اعياه الانتظار
توجه الى سنار مع قافلة اتت فلما وصل اليه وجده قارًّا فى داره مغتبطا
باولاده وعياله لا يسئل عن غيرهم ولا يخطر له السفر على باله فساله
عن سبب خُلْف الوعد ولِمَ جعل الهزل مكان الجد فاعتذر بعذر ساقط
لا يجد له لاقط فقال له يا بُنَىّ ان لى ديونا على بعض الناس ماطلونى فى
دفعها ولا يمكننى الارتحال الا بعد خلاصها على كل حال ليستقيم بها
اَوَدِى ويقوى فى السفر عضدى فمكث معه نحو ستة اشهر وبعد
ذلك تجهزت قافلة الى الاقطار المصرية فسال ابى والده فى احد
امرين بان قال له هذه القافلة متوجهة فاما ان تتوجه بنا صحبتها او
تاذن لى بالتوجه معها فابى عليه فيها وقال اما الذهاب فلا سبيل
اليه لما علىّ فى تونس من الاموال لا سيما وقد أُخْبِرْتُ بان امك
تزوجت واما الاذن لك فيكون لكن فى قافلة اخرى ان شاء الله
تعالى حتى اجمع لك ما تسافر به من الرقيق والجمال والذهب والاحمال
بحيث انك لا تعود الا مجبور الخاطر فابى والدى المكث واستطال
اللبثَ وقال انى مشتاق اطلب العلم وفى اقامتى هنا ضياع زمن
بغير فايدة فاختلف رايهما وحصلت بينهما وحشة فخرج والدى
مغضبا وتوجه مع القافلة لا يملك شيا فالحقه والده بعد ثلاثة

ايام بثلاثة جمال واربع جوارى وعبدين وعلى الجمال أُهْبَة السفر من
مؤونة وماء وعلى احد الجمال حمل صمغ فاخذها والدى وسار صحبة
القافلة وبينما هم سائرون اذ ضلوا عن الطريق وادركهم العطش
وطال عليهم الامد فمات الرقيق والجمال ورجع الى مصر فقيرا كما كان

مفرد

من الطويل — اذا اقبلت كانت تُقادُ بشعرةٍ ‎ ‎ وان ادبرتْ كانت تَقُدّ السلاسلا

فمن لطف الله عز وجل مرض خبير القافلة بصداع احرمه الجوع وعجز
عن شفائه الجوع وبلغ والدى هذا الخبر فكتب رقعة واخذها
الخبير باعتقاد ووضعها محل الالم فبرى لوقته فاعتقد فى والدى
الصلاح وامران يُحمَل ويحمل له عدل صمغ على ابله فوصل والدى
الى القاهرة بعد غص الريق وباع عدل الصمغ بخمسة وسبعين
فُنْدُقلى ودخل الجامع الازهر لطلب العلم وتزوج والدتى اذ
ذاك ومكث معها نحو سنتين جاءت منه بولد سماه احمد عاش
سنة وثلاثة اشهر ثم مات فحزن عليه وتمثل بقول الشاعر مفرد

من الطويل — لقد خانت الايام فيك فقرّبتْ ‎ ‎ يوم الرَّدَى من ليلة الميلادِ

وبقول الاخر

[من الكـ]ـامل — عجبًا لمولودٍ قضى من قبل أن ‎ ‎ يقضي لايام الصِبا ميقاتا

فكانه

فكانه من نسكه وصلاحه   وهب الحياة لوالديه وماتا

ويقول التهامي في ولده

من الكامل   يا كوكبا ما كان اقصر عمره   وكذا تكون كواكب الاسحار

ثم ان والدي توجه الى تونس واخذ امي واهامعه وكنت اذ ذاك
حملا فلما وصل الى تونس نزل بدار اخيه المرحوم السيد محمد وكان
من مشاهير المعلمين بسوق الشواشية اي طرابيشة فولدت
بعد ذلك بخمسة اشهر في الساعة الثالثة من يوم الجمعة منتصف
ذا القعدة ١٢٠٤ سنه ومكث بعد ذلك نحو ثلاث سنين ثم حصلت
بينه وبين اخويه وحشة فقفل بنا الى القاهرة ١٢٠٧ سنه فصار يطلب
العلم في الازهر وتحضر درس العلامة المرحوم الشيخ عرفة الدسوقي
المالكي وشيخ مشايخنا العالم الاوحد المرحوم الشيخ محمد
الامير [illegible] وتولى نقيبا برواق لسادة المغاربة وكان في عيش
متوسط ومازال كذلك الى ان دخلت ١٢١١ سنه ورد عليه كتاب
من اخيه لابيه من سنار مع القافلة مضمونه بعد السلام ان
والدنا توفي الى عفو الله تعالى وترك جملة من الكتب فسرقها
منا رجل يسمى باحمد البنزرتي امناه على بيتنا لانه ادعى القرابة
لوالدنا وبقينا في حالة تسر العدو وتسيء الصديق فاذ وصلك

كتابي هذا عجل بالقدوم علينا لتاخذنا معك نعيش بما تعيش
به والسلام فلما قرا الكتاب بكي واستعبر واخذته الشفقة
على اخويه فتعجل وسافر اليهما وكنت اذ ذاك ابن سبع سنين
قد ختمت القرآن بداية ووصلت في العبادة لاخر آل عمران
وكان لي اخ عمره اربع سنين وترك لنا نفقة تكفينا ستة اشهر
فمكثنا سنة باعت فيها والدتي اشيا كثيرة من نحاس وحلي
ثم جاء عمي الصغير المسمي بالطاهر فانحنا علينا يربينا وكان قد جاء
للحج والتجارة ومعه ولد كالشمس الضاحية في السماء الصاحية
اسمه محمد وكان اسن مني بنحو سنة ونصف فكان يذهب
معي الي المكتب لقراءة القرآن حتي سافر به والده الي الحج اخر
سنة ١٢١٢ ثم دخلت الفرنسيس القاهرة وملكوها في اول سنة ١٢١٣
وكان عمي اذ ذاك مع الحجاج فهربت الغز وتمزقوا كل [illegible] ودخل
الحجاج فوجدوا الفرنسيس في مصر واعمالها ومكثوا كذلك
الي اول سنة ١٢١٦ جاء الوزير بالعساكر وخرجت الفرنسا وبين
وكان ابن عمي المذكور قد حفظ القرآن وابتدا يحضر دروس العلم
وكان من الحياء والادب بمكان فوقعت في تلك السنة امراض
وبائية والمت بابن عمي المذكور فاخرجته من القصور الي القبور

بل

بل للملاعبة مع الحور ولما قُضي عليه حزن عليه والده اشد الحزن
حتى كاد يهلك اسفًا ويدخل رمسه توجعا ولهفا ورحم الله القائل

من المنسرح

الناس للموت كخيل الطِراد ... فالسابق السابق منها الجواد
والموت نقّاد على كفه ... جواهرُ يختار منها الجياد

وكره المقام بمصر لخلوها من ولده وفلذة كبده وفي ذلك قلتُ

من الوافر

اذا رحل الحبيب من الديار ... كرهتُ لبعده تلك الديار

فاراد ان يبرّد نارهُ ويواري أُوارهُ بحج بيت الله الحرام ورؤية قبر
نبيه عليه الصلاة والسلام ولله در من قال

من الكامل

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب الا للحبيب الاول

وفي هذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام اذا أُصيب احدكم بمصيبة
فليذكر مصيبته بي فانها اعظم المصائب

من الكامل

اصبر لكل مصيبة وتَجَلَّدِ ... واعلم بان المرء غير مخلَّد
واذا اصبتَ بفقد من احببته ... فاذكر مصابك بالنبي محمد

فتوجه الى الحجاز وتركني بمصر لطلب العلم بالازهر وابقى لي نفقة
تكفينا اربعة اشهر ومكث هو اكثر من ذلك فنفذت وضاق
ذرعي لذلك وانا اذ ذاك في شرخ الشباب فبقيت متحيرا لا
ادرى ما اصنع واستنكفتُ ان اترك طلب العلم واتعلم حرفة

الصنايع وبينما انا متحير في طلب المعاش وضيق الصدر لعدم ما ريش
اذ بلغني ان قافلة وردت من بلاد السودان من دار فور وكان
قبل ذلك بلغنا ان والدي توجه من سنار اليها صحبة اخيه فلما
استقرت بوكالة الجلابة توجهتُ اليها لاسئل عن ابي اهو حي
يتوقع ام أُودِعَ اللحد البلقع فلقيت على سبيل المصادفة رجلا من
اهل القافلة مسنًّا ذا هيبة ووقار يسمى السيد احمد بدوي
فقبلت يده ووقفت امامه برهةً فسالني بلطف وقال لي ماذا
تريد قلت اسئل عن رجل غائب لي في بلدكم لعل يعرفه منكم احد
يدلني عليه فقال من هو وما اسمه فقلت اسمه السيد عمر التونسي
وهو رجل من اهل العلم فقال على الخبير به سقطتَ هو صاحبي وانا
اعرف الناس به واري بك شبها له فكن ابنه فقلت انا هو على
تغير حالي وتبلبل بالي فقال يا بني ما يُقعدك عن اللحاق بابيك لترى
عنده ما يهنيك فقلت قلة ذات يدي واعتدادي وعددي
فقال ان اباك من اعظم الناس عند السلطان واكرمهم عليه دون
اهل الديوان وان اردت التوجه اليه فانا عليَّ مؤونتك ومركوبك
وراحتك حتى تصل اليه وتقف بين يديه فقلت احق ما تقول
فقال اي وحياة الرسول ان اباك فعل معي معروفا لا اقدر على

مكافاته

مكافاته فيه ولو بذلت جميع ما تملكه يدي وتحويه فقلت انا اطوع
لك من نعلك واتبع لك من ظلك فعاهدته على ذلك واستوثقت
منه هنالك وجعلت اتردد عليه حتى تأهّب وقال لي السفر غدا
فان شئت بت عندنا لنصبح على السفر مبكرين فقلت على
الراس والعين فبتُّ عنده في الذعيش واهناه واحسن حال
واصفاه الى ان لاح ابن الدكا والتحف الجوُّ بالضيا نهضنا للمكنوبة
فاديناها وابرزنا الحمول واخرجناها وجيء بالجمال وحمّلت عليها
الاحمال فما ذرّ قرن الغزالة الا وقد تم التحميل واخذت العيس في
الذميل ولا زالت كذلك حتى أُنيخت بالفسطاط على شاطى النيل
وابتُدِا في شحن الفُلْك بها حتى تمت كلها ثم صبرنا حتى صلينا الجمعة
خلف الامام ونزلنا الفلك وودعنا مصر بسلام الباب الثاني
من المقدمة لما امتطينا الدهما لهذا السفر العظيم قلنا بسم
الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم ولما اقلعنا عن ساحل
الفسطاط ناويين البعد والشطاط تذكرت متاعب الاسفار وما
يحصل فيها من الاخطار خصوصا لمن كان حاله كحالي في الفقر المدقع
والعسر المصقع وتوسوس صدري وانزعج وبقيت في مشقة
وحرج لا سيما وقد وجدت نفسي مع غير ابناء جنسي بل بين

اقوام لا اعرف من حديثهم الا القليل ولا ارى فيهم وجها صبيحا جميل فقلت ودمعي بادي

من الهزج
فجسمك مع ثيابك والمحيّا   سوادٌ في سوادٍ في سوادِ

وندمت على تغريري بنفسي مع ابناء حام وتذكرت ما بينهم من العداوة لابناء سام فداخلني من الهلع ما لا اقدر على وصفه حتى كدت ان اطلب الرجوع الى الربوع ثم ادركتني الطاف الله الخفية وتذكرت ما مُدِحت به الاسفار على السنة البلغاء الادبية خصوصا ما ورد في الاثر عن خالق البشر سافروا احدث لك رزقا جديدا وان افضل الانام سافر من مكة الى الشام وقد قالت العلماء ان السفر يسفر عن اخلاق الرجال وهو المميز للذكور عن ربات الحجال وقد قيل ان الدر لو لم ينتقل من معدنه لما رُصِّعت به التيجان ولو لم يسر البدر لكان في غاية النقصان قال الشاعر

من الكامل
سافر تنل رتب المكارم والعلا   فالدر سار فصار في التيجان
والبدر لولا سيره في افقه   ما كان الا زايد النقصان

وقال الاخر

من الطويل
تغرّبْ عن الاوطان في طلب العلا   وسافر ففي الاسفار خمس فوايد
تفرج همّ واكتساب معيشة   وعلم وآداب وصحبة ماجد

وان

وان قيل في الاسفار ذل وغربة　　وتشتيت شمل وارتكاب شدايد
فموت الفتى خير له من حياته　　بارض هوان بين واش وحاسد

ولله در الطغراى حيث يقول

من البسيط
ان العلى حدثتنى وهى صادقة　　فيما تحدث ان العز فى النُقَل
لو كان فى شرف المأوى بلوغ مُنى　　لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

على انى لو كنت اقمت بالقاهرة فى هذا الحال ما كنت ارى فيها الا الوبال وح تمثلت بقول الطغراى المفضال حيث قال

من البسيط
فيم الاقامة بالزوراء لا سكنى　　فيها ولا ناقتى فيها ولا جملى

وبقول الاخر

من البسيط
ارحل بنفسك من ارض تهان بها　　ولا تكن من فراق الاهل فى حُرَقِ
الم تر التبر تُربا فى معادنه　　وفى التغرب محمولا على العُنُقِ

فوطنت نفسى على الاسفار ولو كنت أُكوى بالنار وكنا قد اقلعنا بريح طيب ظل معنا يومه وسفينتنا تميس به عجبا وتتمايل بحسنه طربا وقد ملا شراعها واطلق فى السير باعها وعلى ذكر السفينة ووصف سيرها تذكرت لغزى الذى كنت سالت فيه العلامة الشيخ مصطفى كتاب شيخ مدرسة الطب البيطرى التى انشاها صاحب السعادة بازاء مدرسة الطب

البشرى بابي زعبل وهو هذا

من الطويل

امولاي يا كساب للعلم والتقى ويا بحر عرفان لدى الناس يعذب
سألتك عن شيء ثلاثي احرف به كلفي قلب الشقي معذب
لقد جاء في التنزيل والامر واضح ومثلكم يتلوه دوما ويكتب
وايضا له اسم خماسي قد اتى مونث لفظ للبرية يعجب
يهيم به المُضنى وتجري دموعه ومادّته يشتق منها المهذّب
كذاك له اسم شهير لدى الورى رباعي حروفٍ وهو منها مركّب
مسمى الذي قد قلت يا حبر واحد وانت لبيب ليس ذا عنك يحجب
مَطِيّةُ عزمي الآن دهياءُ قد اتت اليك فريد العصر والحلّ اطلب
واوصاف ما قد قلت اضحت شهيرة كجارية حسناء اللب تسلب
تميس متى تُكسى ويكثر سعيها وان جرّدت للسعي تخشى وترهب
وتحمل ما يعسر على الناس حمله ومحمولة يا قوم منها تعجب
وفي سعيها تمشي على حرّ ظهرها وارجلها للبطش قد تتجنب
تطيع الهوى تخشى اشتداد عصوفه ولكن به تزهو وتلهو وتلعب
وحسبك توضيحي فهات جوابه فلا زلت يا مفضال للحل تُطلب

فاجاب حفظه الله بما نصه

من الطويل

ايا عالما بالعلم منه وبالنهى وبالفضل عند العالمين محبّب

ومن

ومَن حذقه قد شاع شرقا ومغربا   ومن هو بالشعر المهذّب يُغرِب
ولِمَ لا وقد جاز القريض باسره   وطاوعه ما قد يضل ويعزب
وانّى لقُسٍّ وامرءِ القيس مثلَه   كلام يثير العاشقين ويطرب
اتيتَ بشعر كالنسيم لطافةً   فمن يدّعيه فهو لا شك كاذب
والغزتَ في اسم عم في البحر نفعه   ويحمل اثقالا تكل وتتعب
ونوحُ تولاه وابدع صنعه   ونُجّي من الطوفان والموج لاعب
وقال اركبوا فيها فبالله مجراها   كذلك مرساها فلا تترسب
وقد حُلّ لغز التونسي محمد   امام له العليا تنمى وتنسب
فلا زال يُبدي من نتايج فكره   نفايس در تَنْبُ عنها المطالب
وقد الغزتُ في لفظ بحر فقلت

من الطويل

الا قُل لتحرير العلوم ومن غدا   له اللغز طوعا قد يزول نقابُه
فديتك ما اسم من ثلاثة احرف   مسماه يسطو بالانام عُبابه
وفي قلبه معنى اتساع لمن اتى   وان شئت فعلا ماضيا لا تهابه
واول حرف منه ان كنت حاذقا   فسمٍّ بضد البرد وهو انقلابه
بتشويشه تبدو معانٍ ثلاثة   تامل لها فهو العجيب عجابه
امام ملوم والمداد وثالث الـ   ـمعاني امر لا يسرّ مصابه
وان تحذف الثاني فضد لاسمه   يصير فلا يعسر عليك جوابه

وقلت ملغزا في مصباح

من الطويل

الا قل لمن حاز البلاغة والفهما واعطاه رب العرش بين الورى علما
فداك ابوما اسم خماسي احرف به النفع يا حبر البرية قد عمّا
صغير كانملة اذا قست جسمه ويملأ بيتا وهو في حجمه جزما
اذا ما نسيم هب مال صبابة ومهما تقوى مات من وجده حتما
فريد باوصاف حسان سمابها واحسنها ارشاد شخص له امّا
ويمرض مهما طال يا صاح انفه وان قطعت يصحو ولا يذكر الغمّا
ويزهو متى حل البهيم وان راى الـ ـغزالة ذرّت نال من ضعفه وهما
ومن اسمه حرفان شي محبب اذا كان من حلو المراشف والألمى
وباقيه فعل ماض كن متفطّنا وفاعله في الناس يستوجب الذمّا
واوّل حرف منه فاحذو ترى الذى تبقّى رديفا للغداة فكن شهما
وحسبي لقد اوضحت هاتِ جوابه وقد جا في التنزيل فانظره قد تمّا

وقلت ملغزا في السماء

من البسيط

يا من رقى لسماء العلم والحكم وفضله قد غدا ينهل كالديم
بين لنا ما اسم شيء راق منظره وحسنه قد بدا للعُرْب والعَجَم
لكنه ذو ارتفاع لا يُحِلّ به الا الذين حبوا من بارى النسم
منه المصابيح تبدو وهي زاهية بها الهداية في داج لنا بهم

وحسنه

وحسنه الباهر الزاهي نقرّبه   لانه جآء في التنزيل ذي الحكم
مركب من حروف اربع رسمت   في النظم كن فاهما للنظم والكلم
قد تم ارجو جوابا شافيا حسنا   لا زلت يا حبر في عال من الهمم

وقد تذكرت بهذه الالغاز ما للغز به خاتمة المحققين الامام ابن حجر الشافعي رحمه الله في لفظة مُدام ونصه

من الهزج

وما شيءٌ حشاهُ فيه داء   واوله واخره سواءُ
اذا ما زال اخره بجمع   يكون الحد فيه كذا العَناءُ
وان اهملتَ اولَه فَفعلٌ   له بالرفع والنصب اعتناءُ

ولنمسك عنان القلم عن جرية في هذا الميدان اذ لو تتبّعتُ ما قلته من الاشعار والالغاز لطال الحال وجلب الملال ونرجع الى ما نحن بصدده فنقول وعند المساء سكن الهوى وبطل هبوبه وفقد شماله وجنوبه وقدجينا مقابل المِنية وكان فيها جماعة من الغُزّ الذين ابتزّ الله منهم حلة العز فاخذونا بالقوة والقهر واما لوا سفينتنا الى جانب البر وكان معسكرهم مخيما في عرض البلد على النيل وكانوا مقيمين هناك لنهب السُفّار المارّين فغرّموا صاحبنا جملةً من المال وبعد الخلاص اقلعنا عنهم في الحال وفي اليوم الثالث وصلنا منفلوط فاخذنا منها ما احتجنا اليه ثم اقلعنا حتى دخلنا

بني عدي فاقمنا فيها ريثما تاهبت القافلة وخرزوا اسقيتهم
وصنعوا زادهم ثم جيء بالمطي فحملت احمالها وخرجنا مهمها قفرا
حتى وصلنا الى الخارجة في عشية اليوم الخامس فوجدناها قد
دار بها النخيل دورة الخلخال بالساق او التفاف يدي العاشق
على معاطف المعشوق للعناق وفيها من التمر ما تشتهيه الانفس
وتلذ به الاعين مع رخص الاسعار وحسن تلك الثمار فاقمنا
بها مدة خمسة ايام وفي صبيحة اليوم السادس ارتحلنا وسرنا نحو
يومين وفي اليوم الثالث حللنا بلدة يقال لها أبيريس وهي بلد قد
استولى عليها الخراب من ظلم الحكام وتمزق شمل اهلها بعد الانتظام
ففسد ما به من النخيل وذهب رونقه بعد ان كان جميلا فاقمنا
بها يومين حتى افاقت دوابنا وزال عنها العنا ثم سافرنا يومين
ونزلنا في ثالثهما بلدا يقال لها بولاق وهو من الساكن في املاق
قد درست معالم اكثرها وتصدع بناء اقومها واشهرها ومن
العجايب ان نخلها في غاية القصر وهو حامل للتمر لا يتكلف جانيه
للقيام بل يتناول منه ولو في هيئة النيام فتذكرت باسمها بولاق
مصر المحمية حرسها الله من كل آفة وبلية فانهملت دموعي
وهاج وجدي وولوعي فانشدت اقول شعرا

تذكرت

من الطويل
تذكرت بولاقا ومصر واهلها وادكرني هذي التي تدعى بولاقا
فبالله يا عيني اسعفيني بادمع عسى يبرد القلب الذي زاد احراقا

ثم سافرنا مجدين من غير لبس حتى نزلنا عشية النهار على بلد يسمى المَقْس مفرد

من الرجز
وبلدةٍ ليس بها انيس الا اليَعافير والا العيسُ

قيل ان هذا البلد كان اعمر من كل بلد فاخنى عليه الذي اخنى على لُبَد وتمزق شمل اهله ولم يبق به احد وليس به من الاشجار الا ما قل وهو بعض اثل وعبَل فاقمنا فيها يومين وملانا القِرَب وارتحلنا وللمفازة الحقيقية دخلنا فمكثنا خمسة ايام في مهمهٍ قفرا وبيدا اغبر ليس فيها من الحشيش الا ما قل قليلا كما لا يوجد بها شجر يصلح للمقيل وكان يُطبخ لنا في تلك المدة بما تلتقط الخدم من بعر الابل الجاف لقلة الوقد الذي يحصل به الاسعاف وفي عشية اليوم الخامس وردنا محلا يقال له الشبّ وهو محل بين غرود من الرمل عليه ريح الوحشة قد هب فارحنا فيه يومين وارتحلنا وللمفازة الثانية دخلنا فقطعناها عنقا وذميلا في مدة اربعة ايام نزلنا في ضحى خامسها ببئر يقال له سَليمة وبهذا البئر رسوم ابنية قديمة وهو في عرض جبل مسمى بهذا الاسم ايضا

فمكثنا فيه يومين حتى قضينا منه غرضا ومن خواص هذا المحل ان
الحالّ به يستانس به ولا يستوحش منه ومن العجايب ان الشبان
من اهل القافلة يصعدون على الجبل الذى هناك ويضربون
الحجارة بعصى صغار كما يضربون الطبول فيسمع لها صوت كالطبل
ولا يعرف سبب ذلك اهو تجاويف فى الحجر او هى موضوعة على خلو
فسبحان من يعلم حقيقة ذلك واخبرنى اهل القافلة ان فى بعض
الليالى واظنهم قالوا فى ليلة كل جمعة يسمع من الجبل اصوات طبول
وكانه عرس ولا يعرفون حقيقته ثم ارتحلنا صبيحة اليوم الثالث
بعد ملئ ادوات الماء ودخلنا مفازة سافرنا فيها خمسة ايام ووصلنا
فى ضحى سادسها الى محل يقال له لَقِيَّة فوجدنا هناك ابارا محاطة بالرمل
وماوها عذب زلال وقبل وصولنا لهذا المحل عرضت لنا قافلة
صادرة من بئر النطرون المسمى بالزغاوى واهلها من عرب
يقال لهم العمايم فقابلونا بالسلام ثم انصرفوا عنا بسلام فمكثنا
فى لقية يومين وفى صبيحة اليوم الثالث ارتحلنا للزغاوى قاصدين
واذ بهجان اقبل من ناحية دار فور يخبر بوفاة المرحوم الملك العادل
المجيد السلطان عبد الرحمن الرشيد ملك دارفور وما والاها
وسلطان اقصاها وادناها وانه ذاهب الى مصر لتجديد الخاتم

الذى

الذى تختم به الاوامر السلطانية لعدم من يتقنه هناك لابنه
السلطان محمد فضل وذلك لليال مضت من رجب الفرد ١٢١٨
فحزن اهل القافلة على موت سلطانهم وخافوا من وقوع الفتن
فى اوطانهم لانه كان سلطانا عادلا كريما محبا للعلم وذويه مبغضا
للجهل ومن يليه وسنتكلم على عدله واحكامه فيما ياتى بابسط
عبارة ان شاء الله تعالى ثم سافرنا من هناك ثم سافرنا خمسة ايام
الخنا فى سادسها ببئر الزغاوى وهو بئر النطرون وبينه وبين
دارفور مسيرة عشرة ايام كاملة فاقمنا به احدى عشر يوما
نُصلح شؤوننا ونرتاح وترعى دوبنا لنتقوى على قطع هذه المفازة
الدهماء ونُحرتْ فى اقامتنا تلك عدة جُزُر وفُرِّق لحمها على اهل
القافلة واجتمعنا هناك باعراب البادية من دارفور واتونا
بلبن الابل وسمنها فاشترينا منهم ما احتجنا اليه وكانوا اتوا
لهذا البئر لياخذوا منه ملحا ونطرونا لدارفور لان النطرون
واكثر الملح لا يجلب لها الا من هناك وكنا قبل حلولنا بالزغاوى
ارسلتْ اهل قافلتنا هجّانا لدارفور باوراق الى الدولة والى اهاليهم
تعلمهم بالمجيئ وانهم قد قفلوا سالمين وكنتُ قد كتبت معهم
كتابا لوالدى ونصه الى حضرة والدى واعز الناس عندى

السيد عمر التونسي ابقاه الله امين بعد تقبيل اياديه الشريفة
اني قد اتيت مع قافلة الخبير فرج الله بصحبة السيد احمد بدوي
صاحبكم وحبيبكم وفعل معنا من المعروف من اجل خاطركم
ما لا نقدر على وصفه لسعادتكم والسلام كاتبه ولدكم محمد عمر
ابن سليمان فاخذها الهجان وارتحل من وقته ولو ارى في
اسفاري التي سافرتها اهون منها لاني كنت فيها في غاية الراحة
وذلك ان حال خروجنا من بني عدي امر السيد احمد بدوي
عبيده ان يضعوا الخيمة على اهدى جمل وان يوطئوها للركوب
توطئة حسنة ففعلوا واخذ بيدي الى ان سلمني خطام الجمل
وامران يا توا بزمزمية ملانة ماء فجيئت وعلقت على الجمل
وقال هذا جملك تركبه مهما اردت وتنزل عنه مهما اردت
وهذه الزمزمية تشرب منها كلما احتجت الى الشرب وكلما
فرغت مر احد العبيد يملاها لك وامر جميع العبيد والخدمة
بطاعتي في ذلك وكان معه من العبيد الكبار سبعة وعبد
صغير وثمانية من الخدمة ومعه من الجمال ثمانية وستون
جملا قد اعد منها ثمانية للماء واربعة للزاد وفي وقت الدخول
الى المفازة كان يعلق على كل جمل قربتين وكان معه من السراري

خمسة

خمسة وسادستها ابنة عمه السيدة جمال وكانت من اجمل نساء
وكان معه حصان دنقلاوي اسود لا يقوّم بمال لحسنه وعليه
سرج غشاؤه قطيفة خضرا يقوده عبد خاص به وكان السيد
احمد يلاطفني ملاطفة الوالد لولده فكنت اذا نزلت القافلة ربما
نمت من تعب الركوب وهز الجمل وحر الشمس فكان يدثّرني واذا
جيء بالعشاء يوقظني بلطف ويطلب مآء ويغسل وجهي ويدي
ويامرني بالمضمضة لافيق من النوم وياخذ يدي ويضعها في الاناء
وربما اخذ الطعام ووضعه في فيّ ولم يزل هذا دابه معي حتى
وصلنا بالسلامة ثم ارتحلنا من بئر الزغاوي سافرنا عشرة ايام
سفر المجد ناخذ من اول الليل قطعة ومن اخره دلجة حتى وصلنا
ضحى حادي عشرها الى المزروب وهو بئر في اول اعمال دارفور
وقبله بنحو ثلاث ساعات او اربع جاءتنا اعراب بقرب من الماء واللبن
فاستبشرنا بالسلامة ثم نزلنا البئر المذكور فاقمنا فيه يوما وفي
صبيحته ارتحلنا نحو اربع ساعات ووردنا بئرا يقال له السوينة
وهناك قابلنا قايد الولاية وحاكمها وكان يسمى الملك محمد تنجق
وهو قائد الزغاوة وهي قبيلة عظيمة من السودان واهل السودان
يسمون القائد ملكا ومعه جيش كثيف اظنه نحو خمسماية فرس

فسلم على اهل القافلة وهناهم بالسلامة فاقمنا في هذا المحل يومين
ثم ارتحلنا وتفرقت الناس فكل اناس اخذوا طريق بلادهم لان
اهل القافلة كلهم ليسوا من بلدة واحدة فاكثرهم من بلدهم المشهور
المسمى كُوبَيه وبعضهم من كُبْكابِية وبعضهم كالسيد احمد بدوي
صاحبي من سَرْف الدجاج وبعضهم من الشَعِيرية وبعضهم من
جَدِيد كَرْيو وبعضهم من جديد السَيْل فذهب كل منهم في
مذهبه واخذنا طريق سرف الدجاج فسافرنا سفرا هينا نحو
ثلاثة ايام ونزلنا في رابعها قرب الظهر في ظل جبل بقرب بئر
فَقِلنا هناك وجاءت اناس كثيرون يهنوننا بالقدوم وجاء هناك
بدوي ابن السيد احمد ومعه عبيد وخدم باطعمة كثيرة فسلم
على والده وهناه بالسلامة وتغدينا واقمنا حتى انهر النهار واخذ
الشمس الطفل والاصفرار حُمِّلت الاحمال ورفعت الاثقال فلم يات
المغرب الا ونحن على ظهر مقلّون على الجادّة سائرون فدخلنا
سرف الدجاج بعد العشآء مفرد

من الطويل
فالقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالاياب المسافرُ

وبتنا تلك الليلة في مشقة من كثرة المسلّمين وازدحام الداخلين
والخارجين ومع ذلك لم يتهاون السيد احمد بامري ولا شغله

ما هو

ما هو فيه مني بل افرد لي حجرة وجعل فيها من الفرش والانية ما
احتاج اليه وانا لا اعلم ذلك بل حين طال عليّ السهر دخلت عليه
وقلت له اين انام فنادى باحد العبيد وقال له أرِ سيدك
حجرته فاخذني وادخلني حجرة رايت فيها سريرا وفرشا وانية بل
وجميع ما احتاج اليه وبت بانعم ليلة حتى اذا اصبحت لبست
ثيابي ودخلت عليه فوجدته جالسا في أُبّهة عظيمة بين خدمه
وجواريه واولاده قارًّا سارًّا كانه لم يكن مسافرا فرحب بي
واكرمني فقبلت يده وجلست معه ثم قال لي ان ابن اخي
السيد احمد الصغير قد صنع في هذا النهار وليمة القدوم والتمس
مني ان تتوجه اليه وتتشرف مجلسه بحضورك فان رايت بك
نشاطا واردت جبر خاطره فذاك اليك وما اريد ان اشق عليك
فقلت سمعا وطاعة لكني لا اعرف منزله فامر احد غلمانه ان يعرفني
منزله فذهبت وحضرت ضيافته فاعظم ملقاي ورحب بي
وكان يوما عظيما ثم ان جميع اهل القافلة صاروا يصنعون
الولايم فتوالت وكل وليمة يدعونني فاحضرها حتى جاءني وتوجهت
صحبته الى والدي وذلك اني كنت في ضيافة بعض الاصحاب
واتيت قرب المساء فدخلت الحجرة المعدة لي فرايت فيها رجلين

ومبدين اما الرجلان فاحدهما اسمر قصير ذو هيئة حسنة
جميل البزة يقرب لونه من لون الحبشة والاخر اسود رث
الهيئة فسلمت عليهما فردا على السلام وجلست متعجبا
كيف دخلا في حجرتي بغير اذني فرايتهما يتغامزان ويقول احدهما
للاخر اهو هو فيقول الاخر نعم هو ولا اعرف على ما يقولان ذلك
ثم سالني الرجل الاول وقال لي اانت من هنا فقلت لا انا من
مصر جئت ملتمسا لابي فقال ومن ابوك فقلت ابي السيد عمر
التونسي فقال لي السوداني سلم على عمك السيد احمد زروق
فسلمت عليه حـ وبعد السلام اخرج لي مكتوبا فيه بعد
السلام انه قد جاءنا كتاب من ولدنا السيد محمد اخبرنا فيه
انه قدم صحبتك وفعلت معه من المعروف ما انت اهله
فجزاك الله عنا خيرا وهذه منة لا اكاد اقوم بشكرها وصنيعة
لا اقدر على مكافاتها ومن المعلوم ان الهادات سنة من اول
الزمان وقد قبل الهدية سيد ولد عدنان ولذا قال عليه صلاة
ربنا المنان تهادوا وتحابوا وتذهب الشحناء من قلوبكم وقد ارسلت
لحضرتك صحبة اخي السيد احمد زروق عبدين سداسيين
ومهرا احمر ارجو من سعادتكم قبولهم وهم على قدر مقامي لا

على

على قدر مقامك ولله القائل شعرا

من البسيط

جائت سليمان يوم العرض هدهدة اتت له بجراد كان في فيها
وانشدت بلسان الحال قائلة ان الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته لكان قيمتك الدنيا وما فيها

ومنا السلام عليكم وعلى اولادكم واهل منزلكم ومن يحويه مجلسكم السعيد وقال لي خذ هذا الكتاب واقراه على عمك السيد احمد فذهبت به وقراته عليه واحضرت الهدية فراءها وبارك فيها ثم قال اني قبلتها ووهبتها لابني هذا يعنيني فالححتُ عليه انا وعمته في قبولها فابى الا ذلك وقال اني لو افنيت اموالي كلها في مرضاته لما كان ذلك جزاء له بما صنع معى من المعروف فتجاسرت عليه حينئذ وسالته بالله العظيم الا ما اخبرني عن هذا المعروف الذي صنعه معه فقال لي اعلم يا ولدى ان اعداى وشوابي الى حضرة السلطان باني ابيع الاحرارى وزخرفوا له القول حتى استقر في ذهنه ان الامر صحيح فغضب لذلك وقال تاجر مثل هذا في غنائه يفعل هذا الفعل الفقر اولى به فاحضرني من داري على غير صورة وحين دخلت عليه وبخني وقرعني بالكلام المولم وطلبت تحقيق ما قيل في فلم اتمكن من ذلك ولا سمع لي قول

بل امر بالقبض عليّ وان توضع الاغلال في عنقي ويضيّق عليّ
في الحبس وكان من لطف الله تعالى ان اباك حاضر بالمجلس
فلم يتجاسر احد يشفع لي عنده لما قام به من الغضب وحين
راى والدك ذلك تقدم وتنحنح وذكر احاديث في العفو عن
الجاني وتلى يا ايها الذين امنوا ان جاكم فاسق بنبآء فتبينوا
ثم شفع فيّ فشفّعه السلطان وامر باطلاقي وبعد ذلك
ظهرت له برائتي ولكن لولم يسخّره الله لي في تلك الساعة
لذهبتْ نفسي واموالي كلها فاي جميل اكبر من هذا او اي صنع
اعظم من هذا ومع ذلك كله فاجر ابيك فيما فعله مع على
الله واني طالما كنت ارتقب له حاجة تاتي على يدي فاقضيها
له لم يتيسر لي الا هذه الخدمة وعسى ان يكون فيها قضاء
بعض ما وجب علي ولا اظن ذلك ثم اراد عمي ان يسافر صبح
ذلك النهار فابى السيد احمد فمكثنا بعد ذلك ثلاثا وفي صبح
اليوم الرابع دخلت عليه لاودعه فاعطاني خرزا كثيرا يضعه
نساء السودان في اوساطهن من قبيل الزينة يسمى عندهم
رُقَاد الفاقة ومعناه نوم الراحة واعطاني خرزا اخر غالي الثمن
يجعلنه في اجيادهن وهو على انواع منه ما يسمى بالرّيش وهو

خرز

خرز ابيض مستطيل فيه بعض خطوط سمر معروف بهذا الاسم
في مصر ايضا ومنه ما يسمى بالمنصوص وهو خرز اصفر من
كهربان مستدير مفرطح ومنه خرز كروي الشكل احمر غير ناصع
يسمى بالعقيق فاعطاني منها ما يزيد على عقدين وثمنه ينوف
عن ثلاثة روس من الرقيق واعطاني عمامة خضرا من الشاش
جديدة وسنبلا ومحلبا وصندلا كثيرا وهذه الثلاثة من
العطريات يتطيبن بها نساء السودان وقال فرق هذه الاشيا
بين نساء ابيك وذبح لنا شاة وحنذها وبلغتهم يقال لها نصيص
زودناها وودعنا وركبنا وكان مع عمي عبد اخر كبير فركبت الفرس
وركب عمي هجينا وركب الرجل حمارا فارها وسعت العبيد امامنا
وسرنا قاصدين محل ابي وكان بمحل يقال له ابو الجدول وبينه
وبين سرف الدجاج ستة ايام سفر فخرجنا من سرف الدجاج ومررنا
بالبلد المسمى بكبكابية وهي بلد اشبه ببلاد ريف مصر الا انها اعمر
منها واخصب لانها آهلة بالساكن مغتصة بالقاطن واهلها
تجار اغنيا وعندهم من الرقيق ما لا يحصى كثرة ولهم نخيل وارض
واسع فيها ابار قريبة للماء يزرعون بها انواع الخضراوات والبقول
من بامية وملوخية وقرع وباذنجان وفقوس وقثاء وبصل وحلبة

وكمون وفلفل وحب رشاد وكله كما نعهد الا الفلفل فانه حب
رفيع اغلظ من الشعير بقليل وعندهم بعض شجر الليمون الحامض
وبقربهم جبل يقال له مَرَّة وهو جبل يشق اقليم الفور من اوله
الى اخره مع الاستقامة وله عدة طرق تصعد الناس منها اليه
ولكل قطعة منه اسم خاص به غير اسم العام والفور يسكنون
في اعلاه ولا يألفون الوهاد بل يرون ان ذلك اصون لهم ولاموالهم
وسيأتي لهذا مزيد توضيح وحين مرورنا بكبكابية وجدنا سوقها
عامرا فاخذنا منه ما احتجنا اليه ثم توجهنا فسافرنا ثلاثة ايام
في عرض جبل مَرَّة وصرنا نبيت ببلاد اقوام مستوحشين يكرهون
الضيوف خصوصا ان كانوا من اولاد العرب فاصابتنا منهم مشقة
عظيمة حتى صرنا لا نبيت عندهم الا كرها عليهم مع ان معنا ازوادنا
ولا نحتاج لهم في شي فكانوا ينفرون منا بالطبع وبعد ذلك خرجنا
الى السهل فبتنا ليلة واحدة بمحل يقال له تَارْنِيَة فاكرمونا هناك
وصنعوا لنا ضيافة عظيمة وفي ضحى اليوم السادس دخلنا البلدة
التي فيها والدي المسماة بحلة جُولْتُو وهي من جملة حلل ابي الجُدُول
فراينا على باب دار والدي خيلا وحميرا وخدما لاضيافٍ كانوا عنده
فدخلنا الدار وعرضنا جواري وعبيد يسلمون علينا ويهنونا

بالسلامة

بالسلامة ثم جاء والدى بعد ان ركب اضيافه وسلم عليه فقمت
وقبلت يده ووقفت امامه خدمة له فامرنى بالجلوس فجلست
فسالنى ما الحرفة التى تعلمتها فقلت له القرآن وشيا من العلم
فسر لذلك وصنع ثانى يوم مجيى وليمة ذبح فيها عدة شياه
وبقر ودعى الناس فجاء خلق كثير فاكلوا وكان يوم سرور ثم انه بعد
ثلاثة ايام جهزنى وعمى السيد احمد الى الاعتاب السلطانية بهدايا
من عنده الى الحضرة السلطان ووزيره الاعظم اذذاك الشيخ محمد
كرّا والفقيه مالك الفُوتاوى وهو وكيل ابى وحوايجه التى تعرض
للدولة كلها على يده وهو من قبيلة تسمى الفُلّان واهل دارفور
يسمونها الفَلّاتَة وفَلّاتا بالالف فى الاخراج والفقيه مالك المذكور
اعظم الوزراء من اولاد العرب وكان يومئذ السلطان محمد فضل
ابن المرحوم السلطان عبد الرحمن صغيرا وكان زمام الامور كلها
بيد الشيخ محمد كرّا ومعناه بالفوراوية الطويل لانه هو الذى
عضد السلطان محمد فضل بعد موت ابيه واجلسه على سرير
ملكه وناب عنه فى الاحكام وتدبير المملكة لصغر سنه وقد شاع
على السنة الناس اهل دارفور انه من عبيد السلطان وليس
كذلك بل هو حر خدم السلطان واغنى فى خدمته وقام بعباء

الامور حتى ترقى للوزارة العظمى بحسن تدبيره وتصرف في مملكة
دارفور حتى كان لا تعلو على كلمته كلمة غير السلطان وكان رحمه
الله فيه دهاء ومكر وشجاعة واقدام وحيل على الامور حتى ينفذ
اغراضه وستاتي سيرته وسيرة السلطان عبد الرحمن وابنه
السلطان محمد فضل واخيه السلطان محمد تيراب مفصلة
ان شاء الله تعالى فركبنا من ابي الجدول الى تَنْدَلْتِي وهو مقر السلطان
في اول شعبان سنة ١٢١٨ ويسمى بلغتهم الفاشر وكل محل سكنه
السلطان يسمى عندهم فاشرا فسافرنا يومين سفرا غير شطيط
ودخلناه ضحوة الثالث فوجدنا بلدا يموج بالساكن ويرتج
بالقاطن ما بين راكب وماشي وجالس وغاشي وطبول ترعد
وخيول تركض فدخلنا دار الفقيه مالك فوجدناه جالسا بين
خدم وحشم وارباب الحوايج محتفون به فدخلنا عليه فسلم عليه
عمي فاعظم ملقاه ورحب به فعرّفه عمي بي فسلم عليّ وبش
في وجهي ورحب بي ثم ان عمي اعطاه الكتاب الذي له والكتب
التي للدولة فقرا كتابه ورحب وافرد لنا محلا وضعنا فيه متاعنا
ثم اخذنا في الحال الى دار الشيخ محمد كُرّا فراينا دارا على بابها من
الخيل والدواب ما لا يحصى كثرة ودخلنا فرايناه جالسا في

مجلس

مجلس حفل وارباب الدولة محتفون به فسلم علينا ولم يعلم من
انا ثم سال وقال من هذا فقال له الفقيه مالك هذا ابن الشريف
عمر التونسي العالم المقيم بابي الجدول وقد ارسله صحبة عمه ليسلم
على سعادتك وهذا كتاب ابيه فاخذ الكتاب وفتحه ولما علم ما فيه
صار يلاطفني ويحيّني اكراما لوالدي وقُدِمَتْ له الهدية فقبلها
وامر بادخالها الى خزائنه واقبل يلاطفني بالتحية اكراما لوالدي ثم امر
الفقيه مالك ان يبقينا عنده حتى ياذن لنا في التوجه فبقينا عند
الفقيه مالك ثلاثة ايام ونحن في اكرم ضيافة والذ ايتناس وفي
اليوم الرابع دعانا الشيخ محمد كرا على يد الفقيه مالك وكسا كشميرا
اخضر وجبة خضرا وقفطانا من القطن الهندي وامر لي بجاريتين
وعبد وكتب لابي كتابا قراته بعد ذلك عند ابي وصورته من
حضرة من اكرمه الكريم ولا يفارقه الخير والنعيم الوزير الاعظم
المتوكل على من يسمع ويرى الاب الشيخ محمد كرا الى حضرة الاستاذ
الاعظم والملاذ الافخم علامة الزمان ونُخبَة سلالة سيد ولد
عدنان السيد الشريف عمر التونسي دام مجده امين اما بعد
انه قد حضر لدينا نجلكم المكرم صحبة اخيكم المحترم المعظم بما
اهديتموه لنا حسبما هو مشروح في جوابكم ففرحنا غاية الفرح

بامرين الاول اجتماع شملك بقرّة عينك والثانى باننا نوّمل
اقامتك فى بلدنا وهذا هو المقصود الاعظم لتحصل لنا البركة
بكم اهل البيت وقد اتحفناه بما صحبه ونرجوان يكون مقبولا
له بكم ولولا ما نحن فيه من الاشغال لكان الامر ابلغ من
ذلك فالمعذرة اليك وأُأمِّل ان لا تنسانى من صالح دعواتك
والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ثم ان الفقيه مالك قدم
لى جارية ناهدا وجوابا قرأته بعد ذلك ايضا مضمونه بعد
السلام انه قد ورد علينا كتابكم صحبة نجلكم واخيكم وقدمنا
الى حضرة الشيخ محمد كُرّا وقد دخل عليه من السرور ما لا
يعلمه الا الله بقدوم نجلك كما يفصح لك كتابه عن ذلك ونحن
اشد فرحا منه لما بيننا من المودة وما اهداه الشيخ محمد كرّا
لنجلك يُتلى عليك ويصل بين يديك وها نحن قد اتحفنا
نجلك الكريم بجارية كوعبة مَتْرَبَة اراد هنا كاعبة واما قوله مترية
لا معنا له هنا وذلك من جهل الفقيه وهذا اى كاعبة ومتربة
مذكور فى القران فى وصف الحور واراد الفقيه انه يدّعى عالما
فانه غلط وقال هنا قولا بدون معنى واسمها حميدة عسى
ان تلحظ بالقبول كما هو المامول والسلام فاخذنا جميع

ذلك

ذلك وتوجهنا لوالدي فرحين مسرورين ففرح بقدومنا ثم اقمنا
جميعا مدة شهر رمضان وحين انقضائه توجه ابي الى الباشا
للسلام وقابل الاب الشيخ محمد كرا وطلب منه الاذن في
التوجه الى تونس ليرى امه واخويه ويجتمع بهم قبل وفاة امه
واعلمه انه سيتركني في بيته وبلاده لان البلد التي كان فيها
اقطاع له اقطعها له المرحوم السلطان عبد الرحمن قبل وفاته
وكان قبل ذلك اقطعه بلادا في المحل المسمي بقرلي فابى والدي
الاقامة فيه لعجمة لسان اهله وعدم معرفتهم العربي فنقله الى
هذه البلد وهذا الاقطاع يشتمل على ثلاثة بلاد حلة جولتو الذي
فيه بيتنا والدبة وام بعوضة فاتفق مع الشيخ محمد كرا ان يتركني
في هذه البلاد اجمع خراجها وانتفع بزرعها فاخذ عليه المواثيق
بالعود واذن له وكتب له عدة اوامر الى العمال الذين بطريقه ان
يعطوه جميع ما يحتاج اليه وان يرسلوا معه جندا يوصله الى محل
الامن وودعه ورجع الينا مهتما بامر السفر فجهز نفسه في اقرب
وقت وذلك انه باع ما عنده من القطن وكان عنده قطن كثير
ينوف عن مائة قنطار لانه كان زارعا قطعة ارض تزيد عن عشرين
فدانا من افدنة بر مصر قطنا وكانت هذه القطعة يجمع منها وقت

هجوم القطن في كل يوم اربع عشرة ريكة والريكة في عرف اهل
دارفور كالقفة في عرف اهل مصر وهي ربما لو صبت فيها غلال
بيسع نحو خمسة ارباع بالربع المصري فباع كل ذلك وباع مراح
غنم كان عنده وكذا باع البقر والحمير واخذ جواريه وعبيده وما
حصل لي من السيد احمد بدوي ومن الاب الشيخ محمد كرا ولم
يترك لي الا جارية بعينيها بياض تسمى فرحانة وعبدين وامرأتيهما
وحمارا وهجينا ضعيفا وترك لي احدى نسائه تسمى زهرة ولـ[illegible]
اخيه وكل منها معها بنت وباع مطامير الغلال ولم يبق لي الا
مطمورا واحدا واعطاني وثيقة الاقطاع التي كتبها له المرحوم السلطان
عبد الرحمن حين اقطعه الارض المذكورة ونصها من حضرة السلطان
الاعظم والملاذ الافخم سلطان العرب والعجم ومالك رقاب الامم سلطان
البرين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين الواثق بعناية الملك
المبدي المعيد السلطان عبد الرحمن الرشيد الى حضرة الملوك
والحكام والشراتي والرمالج واولاد السلاطين والجبايين واهل
دولة السلطان من العرب والسودان اما بعد فان السلطان
المذكور المبرور المؤيد المظفر المنصور تفضل وامدّ بمعونته واعطى
العلامة السيد الشريف عمر التونسي قطعة من الارض كائنة بابي

الجدول

الجدول حاوية لثلاث حلل من حلة جولتو والدبّة وأمّ بعوضة بحدودها المعروفة والخامها الموصوفة حسبما حدده الملك جوهر للملك خميس عرفان لا يعارضه فيها معارض ولا ينازعه منازع من اهل المملكة خصوصا جبابى العيش يتصرف فيها باى نوع من وجوه التصرفات شآء هبةً لوجه الله تعالى وطلبا للثواب فى دار المآب والحذر ثم الحذر من الخلاف والتعرض من الخاص او العام ثم ان والدى حمّل اثقاله واخذ رقيقه وسريته واخاه وتوجه وابقانى فى الحلة وفى شهر رجب ١٢١٩ سنة قتل الاب الشيخ محمد كرا فى حرب عظيم وقع بينه وبين السلطان محمد فضل وسببه ان اعدآء الاب الشيخ محمد كرا دخلوا بالفتنة والسعاية بينه وبين السلطان وقالوا للسلطان ان الاب يريد نزع المملكة من يدك ويولى عليها اخاه باسى عوض الله فاظلم الجو بينهما واحتال السلطان وجماعته فى القبض عليه فلم يتيسر له ذلك وانعزل الاب بجماعته فى بيت اخر كان له بتندلتى بعيد عن بيت السلطان وارسل له السلطان ان ياتى اليه فابى فلما لم يجد السلطان وجماعته حيلة للقبض عليه وامتنع عنهم منعوه المآء فمكث ثلاثة ايام يستقى من جديد السيل ثم لما اشتد العطش بجماعته قالوا له انا قد

عطشنا ونيس عندنا من الدواب والقرب ما ياتى لنا بالمآء الذى
يكفينا فارحل بنا الى محل اخر نشرب منه المآء او دبر لنا حيلة
فركب هو وعسكره وتوجه للرهد وهو غدير المآء بتندلتى
فوجد عليه حارسا من دولة السلطان مع عسكر كثير يمنع
جماعته وهو الملك محمد دلدن ابن عمة السلطان محمد فضل
فقتله وقتل جماعته قتلا ذريعا وسمع بذلك جماعة السلطان
لخرجوا عليه ونشب الحرب بينهما فانكشفت جماعة السلطان
وكان ظهر يوم الخميس وخاف السلطان على نفسه ففر الى
جديد السيل وكان يوما على السلطان وجماعته لا لهم وما
زال الحرب بينهم حتى امسى المسآء فنزل الشيخ محمد كرا بجماعته
فى عرض الغدير ونزل جماعة السلطان قبالتهم من الجانب
الاخر حتى اصبح الصباح وكان الاب افتقد بالليل جماعته فوجد
اخاه باسى عوض الله قد قتل فى الحرب فحزن لذلك وقال الآن اقاتل
وقد مات اخى واعز الناس عندى وكان قد اخرج معه بالى
طاهر بن السلطان احمد بكر عم السلطان محمد فضل وبايعه
على السلطنة وتلك حيلة عملها لئلا تنفر منه اهل دار فور لان
من عاداتهم ان لا يتولى عليهم الا من كان من اولاد الملوك من

بيت

بيت سلطانتهم ولما علم بقتل اخيه قال لمن حوله انى قد
كرهت الحياة ففى غد اياكم ان تقاتلوا بل ادخلونى فى الحرب
وانجوا انتم بانفسكم فحين شاع عنه ذلك فرت جميع عساكره
الا باعد ولم يبق معه الا ذوو قرابته فى نفر يسير تبلغ عدتهم
الفا او اكثر بقليل فلما اصبح ضربت طبول الحرب وركبت
جماعة السلطان وركب هو ايضا فى جماعته وادخلوه فى
الحرب والتحم القتال وغاص الاب فى جماعة السلطان واخترق
الصفوف حتى لم يبق بينه وبين السلطان احد ولو اراد قتله
لفعل ولكن تذكر معروف ابيه فمنع يده عنه ووقف امامه برهة
وقال له يا ابن الفاعلة اتسمع فى كلام الناس ويكون هذا
جزاء معك وخاف السلطان على نفسه منه واراد ان
يفر ونادى قد جاء ليقتلنى فانطبقت عليه الناس من
كل جانب وداروا به كالخاتم بالاصبع ولم يجد معينا الا مسا عداً
فقاتل حسب طاقته وقتل عدة ابطال وجرح جراحات
غير بالغة فلم يكترث بها وخافوا ان يدركه احد من جماعته
فيخلص من ايديهم مع ان جماعته كلها انكشفت عنه
وبقى فيهم وحده فصار يقاتلهم نحو ساعة ثم لما عجزوا عنه

عقروا جواده فوقع على الارض فما استطاع النهوض لثقله لانه
كان لابسا درعين من الحديد فتكاثروا وتكالبوا عليه بالرماح
والسيوف حتى قتل رحمة الله عليه ولقد جُرِّد بعد موته فوجد
فيه ما ينوف عن ماية جرح من ضربة سيف وطعنة رمح ورجع ابن
زوجته محمد شيلفوت ظنا منه ان يجده حيا فينقذه من ايديهم
فوجده قد قتل فجرد سيفه وغاص فيهم فقتل منهم عدة ابطال
وهو ينادي يا لثارات الشيخ محمد كرا واخيرا تكالبوا عليه وقتل
هو الاخر بعد ان قتل اكثر من عشرين من المعدودين واذ قد
ذكرنا مقتل الاب الشيخ محمد كرا فلنذكر مبدا امره وكيف ترقى
به الحال ونتعرض لسلاطين دارفور حسبما علمنا من ثقاتهم
واخبرني به الجم الغفير من مسنيهم فاقول ان السلطان
محمد تيراب هو ابن السلطان عبد الرحمن بن السلطان احمد بكر
قيل ان السلطان احمد بكر كان له من الولد سبعة بنين وهم
عمر وابو القاسم وريز وريفا وتيراب وطاهر وعبد الرحمن وهو المدعو
باليتيم لان اباه مات وتركه حملا فلما حضرته الوفاة جمع ارباب
دولته وجعل ولاية العهد لجميع اولاده يتولاها كلهم الاكابر
فالاكابر وشرط ان لا يتولى هذا الامر احد من اولادهم الا بعد

انقراضهم

انقراضهم فلما توفي تولى اكبرهم المسمى بعمر فمكث في الملك سبع
سنين ثم قتل في حرب كان بينه وبين السلطان جودة سلطان
دار صليح المسماة بدار وداي وبدار برقو ثم تولى بعده اخوه
ابو القاسم فمكث ثمان سنين وقتل في الحرب مع سلطان
برقو ايضا ثم تولى بعده السلطان محمد تيراب فكره الحرب واقام
في بلده آمرا ناهيا سلطانا ثلاثا وثلاثين سنة انما سمي تيراب
ارض الشام لان الفور يسمعون ان ارض الشام مخصبة
وانها من ارض الجنة سيما وفيها المحشر وهي عش الانبياء
فلقبوه بهذا اللقب لصدور الافعال الجميلة منه كما ان
ارض الشام نباتها كلها جميل ومعنى تيراب بلغتهم الحبوب
التي تزرع في التراب التي يعبر عنها اهل مصر بالتقاوي واهل
المغرب بالزريعة ولقبوه بذلك لانه كان رجلا كريما حليما
واسع الصدر جيد التدبير شفوقا على المساكين وكان اناة
وكان فيه مجونا يحب الزينة وانواع الملاهي وكانت ايامه كلها خصبا
ودعة ورخاء اسعار الا ان اخر امره كرهته الناس لظلم اولاده
لان له ما ينوف عن ثلاثين ولد ذكر غير الاناث فصاروا اربعون
ويجوسون خلال البلاد وكلما سمعوا بشيء جميل اخذوه من

صاحبه ويكلفون الرعية ما لا تطيق حتى كان فيهم ابن له يقال
له مساعد كان من عتوه وتجبره يابى ان يركب الخيل بل كان
يركب ظهور الادميين فكلما وجد شابا امر بالقبض عليه
وركبه حتى اعياه وربما سافر السفر البعيد لا يركب فيه جوادا
ولا حمارا بل ينتقل على الناس حتى ينتهى سفره واذا لم يجد غريبا
ركب من جماعته وكانت الرعية ترفع شكاياتهم لابيهم فكان
لا يشكوهم ولا يقبل منهم بل ربما غضب وقال ان هذا لهو
العجب اقليم مثل هذا لا يتحمل اولادي وكلما عملوا صغيرة يشكو
الي فلما راى الناس ذلك ابطلت الشكوى ورفعت امرها الى
الله عز وجل وكان قد ولى المناصب الجليلة لاقارب ازواجه
فكانت جميع وزرائه اقارب زوجاته وكان اكبر اولاده اسحاق
المسمى بالخليفة كان اسحاق المذكور شجاعا مهابا ذا راي وحزم
الا انه كان فيه نوع ظلم وجور وسبب تسميته بالخليفة
ان اباه جعله خليفة بعده ولقبه بهذا الاسم وجعل له دولة
كدولته ووزرآء كوزرائه فكل وزير كبير له وقد كان السلطان
يامره ان ياتي بابنه للخليفة ليكون عنده بمنزلة ابيه عند
السلطان ومكث على ذلك مدة حتى سافر السلطان تيراب
الى

الى كُورْدُفال وابقاه خليفة فى دارفور كما ياتى بيانه ان شاء الله تعالى

وكان السلطان تيراب يحب الخلاعة والانبساط حتى كانت الشبان تلعب مع البنات امامه اى يرقص البنات والشبان وهو ينظر اليهم فمما اتفق ان جائت امامه طائفة من البِرْقِدِ وهم قبيلة من السودان لهم رقص معلوم يسمى تَنْدَكَّه ومن عاداتهم اذا تعبوا من الرقص تجلس كل فتاة وشاب معا على حدة فلعبوا حتى تعبوا وتفرقوا وجلسوا على عاداتهم فقال الشاب للفتاة اترضى ان اكون لك زوجا فقالت نعم ما الذى تعطينى من المهر فقال لها انا رجل فقير ولا اجد شيا اعز من المقابل لنا هذا واشار الى السلطان وكان السلطان جالسا على كرسى مقابلا لهما فقالت الفتاة قد رضيتُ ونظر السلطان لاشارتهما اليه فدعى بهما فلما مُثّلا بين يديه سالهما عن ذلك فقال الشاب انى سالت محبوبتى هذه فى ان تتزوجنى فرضيتْ وطلبتْ منى المهر فقلت لا املك شياء اعز من هذا المقابل لى واشرت اليك فانبسط لقوله وقال ارضيتْ بى مهرا لها قال نعم فقال السلطان اترضينى بالفداء وانا افدى نفسى قالت نعم ارضى فدعا بابيها وخطبها منه وعقد له عليها وامهرها جاريتين واعطى الرجل

عبدا وامر لهما برزق يعيشان فيه وهذا نهاية مكارم الاخلاق
اذلا شيء اعظم من جمع بين متحابين في الحلال ومن ذلك ما
حكى عن ابي بكر الصديق رضى الله عنه انه كان في ايام خلافته
يطوف في المدينة المنورة بالليل ليقف على احوال الناس ويعلم
مظلومهم من ظالم وبينما هو في طوافه اذ سمع جارية تغني
وتقول شعرا

من الكامل

وهويته من قبل قطع تميمتي   متمايس مثل القضيب الناعم
فكأنّ نور البدر يشبه وجهه   يغيب ويبدو من ذواية هاشم

فطرق رضى الله عنه الباب وقال لها من هويت فقالت اليك
عني فقال لا بد وان تعلميني فقالت له بحق صاحب القبر الاما
انصرفت عني فقال والله لست بزائل من مكاني هذا حتى
تعلميني فتنفست الصعدآء وقالت وانا التي قدح الغرام بقلبها
فتنت بحب محمد بن القاسم فقال لها احرة انت فقالت لا بل
مملوكة فقال لمن قالت لفلان سمته له فتوجه رضى الله عنه
ولما اصبح سال عن محمد بن القاسم فوجده غازيا بالعراق فارسل
الى مولاها واشتراها منه وارسلها الى محمد بن القاسم بالعراق
وكتب له القصة ثم قال واعلم يا بني انه كم مات بهن سقيم

وعطب

وعطب بهن سليم ومن ذلك ما حكي ان سليمان بن عبد الملك
ابن مروان كان غيورا على النسآء جدا حتى انه ربما سفك دم من
ظن انه نظر لبعض محاظيه نظر عشق فاتفق له ان احضر مغنيا
في بعض الايام وكان في النهار فاجلس المغني تحت السرير وامره
ان يغني واستلقى على ظهره على السرير وكانت معه جارية تروح عليه
من شدة الحر فاخذه النوم فرفع المغني راسه على حين غفلة فرأى
الخليفة قد نام والجارية تروح عليه فتاملها فوجدها كالشمس
في رابعة النهار فافتتن بها ولم يقدر على التكلم خوفا من الخليفة
فانهملت دموعه وهاج ولوعه فاخذ قرطاسا وكتب فيه شعرا

من الرجز
اني رايتك في المنام ضجيعتي   مسترشفا من ريق فيك البارد
وكاننا وكاننا وكاننا   بتنا جميعا في فراش واحد

ثم القاه عليها فاخذته وقراته وكتبت له فيه

من الرجز
خيرا رايت وكلما املته   ستناله مني برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلي ودمالجي   وتحل بين مراشفي وسواعدي
ونكون اول صاحبين تلاقيا   رغم الزمان بلا مخافة حاسد

ورمت القرطاس اليه فالتقفه الخليفة قبل ان يصل اليه فلما قراه
احمرت عيناه وكاد يتميز غيظا وقال ما حملكما على ما صنعتما احب

قديم بينكما ام عشق خامركما في هذه الساعة فقالا بل والله في
هذه الساعة ولم يكن لنا به عهد قبل ذلك وانهملت دموعهما
فلما رأى منهما ذلك رق لهما وقال للمغني خذها ولا تعد تقاربنا
انتهى فعاش السلطان تيراب مدة مديدة كما ذكرنا واكثر من
الازواج والسراري حتى كان له من الولد اكثر من ثلاثين ذكرا راكبين
الخيل غير الاناث والصغار وفي ايامه تلك خدمه الشيخ محمد كرا
وكان غلاما مراهقا فامره ان يكون في الكُورْكُوا اى اهل الحرب
اى يكون مع الجماعة الذين يحملون الحراب خلف السلطان حين
يركب وحين يجلس للحكم ولا خصوصية للسلطان في ذلك بل كل
ملك من ملوك الفور وقائد من قوادهم له جماعة يحملون الحراب
خلفه حين يركب او يجلس للحكم يسمون كُورْكُوا ويرون ان ذلك
من تمام نظام الملك حفظا للناموس وهيبة للمخدوم في قلوب
رعاياه فخدم الشيخ محمد كرا في تلك الخدمة مدة وظهرت منه
علامات النجابة فاحبه السلطان تيراب ونقله الى سُومِيِنْدُقُلَّه
والسوم هو الدار وين هو علامة الاضافة والدُقُلَّه هو العيال
ومعناه دُرَا العيال والدُرَا بلغتهم العربية اسم للمحل او الدار واهل
سُومِيِنْدُقُلَّه هم الامنا على مصالح المخدوم يرسلهم في اسراره ثيسهم

اعظم

اعظم مقاما من رئيس كوركوا فاغنى في خدمته حتى ان السلطان
كان لا ينادى في اكثر حوايجه غيره فحسده بعض اهل الدار فسعى
به الى السلطان قائل ان محمد كرا خائن غدّار وانا اراه يجتمع هو
وفلانة الحظية في كل ليلة وتاتيه بالطعام الجميل فغضب
السلطان لذلك وهمّ بالبطش به فبلغ الخبر الى كرا فاخذ مديته
واختلى بنفسه في حجرة واستاصل مذاكير نفسه بيده وجآ بها
الى السلطان وكان قريبا منه والقاها بين يديه وقال انما قيل
فيّ ما قيل لمصاحبتي لهذه وها انا قد استاصلتها لئلا يبقى في
قلب مولاى مني ريب ثم سقط مغشيا عليه فرحمه السلطان
وامر بمداواته فعولج حتى برا ثم ان السلطان امره ان يكون صحبة
الامين علي وذجامع احد الوزرآء العظما ووصّى عليه الامين المذكور
بان قال له خذ هذا الغلام الى دُرَاك واعتنِ به واكرمه واياك
ان تتهاون به فاني ارجوان يخلفك في منصبك فاخذه الامين
على مضض منه ووضعه في سُومِينْدُقُلَهْ كما كان عند السلطان
وقد ذكرنا قريبا ان اهل سوميندقله هم الامنآء على المصالح المهمة
يرسلهم المخدوم في اسراره فجلس كرا في ذلك المحل مدة وكان
لا يغيب عن باب مخدومه وكلما نادى الامين على احد من اهل

سوميندقله يجيبه محمد كرا بل ربما لم يجد غيره فكان يرسله فى
قضاء مصالحه وكان من عادته ان لا يذهب لقضاء مصلحة الا
نجح واغنى فيها فاحبه الامين فهرا عنه لما راى من كفايته فجعله
ملكا على اهل سوميندقله وميزه عنهم فصارت جميع الخدمة تحت
يده يأتمرون بامره وحين ولى هذا المنصب اجتهد فى الخدمة زيادة
عما كان عليه ولازم رباب مخدومه وكان فى الامين نوع اهمال للامور
منه انه كان يأتيه من الطعام وقت الغداء والعشاء ما ينوف
عن الوف اناء فكان لا يلتفت الى ذلك بل كان يأتيه هو ومن معه ما
يكفيهم والباقى تتوزعه الخدمة بغير ترتيب وكثير من الانية ما يرجع
الى الحريم ملانا فالتفت محمد كرا الى ذلك ورتبه احسن ترتيب وهو
انه كان يبث الخدمة فى اتباع سيده ينظرون من عنده ضيوفهم
فيأتونه بالاخبار ويقولون فلان عنده ضيف وفلان وهلم جرا
فكان اذا احضر الطعام اختار لمخدومه من احسنه ما يكفيه هو ومن
معه ثم يوزع على الخدمة كفايتهم ثم يوزع الباقى على محال الضيوف
كل منها على حسب حاله فى المرتبة والغنى والجاه والعلم ويوصى
الحاملين ان يقولوا ان الامين ارسل لكم هذا ضيافة والامين
لا يعلم شيا من ذلك فصارت الناس تتشكر للامين وتتمدح به

وحين

وحين ياتون اليه يقولون جزاك الله خيرا ارسلت لنا الضيافة
العظيمة فلا يوجد نظيرك في امنآء السلطان ويثنون عليه غيبة
وحضورا فكان الامين يتعجب من ذلك ويقول هولاء يثنون
علىّ ويقولون انى ارسلت لهم الطعام مع انى لم افعل شيأ من
ذلك لانه لا يعلم سببه وبقى متحيرا كيف يعلم سبب ذلك حتى
اتفق له ان كان في الحريم عند المسآء وجآء خارجا الى الديوان
فراى محمد كرا يوزّع الاطعمة فلما احس بذلك تربّس واكمن في
محل فسمع الشيخ محمد يقول للخدمة كم في بيت الملك فلان من
الضيوف فقالوا له كذا وكذا فقال احملوا لهم كذا وكذا اناأ وقلوا
لهم قد ارسل هذا العشاء الامين حتى وزّع الطعام كله فقال من
هنا جآء العمل فضنّ به واكرمه واعلا رتبته وجعله على الكورايات
في عرفهم هو الذي يحكم على الخيل وجميع الخدمة وهو منصب
جليل عندهم وان كان في عرف غيرهم لم يخرج عن كونه رئيس
السياس واقام محمد كرا في صحبة الامين على على هذه الحالة
حتى سافر الامين على الى كُرْدُفَال صحبة السلطان تيراب وسافر
معه الشيخ محمد كرا سبب سفر السلطان محمد تيراب
الى كُرْدُفَال قد حكى لي الثقة العارف بالانساب ان السلطان

سلوك المدعو سليمان الجد الاول لسلاطين دارفور كان له
اخ يقال له المسبّع فاقتسم هو واخوه الاقليمين فاخذ السلطان
سليمان اقليم دارفور واخذ المسبّع اقليم كردوفال وتعاهدا
ان لا يخون احد منهما صاحبه فبقيا كذلك حتى كان في زمن
السلطان محمد تيراب كان الوالي على كردفال من اولاد المسبع
السلطان هاشم المسبّعاوي وكان فيه شهامة وشجاعة واقدام
على الامور الشاقة فاكثر الغزوات على بلاد التروج والعرب البادية
حتى صار ذا مال عظيم وصار عنده من العبيد ما ينوف عن عشرة
الاف عبد حامل للسلاح واجتمعت عليه اوباش الناس من
الدناقلة والشايجية والكبابيش وعرب الرزيقات حتى صار
في جند كثير فطمعت نفسه في تملك دارفور واستشار
ارباب دولته في ذلك فاشاروا عليه ان يبث السرايا اولاً على
اطراف البلاد ليضعفوا اهل مملكة دارفور ثم بعد ذلك يتوجه
اليها فسمع قولهم وبث السرايا على اطراف مملكة دارفور
فقتلت وسبت واغتنمت اموالا عظيمة فارسل السلطان
تيراب الى السلطان هاشم يقول له بعد السلام يا ابن عمي
ارسلت سراياك على اطرف بلادي وانت تعلم ما بيننا من

المودة

المودة ولم يقع منا ما يخالف المودة مع انك تعلم ان الذين اخذت
اموالهم مسلمون والذين قتلوا موحدون وهذا الفعل لم
يبيحه احد ولا يفعله عاقل فاذا وصلك كتابي هذا فانتهِ والا
سيلقى الباغي مصرعهُ والسلام فلما وصله الكتاب مازاد
الاعتوا واستكبارا وبث السرايا ثانيا فعلم السلطان
تيراب انه ان لم يتداركه ويستاصل نشا فتنه زاد شره ولخرب
البلاد فتجهز وتوجه اليه وهذا هو السبب الظاهر والسبب
الباطن انه يعلم ان الناس غير راضيين منه ولا يرضون بتولية
احد من اولاده خصوصا مع وجود اولياء عهد السلطان محمد
بكر الذين هم اعمامهم ولا سيما اذا تذكروا ما وقع منه ومن اولاده
من الظلم وهو يريد لن يعهد الى اكبر اولاده المسمى باسحاق الخليفة
كما تقدم فاغتنم الفرصة حين وقع من هاشم ملك كردوفال هذا
الامر واغتاظ في الظاهر واعلن ان هذا الامر لا يقوم به غيره
مع انه لو بعث الامين على او احد وزرائه لكفاه مونة للسفر
والمشقة ولكن اراد ان يسافر وياخذ معه جميع اولاد السلطان
كبارا وصغارا ويقتحم بهم الحروب حتى يهلكهم ويهلك الوزراء الذين
لا يحبون الولاية لابنه ليتمكن اسحاق من البلاد والاموال والرجال

وينفرد بالذكر ولما كانت هذه نيته جمع جميع اولاد السلطان والوزراء الكبار وابقى مع الخليفة اولاد الوزراء كل منهم في منصب والده وارتحل بهم على هذه النية وان كان اخفاها فقد ظهرت على حد قول القائل ...

من الطويل
ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

مع انه عومل بخلاف قصده واعقبه الله تعالى بقتل ولده ولم ينفع تدبيره بشي ورحم الله القائل

من المديد
انّ الطاف إلهي لم تدع في الكون ضنكا
كلما رمتُ احتيالا لي قالت خلِّ عنكا
سلّم الامر الينا نحن اولى بك منكا

وفي كون الامور دائما تاتي على خلاف المراد قال المتنبي

من البسيط
ما كل ما يتمنى المرء يدركه تاتي الرياح بما لا تشتهي السفنُ

فلما سمع ملك كرد فال بقدومه فر هو وجماعته واستجار بملك بسنار واقام عنده فدخلها بغير حرب وصار يبث السرايا والجنود في اطراف البلاد حتى دوّخها وجبى الاموال واستقامت الاحوال فمكث على ذلك حتى حال الحول وملت الناس من المقام وسالوه العود الى بلادهم فغضب لعدم ظفره بما امّل لكنه اخفى ذلك وقال

لهم

لهم كيف ترجعون وقد بلغني ان هاشم استجار بملك سنار وملك
قد جهز له جيشا ويريد القدوم علينا فان رجعنا وجاء بعدنا
ظن انا فررنا منه ونال من البلد مراده وبعد ذلك يغزونا ويحوجنا
الى الرجوع له ثانيا وانا الآن مضمر اني اتوجه اليه قبل ان يأتي ولكن
حتى اتحقق الخبر ومكثوا بعد ذلك مدة فلم يظهر لما قاله اثر فتنكرت
قلوبهم وسآءت احوالهم واشتاقوا الى اهلهم وعيالهم وتذكروا
مع بعضهم في ذلك في خلوة فقال الوزير الامين علي ود بر قوق وكان
صهر السلطان اي ان السلطان كان متزوجا بابنته ما ذا جعلتم
لي ان قتلته وارحتكم منه وتولون بعده عليكم من شئتم فضمنوا
له مالا عظيما وتعاهدوا معه على ذلك وجعل بينه وبينهم العلامة
صوت الطبل فمهما سمعوا الطبل يكونوا على اهبة مستحضرين
فصبر الامين علي حتى جن الليل ولبس درعين سابغين متينين
ولبس ثيابه عليهما وتقلد بسيفه ودخل دار السلطان وقصد
حجرة ابنته لما يعلم من حب السلطان لها لان السلطان كان
له بها مزيد اعتنآء فكثيرا ما كان يجده عندها فلما دخل عليها عرفت
الشر في وجهه وخانه جده ان السلطان لم يكن عندها في تلك
الليلة فسالها عن السلطان فقالت لا اعلم اين هو ولكن ان

اردت بحثتُ لك عنه واعلمه بقدومك فقال لها نعم ما تصنعين
لانى شديد الاحتياج اليه فى هذه الليلة وكانت فى وقت محادثتها
له رأت طوق الدرع من تحت طوق الثوب فتاكدت الشر وذهبت
الى محل السلطان واعلمته ان اباها جآء طالبا له وانها رأت منه
امورا انكرتها منها انه لابس درعا تحت ثيابه ومتقلد سيفه مع
ان العادة لا يدخلون على السلطان بسيف ابدا ومنها ان فى وجهه
علامة الغضب فاحس السلطان بالشر لانه هو الذى كان يلح
عليه بالعود ويبالغ فى القول له فامرها ان لا تعود اليه وخرج السلطان
ونادى كبرآء العسس وامرهم بالقبض على من جآء خارجا عن الدار
وان افلت منهم لا يلومون الا انفسهم واخذ هو جماعة منهم حرسا
له متأهّبين باسلحتهم وغاص فى لجة داره ودخل فى حجر بعض نسائه
واحتاط الحرس بها فجلس الامين على فى انتظار ابنته تعود فلم تعد
اليه بخبر السلطان او ان السلطان ياتى اليه ليبلغ أَرَبه منه فلم
ياته احد بل كان كالباحث عن حتفه بظِلْفه والجادع مارن انفه
بكفه على حد قوله

من مجزو الهزج

الى حتفى سعى قدَمى ارى قدَمى اراقَ دمى

ولما اعياه الانتظار قام يريد الذهاب الى داره خوفا من ان يطلع

النهار

النهار عليه ويفتضح فمشى قليلا حتى اذا قارب الغسس نهضوا اليه
وقالوا له ارجع حيث كنت فابى وعرّفهم بنفسه لاجل ان يخلّوا
سبيله فما امكن بل قالوا له نحن مامورون بالقبض عليك ان
لم ترجع الى المحل الذى جئت منه فسبّهم واراد ان يخرج قهرا
عنهم فهجموا عليه ليوثقوه حتى يُصبح فقاتلهم وجرح أُناسا منهم
فتكالبوا عليه وقتلوه ولم يستفد من بغيه الا فناء اجله ولهذا
قال عليه الصلاة والسلام لكل باغ مصرع اوكما قال رحمه الله
السيد علي الغراب حيث يقول

من الخفيف

زارع البغى حاصد للندامهْ | فاطلب السِلْمَ ان اردت السلامهْ
لا تثق بالمُنَى فما كل باغ | نال ما يرتجى ووُفِّى مرامهْ
ربما كانت الامانى مطايا | للمنايا وموردا للندامهْ
ربما خيِّلَت لراجٍ منالا | مثلما خيِّلَت لراءٍ منامهْ
رُبَّ ساعٍ ليجتنى طِيبَ عَيْشٍ | وهو يجنى وليس يدرى حمامهْ

وأُخبر السلطان ح بموت الامين فقال اجعلوه فى رداء وضعوه فى
محل حتى يصبح وحين بزغ الفجر امر السلطان باحضار عبيده
كلهم لابسين السلاح فحضروا ورتّبهم على الابواب وامر البوابين
أن يفتحوا الابواب حتى اذا لم يبق احد اغلقوها عليهم وامرهم ان

لا يدعون حواشي القواد يدخلون معهم بل لا يدخل الا الامرآء
فقط ووصى العبيد اذا أُغلِقت الابواب تاتي جماعة منهم ويقفون
امامه محيطين بالعالم الذين يكونوا في المجلس ثم امران تضرب
الطبول ضرب حزن وازعاج لان لهم في حال السرور ضربا معروفا
وفي حال الحزن كذلك فضربت الطبول كما امر وجآءت الوزرآء والملوك
على طبقاتهم ظنا منهم ان علي ود برقو فعل ما اتفق معهم عليه فجاءوا
متهيين فحين وصلوا الى باب دار السلطان راوا الامر على غير ما
يعهدون فلم يجدوا بدا من الدخول ودخلت اتباعهم معهم
فمُنِعوا وبقوا منفردين عن اتباعهم وجاء العبيد الذين اوصاهم
بالاحاطة بهم فاحاطوا بهم شاكين السلاح مُظهرين الغضب
وخرج السلطان عليهم غارقا في ثياب سود مُتَطَيلسًا بكشمير
احمر وهذا نهاية الغضب فجلس السلطان في محله المعد له
وامر باحضار القتيل فأُحضر ملفوفا بالردا فامر بوضعه في وسط
الحلقة وقال اريد منكم ان تعرفوا هذا من هو فبادروا اليه وكشفوا
وجهه فعرفوه ولم يتجاسر احد منهم على التكلم لما قام عنده من
الغضب فقال لهم السلطان هل عرفتم هذا فسكتوا كلهم
فقام رجل منهم ذو دهآء وصهر السلطان ايضا فقال قد عرفناه

وهو

وهو الامين على ود برقو وقد دخل عليك باطلاعنا اجمعين فان
اردت قتلنا فها نحن بين يديك وان عفوت فالامر اليك
فقال السلطان وما حملكم على ذلك قال انك اتيت بنا الى هنا وتعلم
ان لنا في بلادنا اهلا وعيالا واولادا قطعتنا عن رويتهم والتمتع
بمعاشرتهم وليس لنا هنا شغل نعذرك في الاقامة بسببه
ولسنا نراك ناويا اوبة ولا يطيب لنا عيش الا بمكاننا فاجل
ما تصنع معنا ان تردنا الى اوطاننا فان قلوبنا انكرت الغربة
وحنّت الى الاوطان

من الطويل
حنيني واشواقي لاول تربة ... واول ارض مس جلدي ترابها

لا سيما وقد ورد عن سيد ولد عدنان حب الوطن من الايمان
فلما سمع مقال ذلك الرجل عرف صدقه وخاف ان بطش باحد منهم
قامت عليه القيامة لانهم معذورون في ذلك فتخلص منهم بان
قال لا تستعجلون موتي فاني ميت لا محالة لاني مريض مرضا لا
يمكنني اطلاعكم عليه وهو الذي يمنعني عن السفر فان عافاني
الله في هذه المدة رجعت بكم واياكم ان تفعلوا مثل هذه والسلام
ثم انه بعد ذلك بايام اظهر انه مريض وصار لا يخرج الى الديوان
ولا ينظر في احوال الناس مع انه معافى الجسم ولم يعلم ان من

تمارض انقلب الهزل جدا ومرض حقيقة وربما مات وقد قال عليه
افضل الصلاة واتم التسليم لا تمارضوا فتمرضوا فتموتوا فانقلب
عليه الدست وحل به المرض والمقت وايقن انه هالك لا محالة
وكتب ح للخليفة كتابا يقول فيه بعد السلام اعلم يا ولدى
انه قد اعترانى مبادى ما لا بد منه ولا محيص عنه فاذا وصلك
كتابى هذا فخلو ولدك خليل على دارفور وعجل بالقدوم عسى
ان تدركنى وبى رمق لعلى ادبر لك شيئا ينفعك والسلام وختم
الكتاب وارسله صحبة هجان وطاش الخبر ان السلطان ثقل
عليه المرض وأُرجِفَ بموته وصارت الناس لا يتحدثون الا بذلك
وكان محمد كرا كثيرا ما يدخل دار السلطان ويجتمع على نسائه وكان
من يجتمع عليها إياكُرى كِنَانة اعظم نساء السلطان صاحبة
الرتبة الجليلة لان كل سلطان يتولى لا بد وان يحب احد نسائه
ومن احبها وقلدها امور الحكم فى بيته هى التى تسمى إياكُرى حقيقة
وهذا اللفظ معناه السيدة الملكية وان قيل لغيرها من نساء
السلطان اياكرى فذلك من قبيل التعظيم لا غير وهذه كنانة
كانت صاحبة راى وتدبير كان السلطان تيراب لا يالو غيرها
الا الباسا ولهذا قلدها هذا المنصب لان هذا المنصب له

اقطاع ومعاليم واموال تُجبى لها منه وتصدر منها اوامرولها
قواد يضبطون اموالها واحوالها فلما رأت ان السلطان
ميت لا محالة خافت على نفسها وكان لها ولد يسمى حبيب
خافت عليه ايضا فاجتمعت على محمد كرا وقالت له يا محمد هل
لك في حيلة تخلّصني وولدي من هذا الامر قال لها نعم الحيلة انك
تصلين حبلك باليتيم لانه هو صاحب الدولة بعد السلطان
تيراب لان كل الناس راضون عنه فقالت هل لك ان تجعل
بيني وبينه عهدا وتتوثق منه بانه اذا تولى يجعلني اباكرى ويجعل
ولدي حبيب خليفة فقال لها كرّا افعل ذلك ولكن ما يسرُّك
ان شاء الله وكانت كنانة تخاف على ولدها حبيب من الخليفة
اسحاق لانه ابن ضرتها وعرفت ان اليتيم لا ولد له فقالت
يربي ولدي فذهب اليه محمد كرا واقرأه سلامها واخبره انها
تريد ان تعينه على التولية بشرط ان يتزوجها ويجعل ولدها
خليفة فعاهده على ذلك فقال محمد كرا وماذا لي انا ايضا ان كتمت
سركما واعنتك بجهدي على التولية ودبرت بحيلتي على قدر طاقتي
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما تموت الافاعي من سموم العقارب من الطويل
فقال اليتيم ان فعلت ذلك واغنيت فيه قلدتك منصب

الاب وعاهده على ذلك فرجع اليها محمد كرا واعلمها انه استوثق
منه بما ارادت فاطمانت لذلك وصارت ترسل معه اخبار السلطان
وقتا فوقتا ولما ثقل مرض السلطان تيراب ويئس من مجى
ولده اسحاق الخليفة احضر الامين على ود جامع سيد محمد
كرا والامين حسب الله جران والامين ابراهيم ود رماد والاب
الشيخ عبد الله جُثًا واميناً اخر نسيت اسمه وقال اعلموا
انى صنعت معكم معروفا وارجو ان تكافئونى عليه بتنفيذ
وصيتى التى اريد ان اوصيكم بها فقالوا سمعا وطاعة فقال
للامين على انى اوصيك اذا انا مت بان تجمع العساكر كلهم تحت
يدك وتوصلهم الى اسحاق ولدى بدارفور فقال سمعا وطاعة
وقال للامين حسب الله قد جعلتك امينا على خزاين اموالى
اذا انا مت توصلها الى ولدى فقال سمعا وطاعة وقال للامين
ابراهيم ود رماد قد جعلتك امينا على دوابى وخيلى اذا انا مت
توصلها الى ولدى بدارفور وقال للاب قد قلدتك الحريم والعيال
والخدم اذا انا مت توصلها الى ولدى وقال للاخر قد جعلتك
امينا على اسلحتى وملبوساتى واولادى اذا انا مت توصلها
الى ولدى فقبلوا منه ذلك بالسمع والطاعة ودعواله بالعافية

وبكوا

وبكوا لما هو فيه من المرض لانهم اصهاره ما عدا الاب لانه خصي
ثم ذهبوا الى محلهم وقضى السلطان نحبه وهم غائبون وحين
توفي ارسلت كنانة الى اليتيم بسبحة السلطان ومنديله وخاتمه
وجابه تعلمه بموته على يد محمد كرا وجآء اوليك الوزرآء الذين اوصاهم
فوجدوه قضى عليه فندموا على خروجهم من عنده ودبروا حيلة
واجمعوا امرهم ان يجعلوا السلطان في تخت بعد فتحه والقائما
في امانه وتصبيره يُغطّى ويحف بالعساكر ولا يتركون احدا يصل
اليه وكل من سال عليه قيل له مريض حتى يصلوا الى دار فور ويسلموا
كل ذلك الى ولده اسحاق الخليفة والشيخ محمد كرا اخذ الاشيا الذكورة
وتوجه الى اليتيم وقال له عوضك الله في اخيك خيرا واعطاه الخاتم
والسبحة والمنديل فتحقق موت اخيه واخذ الاشياء وذهب
الى اخيه الاكبر المسمى بريز فحين اعلمه نهض قائما واخذ ريفا
وطاهرا وتوجهوا الى دار السلطان فلم يقدر احد على منعهم
وما زالوا داخلين حتى وصلوا الى المحل الذي فيه الجماعة والسلطان
تيراب مُسَجّى امامهم وهم يبكون عليه فدخلوا عليهم ولم يخاطبوهم
بل جلسوا حول اخيهم وبكوا حتى فاؤا ثم التفتوا الى الجماعة وقال
لهم ريز اما كفاكم ان مدة حياة اخينا كان خيره لكم والآن تريدون

ان تاخذوا تتلوه ايضا لاجل ان يكون لكم حيا وميتا ها نحن
قد اطّلعنا على موته فافعلوا ما بدا لكم فقد تركناه لكم ثم خرجوا
وتركوهم فاختلف راى الجماعة بعدهم وقالوا قد فسد تدبيرنا
واطلعوا على موت السلطان فلا يمكننا ان ننفذ وصيته الآن
فقال الامين على وذ جامع لا بد لى من تنفيذ وصيته او اموت
دونها ثم نادى يا محمد كرا اذهب الى محمد ولدى وقل له يجمع عساكرى
ويلبسوا دروعهم واسلحتهم ويأتون الى باب السلطان فقال
سمعا وطاعة وذهب الى محمد ابن الامين وقال له ان حضرة الامين
يامرك ان تجهز العساكر وتركب معهم وتذهب الى اولاد
السلطان وتكون معينا لهم حتى ياتيك امرى فقال الامين محمد
سمعا وطاعة ونادى فى العساكر فتاهبوا وركبوا وتوجهوا الى
اولاد السلطان ورجع هو بعد ذلك للامين وقال له قد ذهبت
فوجدت سيدى قد اخذ العساكر وتوجه الى اولاد السلطان
فاغتاظ الامين على ذلك وعلم انه لا يقدر على تنفيذ وصية السلطان
تيرب وخاف من الايمان والعهود فاخرج علبة صغيرة كانت
معه وفتحها واستف منها شيا مما كان فيها فوقع ميتا ولما مات
انخذل الباقون وتفرق رايهم وهذه اقوى مكيدة عملها محمد كرا

في

في الامين وولده وبسببها وقعت العداوة بينه وبين الامين
محمد بن الامين علي المذكور ثم ان الجماعة تفرقوا وذهب كل منهم
الى جبيته وهاجت الناس وماجت وعلموا انه لا بد للدولة
من سلطان يقوم بامرهم ويجمع كلمتهم وكانت اولاد السلطان
احمد بكر الذين هم اخوان المتوفي جالسين هم واتباعهم على حدة واولاد
اخوانهم واتباعهم على حدة والرعايا على حدة فنهضت جماعة
من المدبرين ودعوا بالقاضي والعلماء وارسلوهم الى اولاد
السلطان بكر لانهم هم الكبراء واولياء العهد من ابيهم وقالوا
لهم قلوا لهم بعد السلام اعلموا انه لا بد لهذا الامر من سلطان
يجمع كلمة الناس ويقوم بامرهم والملك لكم وانتم اربابه فعيّنوا
لنا سلطانا نرضى نحن وانتم فتوجهت العلماء والقاضي واخبروهم
بذلك فقالوا قد عيّنّا لهم اخانا ريزا لانه هو اكبرنا وسيدنا
ونحن تحت امره ونهيه فتوجهت العلماء لاولاد السلاطين
الصغار ليخبروهم ان باسي ريزا يكون عليهم سلطانا فابوا
وقالوا ان باسي ريزا عمنا ووالدنا لكن لا نريد ان يتولى علينا لانه
صعب المراس فيه حدة تخشى غايلته خصوصا ونحن اولاد
صغار نريد سلطانا حليما يربينا وان صدر من احدنا بادرة

يعاملنا فيها بالحلم وقالت الرعية ان باسي ريزا ملكنا وابن ملكنا
ولكن به حدّة والاولى ان يختار هو غيره لانه هو سلطان تولى
ام لم يتول فرجعت العلماء واخبروهم بذلك فقال باسي ريز
قبلنا عذرهم وولينا عليهم باسي طاهرا فاخبروا به ايضا اولاد
السلطان فقالوا لا نرضى بعمنا طاهر لان له اولادا كثيرة لا ينتبه
لتربيتنا بسببهم وقالت الرعية انما كرهنا السلطان تيراب
لكثرة اولاده فان يولوا علينا طاهرا فنحن نرضى بالخليفة ان
يكون سلطانا لانه اقل اولادا منه فرجعوا واخبروهم فقال
ريز قد ولينا عليكم اليتيم فاخبروهم فرضوا به كلهم رعيةً واولاد
ملوك وانعقد امرهم عليه واخذوه وتوجهوا به الى دار
السلطان والبسوه الخاتم واقعدوه على كرسي المملكة ولم
يختلف عليه اثنان الباب الثالث من المقدمة في ذكر
نبذة من سيرة السلطان عبد الرحمن الملقب بالرشيد واول
امره وولايته ووفاته قد ذكرنا فيما مضى ان السلطان احمد بكر
خلّف سبعة من الولد منهم السلطان عبد الرحمن المذكور وهو
اصغرهم لان اباه توفي وهو حمل في بطن امه ولذلك سمي باليتيم
نشأ على احسن حال حفظ القران وقرا في الفقه وعرف الحلال والحرام

ولم

ولم ينتبه الى ما انتبه له اولاد الملوك فى دار فور لان اولاد الملوك
هناك متى كبر الواحد منهم يخوض فى البلاد يتضيف وينهب
اموال الناس وكلما راى شيا اعجبه اخذه بدون ثمن ويقول
ان جميع ما فى دار فور من العالم عبيد لابيه الا عبد الرحمن فانه من
صِغَرِ سنه كان صالحا تقيا نقيا عفيف النفس وكان فى غاية
من ضيق العيش وكان اذا سافر وامسى عليه المسآء فى بلد
قال لمن ينزل عنده انا ضيف الله فان قبله مكث والا ذهب الى
محل اخر ولم يُسمع عنه انه ظلم احدا قط وكان لا ينسى الصنيعة
لمن فعلها معه بل يتذكرها ويجازيه عليها ومن ذلك انه كان
مسافرا فنزل عند رجل من قبيلة يقال لها اَلْبَرْتِي فعرفه الرجل
وذبح له كبشا سمينا ولاطفه ولما جآء العشا وحضر الطعام راى
السلطان عبد الرحمن ان الرجل قد تكلّف له فقال له يا هذا اما
كان يُغني من هذا ما هو اقل منه لو ذبحتَ لنا دجاجة لقامت
مقامه وكنتَ ادّيتَ ما وجب عليك فقال لا يا مولاى والله
لو ملكتُ جزورا لنحرتُها لك الستَ عبد الرحمن اليتيم ابن
سلطاننا فقال له اليتيم ومن اين تعرفنى قال عرفتك بحسن خُلُقك
وتقواك وانه سيصير لك شان فقال اليتيم لئن ملكتُ لاعطينك

اسمن مما ذبحت لنا وكان الامر كذلك فانه لما وُلِّيَ دعا بالرجل
وكان يسمى محمد دَرْدُوك وولاه منصبا جليلا واخرجه لجباية
اموال قبيلة العرب الجانين وهي قبيلة عظيمة اهلها اصحاب
ابل فحصّل منها من الاموال والنوق والجمال ما لا يوصف ومنها انه
مر ببلاد الريح ونزل على رجل فقير يقال له جِدُّوَ فاكرمه على قدر
طاقته وكان هذا الرجل من بيت كبير وابوه كان ملكا عظيما يقال
لمن تولى في منصبه التكْنِيَاوِي فلما ولي اليتيم ولّاه منصب
ابيه ورايته واجتمعت به ومنها ان الفقيه مالك الفُوتَاوِي
الذي اسلفنا ذكره كان راى له مناما وصورته انه راى قمرا في
السماء والناس ينظرون اليه ويقولون هذا اليتيم فاوّله ان
يلي الملك وذهب وبشّره بذلك فقال له ان صدقت روياك
لارفعن قدرك فكان كما قال وكان يصوم الخميس والاثنين على
الدوام ويصوم رجب وشعبان ورمضان وكان يحب اهل
العلم ويكرمهم وقبل ولايته بايام شاع عند المنجمين واصحاب خط
الرمل ان اليتيم هو الذي يتولى السلطنة بعد السلطان تيراب
وسمع السلطان بذلك فحقد عليه واراد قتله مرارا والله يمنعه
منه وكان يدعوه للطعام ويجعل له السم فيه فكان اليتيم يقول

انى

انى صائم ولا ياكل منه شيا ولقد اخبرنى من شاهد وقت
توليته حين ادخلوه لدار السلطنة انه كان عليه قميص قد بلى
حتى ان كتفيه ظاهران منه وبيده سبحة من خشب تساوى
فى بر مصر عشرين فضة ومكث عزبا حتى بدا الشيب فى لحيته
وما ذلك الا لفقره وعدم المال الذى يتسرى او يتزوج به ولم
ير النساء الا حين سافر الى كُرْدُفَال صحبة اخيه السلطان
محمد تيراب فمر على بلاد يقال لها البيقو فاعطاه مليكها جارية
وخشا تسمى اُنْبُوسَة فغشيها فولدت منه السلطان محمد
فضل ولما انعقد الامر عليه اجلسوه على سرير الملك كما تقدم
وبايعوه وكان اول من بايعه اخوه الاكبر ريز ثم ريفا ثم طاهر ثم اولاد
السلاطين فبايعوه ثم القاضى والعلماء ثم الامراء وضربت طبول
الحزن اعلانا بموت السلطان تيراب ثم بطلت قليلا وضربت
طبول الهناء اعلاما بتولية السلطان عبد الرحمن وكان من عادة
ملوك الفور ان السلطان اذا تولى يمكث سبعة ايام فى بيته
لا يسئل عن حكم ولا امر ولا نهى بل يجلس للتهنية والسرور
تدخل عليه العلماء والوزراء وارباب الدولة فلما تولى السلطان
عبد الرحمن ابطل تلك العادة وخرج صبيحة توليته فجاءت الوزراء

فراوه جالسا في ديوانه وتناول بعض احكام فلامره وقال وليست
العادة كذا فقال بئس العادة ليست في كتاب الله ولا في سنة
رسوله ثم جمع جميع ارباب الدولة وقال لهم ان كان لكم ارب في
ان اكون سلطانا عليكم تُبطلوا الظلم ولا تتحدث به انفسكم
وتتوبوا الى الله تعالى منه فان الظلم يخرب الدُوَل ويقصر اعمار
الملوك فقالوا سمعا وطاعة ثم لما كانت صبيحة اليوم الثالث
امر باخراج خزائن السلطان تيراب فأُخرجت ففرّق ما كان
فيها من العين من ذهب وفضة وثياب على العلماء والاشراف
والفقرآء ووجد فيها من الكشمير والجوخ الذي عث شي كثير
فامر ان يُرمَى خارج الدار وكل من وجد شيا ينفعه اخذه فاخرج
فكان كالطود العظيم واجتمعت عليه الفقرآء ينهبونه وبسطوا
ايديهم بالدعاء للسلطان عبد الرحمن ثم لما كان سابع يوم اخرجَ
جواري السلطان تيراب وفرقها ايضا ولم يترك الا الحراير وامهات
الاولاد التي تزوجها اخوه بالعقد ثم نصّب المناصب فجعل محمد
دكّمي اميا في منصب ابيه الامين علي ود جامع وامرهم بالاهبة
للرحيل الى دارفور فتجهزوا وحين خرج من كرد فال مر على جبل التروج
فاوقع بهم واخذ جميع ما فيه من الشباب والبنات ولم يترك

فيه

فيه الا المسنين واجتمع بمشايخ عرب البادية من الرزيقات والمسيرية فالتمس منهم المسير معه لحرب الخليفة وكلما اكتسبوه من المال والسلاح والخيل فهو لهم فاجتمع عليه منهم الوف وتوجه الى دارفور لكنه لم ياتها من جهة المشرق بل اتاها من جهة الجنوب وقبل وصوله كتب الى الخليفة كتابا يقول فيه من عبد الرحمن سلطان دارفور الى ولد اخيه اسحاق اما بعد فانى اعزيك فى والدك وان كان اخى لانك اقرب منى اليه واوصيك ببر الوالدين فاذا علمت هذا فاعلم انى عمك وحرمتى كحرمة ابيك وعار على الولد ان يصادر اباه او عمه فضلا عن ان يجرد فى وجهه حساما فانهاك عن القتال واياك ان تستفزك رعونة الشباب وتسمع قول المفسدين فيحولوا بينى وبينك ولك على عهد الله وميثاقه ان اتركك خليفة كما كنت فى ايام ابيك واجعلك ولى عهدى كما كنت ولى عهد ابيك فاسمع قولى واحقن دماء المسلمين وان خالفت حلت بك الندامة وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون فلما وصل الكتاب الى الخليفة وعلم ما فيه كتب الى السلطان عبد الرحمن بعد السلام اما بعد فانى عاهدت الله تعالى ان لا اطأ غير بساط ابى وانا ولى عهده ولا حق لك على

وان قاتلتني فانا مظلوم والسلام ثم جهز له جيشا كثيفا م
لنظر الحاج مفتاح داداه واكبر عبيده فتلاقي هو وجيش السلطا
عبد الرحمن في محل يقال له تَبَلْدِيَة فكان مع كل انسان من جيش
السلطان عبد الرحمن سَفْرُوك والسفروك قطعة من العصى
صورتها هكذا ٦ فحين التقى الجمعان القى جماعة السلطان
السفاريك على جماعة الخليفة وقالوا الله اكبر ففروا وتبعهم جماعة
السلطان ياسرون وياخذون الاسلاب والخيول وتبعهم
العرب ايضا فاغتنموا منهم غنيمة عظيمة ونجا الحاج مفتاح وفُلّ
من اصحابه براس طمرة وحين دخل الحاج مفتاح على الخليفة قال
له ما وراءك قال يا سيدي اني ناصح لك صالح عمك وان طلب
منك مالا فاعطه اياه واجعلني اول ما يعطى فانا فداوك فلما
سمع الخليفة منه هذا الكلام زجره وقال رجعتَ الى اصلك
يا عبد السوء لكن اللوم عليّ في ان اقدمك على العساكر ثم ان
الخليفة حشد الحشود وفتح الخزائن وفرق الاموال واعطى
الاقطاع لجمع جيشا عظيما لا اول له ولا اخر وبرز يؤمّل النصرة
على السلطان فوصل الى محل يقال له تَالْدَوَا فادركه السلطان
هناك ولما عاين كل منهما صاحبه رتّبا جيوشهما وصفّا صفوفهما

وكان

وكان مع جماعة الخليفة رجل من الملوك يقال له بحر الجباى وهو الذى
يحيى الغلال للسلطنة ومعه اتباعه ما ينوف عن عشرة الاف من
الخيل خلاف الرجالة فلما تلاقى الجمعان اخذ جماعته وزحف على جيش
السلطان عبد الرحمن كانه يريد قتالهم ودخل فيهم والصق صفه
بهم وبقى يقاتل الخليفة فترك فى صفوف الخليفة ثلما عظيما وفرجة
ما قدروا على سدها فانكسرت قلوب عسكر الخليفة بما فعل
الملك بحر والتحم القتال فلم يكن الا كلمحة بارق حتى تقهقر جيش الخليفة
وحين راى الخليفة ذلك خرج يقاتلهم بنفسه فكان كل من عرفه
يعرض عنه اكراما له ولابيه وما زال يفعل كذلك حتى راى جيشه انهزم
وبقى هو فى نفر قليل فلحق بجيشه فراى قد قتل اكثره وتبعتهم عساكر
السلطان ياسرون ويسبون حتى امسى المساء وحكى لى من كان
حاضرا انه وقت التحام القتال بينهما راى النجوم فى السماء وكان الوقت
ضحى ولقد شاهدت محل الوقعة فرايته جدبا فى وقت الربيع فسالت
عن سبب ذلك فقيل لى انه لا ينبت فيه نبت لما سال فيه من
الدما ثم ان الخليفة توجه باصحابه الى الجهة الشمالية وترك السلطان
بالجهة الجنوبية ولما انفرد الخليفة عن السلطان وابعد عنه ظلم
وتعدى وجار وصار يخرج الناس معه قهرا عليهم وكلما عثر بجواد

اخذه او بمال استاصله فاجتمع له بذلك مال عظيم وخلق كثيرون
وعظم شره واستغاثت الناس منه الى السلطان فاراد ان يتوجه
اليه بنفسه فمنعه ارباب دولته فكتب له كتابا يقول فيه بعد ما
يليق فانك طغيت وبغيت وظلمت وتعديت وقد نصحتك اولا
ان تحقن دماء الناس فابيت وكان منا ما كان والان فقد تعنت
على قتالنا بظلم العالم ونهب اموالهم وانا انصحك ثانيا ان تترك
ما انت عليه من الرعونة والجبر والعتو فان رجعت الينا ثانيا
قبلناك وجعلنا لك ما جعلناه اولا وان ابيت فالاثم عليك وانت
المذموم وان اصررت على القتال فالرعية لا ذنب لها فعف نفسك
عن اموال الناس وها هو مالي بين يديك خذ منه ما شئت حتى
يحكم الله والسلام فلما وصل اليه الكتاب وعلم ما فيه مزقه ولم
يرد له جوابا وزاد شره وكثر شكاوه فارسل اليه ملك الجهة
الشمالية ويسمى بالتكنياوى في جيش فذهب اليه التكنياوى
فادركه في محل يقال له بوّا فحين راى الخليفة الجيش قد اقبل رتب
صفوفه ووقف حتى وصل اليه الجيش والتقى الجمعان وكان جيش
الخليفة قد اثر فيه الرعب من وقعة تالدوا فاراد الانهزام
فثبتهم الخليفة واقتحم الحرب بنفسه هو وجماعة من تربه

فكان

فكان كلما حل في جهة يفرون منه حياءً لا خوفا حتى دخل في القلب ووصل الى التكنياوى فقال له يا عبد السوء الست عبد ابى تغدر وتقاتلنى وجرّد حسامه وضربه حتى قتله وحين خر قتيلا تشوش صفه وانهزم جنده وتبعهم عسكر الخليفة فاخذوهم قتلا واسرا ونهبا ولم ينج من الفل الا القليل وغنم الخليفة خيلهم وسلاحهم وما كان معهم فانجبر خاطره واملّ النصرة على عمه وتقوى بما حصل له من الغنيمة وبلغ ذلك السلطان عبد الرحمن فاغتاظ ثم ارسل اخاه ريفا مع جيش اخر فادرك الخليفة في برّوا ايضا وحين راه الخليفة رتب صفوفه وعبّا عساكره وكان قد اعدّ كمينا في محل منخفض وقال لهم انى اتقهقر بالعساكر وهم يطمعون فيّ ويا تون خلفى فاذا رايتموهم فعلوا ذلك فاصبروا حتى تروهم امامكم ثم كرّوا من خلفهم وانزلوا فيهم واثخنوا فيهم ونحن نرجع عليهم فنكون امامهم وانتم خلفهم فلا يفلت منهم احد وكان الامر كذلك فحين التقى الجمعان تقهقر جماعة الخليفة فظن جماعة السلطان انه انهزم فاوغلوا فيهم حتى صاروا امام الكمين وهم لا يعلمون فخرج الكمين عليهم واثخنوا فيهم بالقتل وكر الخليفة راجعا فتضعضع جيش السلطان واختل امرهم وتشوش

صفهم وقتل باسى ريفا اخو السلطان امير الجيش وقتل اكثر
الجيش ولم ينج منهم الا القليل وح قويت شكيمة الخليفة
وطمع فى ان يرجع الى السلطان ويقاتله وما علم ان الامور بالخواتيم
ولما سمع السلطان بموت اخيه ريفا اغتم غما شديدا ولام نفسه
على القعود عن الحرب وقال لو لم اسمع كلام الناس وتوجهت
بنفسى لم يحصل هذا الامر وكان امر الله قدرا مقدورا ثم ارتحل
من يومه وقصد جهة الخليفة بجيش يسد السهل والوعر
وجاءت عيون الخليفة فراوا جيش السلطان وما فيه من العساكر
التى لا يقدر الواصف على وصفها والعاد على حصرها واسرعوا
بالخبر اليه فخاف على نفسه وجماعته فاصبح راحلا قاصدا بلاد الزغاوة
لان ملكها خاله يريد ان ينزل عليه ليمده بجند من عنده فسار
يقطع الارض ليلا ونهارا والسلطان على اثره لان الجواسيس
اخبروه بقصده فخاف السلطان انه اذا وصل الى زغاوه يمده خاله
بجيش ويعسر امره ويطول الحال بينهما فجد فى طلبه حتى ادركه
بمحل يقال له جركو وكان فى طليعة جيش السلطان الامين محمد
دكمى بن الامين على ود جامع الذى سم نفسه فى كردفال كما سبق
فلما التقى الجمعان ظن الخليفة ان الجيش هذا فقط فكر راجعا

عليهم

عليهم وناوشهم القتال وقاتل بنفسه ففرت الناس امامه حتى
وصل الى الامين محمد ذكي فوقف امامه وصار يضربه بالسيف
ويقول له يا عبد يا خائن يا غدار الك عين ترفعها تخون نعمتى
ونعمة ابى وتاتى لقتالى والامين ساكت لا يتفوه بحلوة ولا
مرة لكن كان لابسا درعين فلم يعمل سيف الخليفة فيه شيا فلما
اعيى الخليفة امره تركه واراد ان يذهب فصبر عليه الامين
محمد حتى التفت وضربه على عاتقه الايمن بالسيف وكان ذا قوة
فكسر عظم ترقوته وانكسر السيف من مقبضه وطار في الحال
فخدرت يد الخليفة وارخى ذراعه وعلم بذلك الامين محمد فطمع
فيه واراد ان يقبض عليه فادركته جماعته فخلصوه منه وانهزم
حينئذ جيش الخليفة وتبعه الامين محمد بجيشه وارسل السيف
المكسور الى السلطان عبد الرحمن يعلمه بما وقع فارسل السلطان
في الحال للامين محمد سيفين عظيمين محليين وامره بالمسير
خلفه وانه على اثرهم وكان ح بالعسكر رجل من ابناء العرب
يقال له زبادي قيل انه من فلاحين مصر وكان يصطاد بالبندق
ويصيب فتجاسر على السلطان وقال له يا مولاى ان ارحتك
من عدوك في هذه الساعة فماذا يكون لى عليك قال السلطان

عبد الرحمن له اذا ارحتني منه لك علي مائة راس رقيق فقال
ارسلني الى الامين لاكون في عسكره وترى ما يصير اليوم فارسله
في الحال الى الامين بكتاب من عند السلطان يقول له فيه ان
زبادي قد التزم براحتنا من عدونا والتزمنا له الجزاء في ذلك
وطلب ان يكون في عساكرك فها هو واصل اليك فان التمس
منك شيا فساعده واكرمه واني على اثركم وركب زبادي على
هجين ولحق بعسكر الامين فاعطاه امر السلطان فقراه ورحب
به وسار في الجيش وبالامر المقدر ان الخليفة آلمه ذراعه واراد
ان ينزل للراحة فمنعه ارباب دولته عن النزول فقال لهم ولم
تمنعوني فقالوا ان الامين محمد قافي اثرنا بجيشه والقتال بيننا
وبينه دائر فغضب وقال الم يرجع عنا فقالوا لا فكر راجعا
على عسكر الامين فتعرضوا له ايضا فقال ولابد وبينما هو
ينازعهم على الرجوع ويلاطفونه في الترك اذ جاء زبادي وتامل
الخليفة وعرفه واخذ عليه النيشان واطلق البندقية فاصابه
قيل في صدره وقيل في راسه فخر فاسندوه ومشى قليلا وصار
يجود بنفسه فحين راى ارباب دولته انه يجود بنفسه نصبوا
له سرادقا وادخلوه فيه ووقف الجيش يذب عنهم والقتال دائر

بين

بين فريقين حتى وصل الامين فراى العسكر وقوفا ونار الحرب تستعر فسال عن الخبر فقيل له ان الخليفة اصيب بالرصاص وهو يجود بنفسه وعجز عن الحركة فنصبوا له هذا السرادق ووقف جيشه يذب عنه فقال اما اذا كان الامر كذلك فاتركوا القتال واحيطوا بهم حتى ننظر ما يكون وارسل الى السلطان يعلمه ان الخليفة اصيب برصاصة من زبادي وهو يجود بنفسه فان كان يمكن مولانا ان يحضره قبل ازهاق روحه فليفعل وبعد ذهاب الرسول الى السلطان بقليل قضى على الخليفة واعلن بالبكا ونزل الجيش الذى كان يقاتل من ظهور الخيل وكذا نزل جيش الامين مفرد

من البسيط — لا يامن الدهر ذو بغي ولو ملكا جنوده ضاق عنها السهل والجبل

مفرد لكاتبه

من الكامل المجزوء — لا يمنع الجيش الكثيف من الردا ولا يمنع المقدور برج مشيد

وبعدها بقليل حضر السلطان وجيشه فاخترق الصفوف وحين رآه جيش الخليفة اعطوه الطاعة فدخل السرادق هو والامين محمد وجماعة من ارباب الدولة وكشف الغطاء عن وجه الخليفة وبكى بكاء شديدا وقال يا ولدي انت فعلت هذا بنفسك ونصحناك

فلم تقبل وكان امر الله قدرا مقدورا ثم التفت الى ارباب دولة الخليفة وقال لهم لقد زينتم القتال لولدي حتى قتلتموه أما فيكم ذو عقل يكفه وينصحه فحلفوا كلهم انهم براآء مما كان فيه وانهم نصحوه فلم يقبل وقالوا له يا سيدنا نحن تقلدنا نعمته وقاتلنا عنه حتى قضى الله فيه وما خُنّاه وان انت قبلتنا نقاتل عنك كذلك ولو خنّاه وخدمناك تخونك ايضا فعرف صحة قولهم وقال قد عفوت عنكم فمن اراد ان يكون معي منكم فهو على رتبته ومقامه ومن ابى يلق خيرا ثم امر بدفن الخليفة في ذلك المحل وابى يدفنه في مقبرة الملوك وقال هذا عاقّ لا يُدفن في مقابرنا فدُفن هناك واقام السلطان بقية نهاره وليلته واصبح قافلا الى الفاشر محفوفا بالنصر مستبشرا بذهاب عسكر كان اباالطيب رآه على تلك الحال حين انشد وقال

مزالكامل

سر حيث شئت حلّه الانوارُ ... واراد فيك مرادَهُ الاقدارُ

واذا ارتحلت فرافقتك سلامةٌ ... حيث اتجهت وديمةٌ مِدرارُ

وصدرتَ اغنمَ صادرٍ من موردٍ ... مرفوعة لقدومك الابصارُ

انت الذي لهج الزمان بذكره ... وتزيّنت بحديثه الاسمارُ

واذا تنكّر فالفناآء عقابه ... واذا عفا فعطاؤه الاعمارُ

وله

وله وان وَهَبَ الملوكُ مواهبُ دُرّ الملوكِ لدرها اغبارُ
لله قلبُك لا يخاف من الردى ويخاف ان يدنو اليك العارُ
وتَحيدُ عن طبع الخليقة كله ويَحيدُ عنك الجحفل الجرّارُ
يا من يعز على الأعزّة جارُهُ ويذل في سَطَواته الجبّارُ
كن حيث شئت فما تحول تنوفةٌ دون اللقآء ولا يشطّ مزارُ

وكان الفاشر اذ ذاك بالمحل المسمى قرلي وكان فاشر السلطان تيراب بالريل وفاشر الخليفة بجديد راس الفيل ثم انتقل بعد ذلك وجعل الفاشر بالمحل المسمى تندلتي وهو فاشر ابنه الآن ولم يعهد للفور اقامة في فاشر كاقامتهم في فاشرهم هذا المسمى تندلتي ولما اراح قلبه من قتال الخليفة وسكن جاشه نظر في امر الرعية فابطل المكوس ورفع المظالم وولى المناصب وانتبه لعمار البلاد ورفاهية الحال وقطع الاعلان بشرب الخمر والزنا وامن الطرق وكانت مخوفة فبعد ذلك صارت امنا حتى ان المراة كانت تسافر من اقصى البلاد الى ادناها محملة من الحلى والمتاع لا تخشى الا الله وكثرت التجارات وتتابع الخصب واظهر العدل التام فكان لا يكرم ظالما ولا يعينه ولو كان من ذوي قرابته ولقد اخبرني الثقة ان اعرابيين تعرضا له يوما وكان

قادما من الصيد فقال له احدهما انا مظلوم يا رشيد الله يخليك
يا رشيد انا مظلوم ومن عادتهم ان المظلوم اذا جاء امام
السلطان يضع اصبعي يده اليمنى اى السبابة والابهام على
شدقيه ويرددهما مع اخراج صوت عالٍ فيه كاف واحدة وراءات
كثيرة مضمومة فيخرج من فيه صوت يقال له الكروراك وهذا
الصوت لا يصوته به احد الا اذا كان اصيب بمصيبة فكان
الاعرابي يصوت كذلك ويقول بعد كل صوت الله يخليك يا رشيد
انا مظلوم وشُغِل عنه السلطان إمّا لامر قام به اولانه لا
يسمعه لكثرة الطبول والغنا واصوات الجند فكرورك الاعرابي
مرارا فلما لم يجبه السلطان قال له صاحبه خلّه عنك رشيد لنفسه
لا لك فسمعه السلطان فوقف وسال الاعرابي عما قال فقال ان
اخي هذا كرورك مرارا واشتكى لك وهو ينادي يا رشيد انا مظلوم
فلما لم تجبه قلت له خله فانه رشيد لنفسه غير رشيد لك
فضحك السلطان وقال بل انا رشيد لك ايضا قل لي من ظلمك
قال ظلمني باسي خَبير وكان باسي خبير من اقاربه فقال وما اخذ
منك قال اخذ مني خمس نياق فوقف مكانه ودعا باسي خبير وساله
فاعترف فامر ان يدفع له عشرة نياق خمسا حقه وخمسا تاديبا

له

له فدفعها وذهب الاعرابيان وهما في غاية الغبطة والسرور
وفي ايامه تلك نصب محمد كرا في منصب الاب الشيخ وهو اجل
المناصب هناك صاحبه مطلوق السيف له دولة كدولة السلطان
وشارات كشاراته ومن عادة هذا المنصب لا يتولاه الا خصي
لانه يخشى من غير الخصي اذا تولاه وقويت شكيمته ان يصادر
السلطان ويطلب الملك لنفسه وبعد تولية الاب الشيخ محمد
كرا وجهه الى البلاد فنزل في ابي الجدول وسلك طريق العدل في العالم
وضبط الامور حتى انه قتل اناسا كثيرين لما وقع منهم من الظلم
ولما ظهر عدل السلطان وحبه للعلماء واهل الفضل والاشراف
وفد عليه الاشراف والعلماء من جهات عديدة فكان اول وافد
عليه والدي عليه سحائب الرحمة والرضوان وكان حين قدومه
الى دارفور نزل بكُوبَيْة على الفقيه حسن ود عووضة وبلغ اهل
كُوبَيه انه جاءهم رجل عالم من تونس فاجتمع عليه اكابرهم كالفقيه
محمد كُرْيَتِيم والشريف سرور بن ابي الجود وعبد الكريم بن الفقيه
حسن ود عووضة واضرابهم وطلبوا منه قراءة مختصر الشيخ
خليل فقرأ لهم منه ربع العبادات ووصل خبره الى الفقيه مالك
الفوتاوي فاعلم به السلطان فارسل اليه فذهب له فاكرمه

واعطاه عدة جوارى وامره ان يكون عند الفقيه نور الانصارى
زوج ابنته الميرمحواء وكان رجلا من سلالة الانصار محبا
لاهل العلم وفيه فقه فقرا على والدى نبذة من صحيح البخارى
واعلم السلطان بعلميته وانه ماهر فى العلوم العقلية والنقلية
فاحضره لديه وقرا عليه فى شهر رمضان جزء من الحديث
وتعلقت به امال الفقيه مالك فامر اولاده ان يحضروا عليه
فحضر عليه من اخوانه الفقيه ابراهيم والفقيه مدنى والفقيه
يعقوب ومن اولاده الزاكى والسنوسى ومحمد جلال الدين
وابن اخيه الفقيه محمد البركاوى وحضر عليه الفقيه حسين
ود تورس وامره السلطان ان يكتب على الخصائص التى الف
متنها مغلطاى التركى فكتب عليها شرحا عظيما نحو ستة
عشر كراسا سماه الدرة الوفية على الخصائص المحمدية وساله
فى شرح على مختصر الشيخ خليل المالكى فى الفقه فكتب عليه
شرحا فى مجلدين سماه الدر الاوفاق على متن العلامة خليل
ابن اسحاق وكتب على الاجرومية شرحا كبيرا ادخل فيه نحو
ماىتى بيت من الفية ابن مالك فاتى مجلدا ضخما ثم اختصره فى
كراريس وكتب على السلم المرونق شرحا لطيفا فى كراريس والف

رسالة

رسالة في علم الكتف ووفد على السلطان عبد الرحمن الفقيه
الزاهد الناسك الشيخ التمرو الفلاني ووفد عليه الفقيه النبيل
الشيخ حسين عماري الازهري ووفد عليه من اشراف مكة
الشريف مساعد يقال انه من اولاد الشريف سرور وكان قاضيا
الفقيه النزيه الشيخ عز الدين الجامعي وهو قاضي القضاة بدار
فور واعمالها وكان السلطان عبد الرحمن جوادا كريما عادلا عفيف
النفس وكان وسط القامة شديد السواد قد وخطه الشيب
ابح الصوت شديد الغضب سريع الرضا ذا تدبير حسن فمن
حسن تدبيره انه لما دخلت الفرنساوية مصر وهرب الغز
منها توجه الى دار فور منهم كاشف يسمى زوانة كاشف قيل انه من
مماليك مراد بيك اوهو احد كشاف الألفي ومعه اكثر من
عشرة مماليك ومعه امتعة زائدة وجمال وخدم وطباخ وفراش
وسياس واخذ معه مدفعا وهاون بنبخين حل بدار فور اكرمه
السلطان عبد الرحمن واحسن ملقاه وانزله نزلا حسنا واجرى
عليه من الارزاق شيا كثيرا حتى صار لا يعرف رقيقه لكثرته ثم
طلب من السلطان ان يبني بيتا كبيوت مصر فاذن له في ذلك
فضرب الأجر واستخدم العبيد في قطع الاحجار وصنع بيتا

جميلا وسوره بسور وجعل السور عريضا وجعل فيه مزغلتين
مقابلتين لبيت السلطان يضع في احداهما المدفع وفي الاخرى
هاون البنب وكان محل هذا البيت اعلا من محل بيت السلطان
بحيث كان يرى السلطان حين يدخل وحين يخرج فسولت له
نفسه ان يقتل السلطان ويملك البلد بان يرصد وهو داخل
او خارج ويطلق عليه مدفعا يهلكه به لكن خاف ان قتل السلطان
لا يطعوه اهل المملكة وارباب الدولة ثم احتال ان اجتمع بالفقيه
الطيب ود مصطفى وكان هذا الفقيه وزير السلطان تيراب
وصهره اعني ان السلطان تيراب كان متزوجا باخته وانت
منه بولد فلما اجتمع عليه زوانة كاشف فشى سره له بعد ان
عاهده على الكتمان وقال له انه قد بلغني ان ابن اختك ابن
السلطان واريد ان تجعل يدك معي فنقتل هذا ونولي ابن اختك
وتصير المملكة بيننا فرضي الفقيه الطيب بذلك ثم قالوا ان
هذا الامر لا يتم لنا الا بادخال بعض الناس الذين تكون لهم عساكر
فقال زوانة ذاك اليك وانت اعرف الناس به فصار الفقيه
الطيب يخادع الناس ويأتي بهم الى الكاشف والكاشف يعطيهم
الاموال ويحلفهم ان يكونوا معه حتى ادخلوا في امرهم عدة

رجال

رجال واتفقوا ان رجلا من الامرآء خادعه الفقيه الطيب وجآء به
الى الكاشف فاعطاه عطية سنية واطلعه على حقيقة الامر وحلّفه على الكتمان
فحلف واخذ العطاء وتوجه به الى السلطان واطلعه على جليّة
الامر وحقيقته فقال له السلطان خذ عطاءك واذهب وكن
معهم على ما انت عليه واياك ان تخبر احدا انك اتيتني ولما كان
من الغد جآء زوانة الكاشف الى بيت السلطان فاكرمه اكثر مما
كان يكرمه واعطاه في ذلك الوقت مائة عبد ومائة جارية ومائة
ناقة ومائة جرّة سمنا ومثلها عسلا ومائة حمل دُخناً وكساه
كشميرا احمر وجوخة حمرا وقلده سيفا واعطاه جوادا سرجه
من ذهب وتوجه الكاشف الى منزله مغتبطا بما حصل له من
السلطان وقال هذه اموال ساقها الله اليّ استعين بها على
هذه المصلحة ولما امسى المسآء وكان بعد العشا امر السلطان
باحضار ملك من الملوك بعسكره وامره ان يقف حتى يرى الكاشف
دخل دار السلطان يعقبه ويضبط جميع ما في بيت الكاشف من
الاموال وحذّره عن ان يفلت منه شي ثم ارسل للكاشف غلاما
يقول له ان سيدي جلس للسمر وقد اراد ان تحضر مجلسه الآن
ورتب عبيدا للقبض عليه عند امر السلطان به فذهب

الغلام واخبره بمقال السلطان فحضر معه ولما دخل على السلطان
اكرمه وكان معه بعض من الخدم دخلوا معه بابين ومُنع ان
يدخل من الثالث وقيل له اصبر هنا حتى ياتي سيدك فكدس
مكانه وجلس السلطان يتحدث مع الكاشف حتى فاتت من الليل
حصة فقال السلطان انى جايع والتمس ما يوكل فأُتى بلحم نصيص
اى حنيذ غير مقطع فالتمسوا سكينا فلم يجدوا فاخرج الكاشف
سكينا كان معه واراد ان يقطع اللحم فحلف عليه بعض الحاضرين
ان لا يفعل وانه هو الذى يقطع فاخذ منه السكين وصار
يقطع بها فاخرج الكاشف الخنجر فاخذه اخروج امر السلطان
بالقبض عليه فلما قبض عليه قال له السلطان اى ذنب جرى لك
منى حتى انك تريد قتلى وتغوى عساكرى وتخادعهم فقال اقتلنى
فقال لا اقالنى الله ان اقتلك وامر بذبحه فى الحال فذبح كالشاة
وفى الحال جيئ باموال وما كان عنده من رقيقه وغيره حتى لم يبق
فى البيت شى وامر السلطان بهدم بيته فهدم ومُحيت
رسومه وكانه لم يكن وقبض على اتباعه فى تلك الليلة وباتوا
محبوسين ولما اصبح الصباح دعا بهم السلطان فحضروا فعفى
عنهم واطلقهم وامّر عليهم خازندار الكاشف وكان يسمى

يوسفا

يوسفا وثم تتبع جميع من تعاهد مع الكاشف وقبض عليهم
واحدا بعد واحد حتى لم يبق منهم احد وكان اخرهم الفقيه الطيب
فانه قبض عليه وقتله اشر قتلة وسجن ابن اخته سجن الدوام
الى ان يموت وكيفية القبض على الفقيه المذكور انه ارخى له العنان
وبذل له الاموال واظهر له الود التام بحيث ان الفقيه الطيب
لم يخطر بباله ان السلطان معه علم بانه كان مع زوانة كاشف
ومضت على ذلك مدة حتى كان في بعض الايام حضر الفقيه الطيب
دار السلطان وكان السلطان جالسا في ديوانه وحضرت له
ابل موقورة عسلا فاعطاها للفقيه الطيب وامر له بكسوة فاحضر
له كشمير احمر وكسوة جليلة فلبسها ودعا للسلطان بدوام
العز وجلس ومن عادة ملوك الغور اذا كسوا انسانا كسوة
حمرا فانهم في غضب عليه ولا بد ما يقتلونه وتذكر السلطان
ما كان منه ونفاقه مع الكاشف في اخر المجلس فالتفت الى الحاضرين
وقال لهم اشهدكم بالله هل هذا الفقيه في ايام اخي ارفه حالا واكثر
الا ام هذا الوقت فقالوا كلهم لا والله بل في هذا الوقت ارفه
واغنى وانفذ كلمة فقال السلطان سلوه لم خانني وتواطأ
مع الكاشف على قتلي وخراب داري فسئلوه فاقسم على السلطان

بالله العظيم ان يقتله ولا يكلفه جواب هذا السوال لان الموت
عنده اهون من ذلك فابر السلطان قسمه ح وامر فذبح كالشاة
واخذ جميع ما عنده من الاموال والضياع ولم يفلت منه شي
وقد سمعت انه ارسل العساكر لاخذ ماله من ضياعه قبل ذلك
بمدة وعين لهم ان يكبسوها في ذلك اليوم بعينه خوفا ان
يطيش الخبر ويفلت منها شي وذلك كله من سعادته ومن
سعادته ايضا ان جميع من رامه بسوء يخذل ويمكنه الله منه
ومن ذلك ما حصل من ابا كرى كنانة ام حبيب المتقدم ذكرها
وذلك ان السلطان تغافل عنها ولم يف بما وعدها به إمّا
لامر قام به او خوفا على نفسه منها او من ولدها فلما رات
تغافله لها وكانت في دار السلطان وابنها حبيب متاهل في
دار له عقدت له بالمكاتبة مع بعض الملوك عقدا واتفقت
معه ان يساعد حبيبا ليتولى سلطانا خصوصا قد انقطع
املها حين رات ان السلطان ولد له فخافت على ولدها لكن
السلطان وان كان تغافل عنها الا انه كان مبقيها في منصبها
آمرةً ناهيةً مقاليدُ امور الدار كلها بيدها فلما نوت الغدر
بالسلطان استاذنته في ان حبيب يريد ان يصنع وليمة

وارید

واريد ان امده بطعام من هنا فاذن لها السلطان في ذلك
فصنعت الطعام وصارت تاتي بالجفنات وتضع الدروع في
الجفنة ثم تجعل الطعام فوقها بحيث ان من يرى الجفنة لا يظن
ان فيها غير الطعام وكانت تضع في واحدة دروعا وفي اخرى
سيوفا فاخرجت ما يزيد عن مائة جفنة بهذه الصورة ثم مكثت
مدة ايام واستاذنت له في وليمة اخرى فاذن لها ولم يخطر
بباله شي مما في نفسها لانه كان سليم الصدر غير ظنان بالسوء
ففعلت كما فعلت بالمرة الاولى وبعد ايام ايضا استاذنته كذلك
وقبل ابراز الوليمة الثالثة كانت عندها بنت من بنات الاكابر
جميلة الصورة تربيها فراها السلطان على حين غفلة فاحبها ونوى
في نفسه ان يخاطب اباها في شانها ويعقد عليها وكانت ام
حبيب فهمت من السلطان ذلك فصارت توذيها لانها اعدتها
لولدها حبيب فلم تطق البنت الاذاية خصوصا وقد انكشفت
على غدرها بالسلطان وما تريد ان تصنعه معه فاختلست
نفسها وقابلت السلطان على خلاء واخبرته ان ام حبيب
اخربت خزينة السلاح والامتعة وان الولايم كلها مملوءة
بالدروع والسيوف وانها تعاقدت مع الملك فلان وفلان

بانهم يساعدوها على قتلك وتولية حبيب الملك وان كنت
في شك مما اقوله اقلب جفنة من الجفان التي تخرج في الوليمة
في غد فانك تعلم صحة قولي فقال لها السلطان ارجعي الى
مقرك واياك ان تقولي انك اعلمتيني بشي فرجعت وضاق
صدر السلطان لذلك واخبر بعض الخدمة ان اخبرني في غد
قبل خروج الوليمة الى حبيب واستكتمه فكتم وبقي الحال كذلك
حتى اصبح الصباح وصنعت الوليمة ونادت العبيد والجواري
برفعن الجفنات فاخبره الخادم بان الوليمة قد تجهزت فدخل
فراى ام حبيب ترتبها للحمل فقال على رسلكم ثم قال ارفعوا الاغطية
واروني وليمة ولدي حبيب فرفعوا الاغطية فراى طعاما حسنا
فجاء الى جفنة فيها طعام يحبه وقال اتركوا هذه لي واجعلوا ما
فيها في اوان صغار لاكل منها انا وبعض اضيافي فقالوا سمعا
وطاعة وجاءت ام حبيب حين بلغها ذلك وقالت فداك
ابي وامي عندنا من نوع هذا الطعام كثير فليترك مولاي الجفنة
ونحن ناتيه بكثير منه فقال قد علمت وانما نفسي طلبت من
هذه ولعل ما تاتون به وان كان من هذا بعينه لا تتوق اليه
نفسي فحين لم تجد بدا من طاعته وقالت دع الخدم يرفعن هذه

الجفنات

الجفنات واجلس انت هذه فقال لا بل حتى تفرغ هذه الجفنة وتملأ
كما كانت ويحمل كله مرة واحدة ولما جيء بالاواني واغترف من الجفنة
ظهر الدروع من تحت الطعام فنادى يا ام حبيب ما هذا فخجلت
ولم تحر جوابا فعند ذلك امر بالقبض عليها وقلب جميع الجفنات
فوجد فيها كلها دروعا وسيوفا وريالات فرانسا ونحو ذلك
فقال لها اي ذنب وقع مني حتى دبرتي على هلاكي فلم ترد جوابا فامر
بقتلها في تلك الساعة فقتلت وفي الحال ارسل ملكا من ملوكه الى
بيت حبيب بعد ان دعا حبيبا اليه فحضر حبيب على حالة الطمانينة
فلما مثل بين يدي السلطان امر بالقبض عليه فوضع في الحبس
ثم ارسله تحت جنح الليل الى جبل مرة واستصفى ما عنده من
المال ورد الدروع والسلاح الى مقرها ثم قبض على جميع من تواطأ مع
حبيب ولم يبق منهم احدا وتمهدت اموره واستوزر الفقيه مالك
الفوتاوي لظن علميته وصلاحه وكان يدعي انه يعرف سر الحرف
وعلم الاوفاق مع انه كانت فيه عامية وكثيرا ما كان يظهر الورع
والصلاح ويبطن ضده وكنت اظن ذلك منه حتى حقق الله ظني
فيه في مجلس واحد وذلك انه لما ترقى الوزارة ادخل جميع قبيلة
الفلان التي بدارفور تحت امره وصار يذب عنهم وحرمهم عند

الدولة حتى صار لا يجبى منهم مال وكلما نهبوه من غيرهم من القبايل
برد لهم حتى صاروا من اقوى القبايل واغناها فاتفق ان قبيلة
الفلّان اغاروا على قبيلة المساليط وقتلوا منهم خلقا كثيرا ونهبوا
منهم اموالا جمة من بقر وخيل ورقيق وجاء رئيسهم وكان يسمى
بجدّ العيال واتى بخيل وبقر ورقيق من المنهوب هدية الى الفقيه
مالك ليذب عن القبيلة وكان في شهر رمضان وكان وقت العصر
والفقيه مالك اذ ذاك يقرا في تذكرة القرطبي في صفة اهل النار
فاتى على قوله ولا زالت النار تقول يا رب زدني حتى يضع الرحمن
فيها رجله والرجل هي الجماعة من الناس وعليه قول الشاعر فمرّ بنا
رجل من الحي واتروي البيت فقال ولا زالت النار تقول يا رب
زدني وكان من عادته ان يقول بعد كل كلمة او كلمتين اي نعم قال
الكتاب فقال ولا زالت النار تقول يا رب زدني اي نعم قال الكتاب
ولا زالت النار تقول يا رب زدني اي نعم قال الكتاب حتى يضع
الرحمن فيها رجله اي نعم قال الكتاب والرجل هي الجماعة من الناس
اي نعم قال الكتاب وعليه قول الشاعر اي نعم قال الكتاب فمرّ بنا
رجلٌ اي نعم قال الكتاب وكررها مرارا فقال له السنوسي
ولده يا ابو فمرّ بنا رجلٌ فقال اي نعم فمرّ بنا رجلٌ وكررها مرارا

وكنت

وكنت جالسا ولم يسعني السكوت فاخذت نسخة من رجل
بجانبي فرايت فيها فمر بنا رجل من الحي البيت فقلت يا ابو فمر بنا
رجل فقال لي اسكت انت الآن صغير عن هذا وامثاله مع ان
هذا هو الذي يصلح لان يكون شاهدا فسكت ومن عامينه
ما حكى لي والدي عليه سحائب الرحمة والرضوان ان السلطان
التمس من الفقيه المذكور ان يخطب يوم العيد فقصد والدي
ان يولف له خطبة فالفها وكتب في اخرها تمت على يد مولفها
الفقير الى المنان عمر التنسي بن سليمان في يوم وسنة كذا واعطاه
اياه فلما كان يوم العيد صلى بالسلطان ثم رقى المنبر فخطب
وبعد الخطبة قال تمت الى اخر ما كتب ولم يتفطن ان هذه الكلمات
خارجة عن الخطبة وكان من اغنى ارباب الدولة وكان له من الاقطاع
ما ينوف عن خمسمائة بلد وذلك غير اقطاع اخوانه ثم السلطان
اجل مقام الشيخ محمد كرا واعلا كلمته حتى صار لا تعلى على كلمته كلمة
وبلغه ان هاشم السبعاوي ملك كردفال رجع اليها واخذها
من يد عامل السلطان فجهز جيشا كثيفا لنظر الاب شيخ محمد
كرا فتوجه الى كردفال واغنى غناء حسنا واخذ كردفال من يد
السلطان هاشم وقتل عساكره وشرده في القفار واستوطن

كردفال مدة سبع سنين وفيها ارسل للسلطان اموالا جمة من
رقيق وذهب وغيره وسعى به بعض من اعداه الى السلطان
فارسل السلطان الامين محمد بن الامين علي ود جامع بجيشه اليه
وارسل معه قيدا وقال له خذ هذا القيد وقيده به وارسله مع جيشك
وكان ذلك امتحانا من السلطان فلما وصل الامين محمد الى كردفال
ظن في نفسه ان الاب شيخ محمد يعارضه او ينازعه فلم يفعل شيا
من ذلك بل حين وصل اليه قال له بماذا امرك السلطان قال
بتقييدك وارسالك اليه فقال سمعا وطاعة هات القيد فاعطاه
اياه فاخذه وقيد نفسه بيده ودعا الحداد وامره ان يسمّره
ويبرد عليه امتثالا لامر السلطان ففعل واصبح مسافرا
والقيد في رجليه حتى وصل الى دارفور وحين أخبر السلطان
بقدومه ارسل له من ينزع القيد من رجليه وقال أمَا قلت
لكم ان محمد كرا لا يعصانى ثم امره ان ياتى الى الفاشر في موكبه
فاتى على احسن حالة وخرج اليه السلطان واحسن ملقاه
وسوره بسوار من ذهب امام الوزراء والحاضرين وبالغ
في اكرامه ورده الى منزلته بل صار اعظم مما كان وكان هذا الفعل
من السلطان هو عين البخت التام لابنه محمد فضل فانه لما

تُوُفِّيَ

توفى السلطان قام بامره الاب الشيخ محمد كرا ولولاه لما نظر
اليه احد ولا عَنَى به وكيفية ذلك ان السلطان لما ثقل به مرضه
دخل عليه الفقيه مالك الفوتاوى فوجد الاب الشيخ محمد كرا عنده
فقال له الفقيه مالك ياسيدى ان الوصية فيها خير عظيم وانك
فعلت مع الناس من المعروف ما لا يوصف وكل وزرائك واهل
مملكتك راضون عنك فان وصيت بشى اظنه بل احققه انه
ينفذ ولابد فاوصِ لعل ولدك ينتفع بوصيتك فقال ومن يتوكل
على الله فهو حسبه فاعاد عليه الفقيه مالك هذا القول ثانيا فقال
هو ذلك ايضا فاعاد عليه ثالثا فقال ذلك ايضا فتركه بعد الثالثة
ثم قضى نحبه عليه سحائب الرحمة فحين توفى بكى عليه الاب والفقيه
مالك وبعد البكاء قال الفقيه مالك للاب ما ذا انت صانع الآن
قال الاب سأُرِيك ما اصنع فقام من وقته ودخل الدار ودعا
بمحمد فضل وكان اكبر ولديه لانه لم يترك من الذكور الا محمد
فضل وبخارِى ومن الاناث حَوَى وست النسآء وامّ سَلْمَى
فاقعد محمد فضل ولبسه الخاتم وعممه وقلده بالسيف واجلسه
على كرسى السلطنة وادخله فى حجرة وارخى عليه سترا وارسل فى
الحال الى جماعته فحضروا متقلدين سيوفهم شاكين السلاح فاوقفهم

على الابواب ورتب منهم جماعة يحرسونه ونفعه فى ذلك
باب سر كان بين بيته وبيت السلطان بحيث ان العساكر
دخلت منه ولم يشعر بها احد ثم ارسل الى اكثر الوزراء جماعة
واقواهم شوكة الملك ابراهيم ود رماد انسانا يقول له ان
السلطان يامرك بالذهاب اليه فجاء فلما دخل الباب وجد
العساكر وقوفا فراعه امرهم ولم يجد بدا من الدخول ولما وصل
الى محل السلطان وجد الاب شيخ محمد كرا والفقيه مالك جالسين
والسلطان بينهما مسجى فلما راه كذلك بكى ثم بعد استرجاعه
قال له الاب الشيخ ان السلطان قد توفى فماذا ترى فقال لا
ارى سوى رايك فقال له الاب اتعاهدنى على ذلك قال نعم فحلفه
واخذ مواثيقه انه لا يتعدا رايه ثم رفع الستر وقال هذا السلطان
يعنى محمد فضل فقال الملك ابراهيم وهو كذلك فقال قم فبايعه
فبايعه ح وجلس ثم ارسل الى الوزراء والملوك واحدا بعد واحد
وكلما جاءه احد فعل معه كما فعل بالملك ابراهيم حتى استوثق
من اكابر الدولة كلهم ولم يترك منهم الا من لا قوة له ثم اعلن
بموت السلطان وضربت طبول الحزن وسمعها اولاد
السلاطين فركبوا وجاوا شاكين السلاح هاجين على دار

السلطان

السلطان فراوا الامر مهولا والجند محيطا بها حارسا لها منهم
ومن غيرهم فلما لم يجدوا الى الدخول سبيلا ضربوا فى البلاد
وصاروا ينهبون اموال الناس وتجتمع عليهم الغوغا حتى
صاروا فى جند كثيف وثقلت وطاتهم وعظم شرهم فجهز
لهم الاب الشيخ جيشا لنظر الملك دلدن الذي اسلفنا ذكره
وهو ابن عمة السلطان محمد فضل فخرج اليهم واوقع بهم
وانهزمت الغوغا الملتفة عليهم وقتل منهم كثير وظفر باولاد
السلاطين وجيئ بهم الى الاب مصفدين فارسلهم الاب الى
السجن فى جبل مرة وسكنت الفتنة وتمهدت الامور ثم
امر السلطان بالقراءة وطلب العلم لصغر سنه وعدم خبرته
بالامور فثقل ذلك عليه ولم يجد بدا من الامتثال فكابد مشقة
التعليم نحو سنتين وقتل الشيخ محمد كرا فى تلك المدة بعض
الملوك لفتنة وقعت منهم ورمى بعضهم فى السجون وكلهم
من أسرة السلطان وعصابته وولى مناصبهم لجماعته فثقل
ذلك على ارباب الدولة وخافوا شره فاغروا السلطان على
قتله او سجنه فوقع بينهما الحرب وقتل كما قدمنا ذلك كله
والله اعلم المقصد وفيه ثلاثة ابواب الباب

الاول في صفة دارفور واهلها وعوائدهم وعوائد ملوكهم واسماء مناصبهم ومراتبهم وفيه خمسة فصول الفصل الاول في صفة دارفور اما دارفور

فهو الاقليم الثالث من ممالك السودان وذلك ان للقادم من المشرق الى بلاد السودان اول مملكة واقليم يعرض مملكة سنّار ثم كُرْدُفَال ثم دار الفور فظهر انها الاقليم الثالث وبحسب ذلك اقليم وَدَاي هو الرابع والباقِرْمَهْ الخامس وبَرْنُو السادس وأَدِقِز السابع ونُفَهْ الثامن ودار تُنْبُكْتُو التاسع ودار مَلَّا اومَلّي العاشر وهي قاعدة مَلِك الفُلَّان وهم الفَلّاتَا كما ذكرنا واما الذي ياتي من المغرب فانه يعدّ مَلَّا الاول وتنبكتو الثاني ونُفَه الثالث وهكذا واعلم ان القُدَماء يطلقون على بعض اهل السودان اسم التكْرُور ويعنون به اهل مملكة بَرْنُو لكن الآن قد عمّ هذا الاسم على ممالك متعددة اولها دار وَدَاي او وَدَاي المعروفة ايضا بدار صَلَيْح واخرها بَرْنُو فيدخل في ذلك بَاقِرْمَهْ وكَتَكُو ومَنْدَرَة فيقال لاهل كل منهم تكْرُور حتى انه صار عرفا بينهم ولقد لقيتُ منذ ايام رجلا من اهل السودان فسألته من اين انت فقال من التكْرُور بل اظنه قال تكْرُوري فقلت من اي

من

من التكاريرفقال من باقرمه لكن لم يخبرني الا بعد مشقة ظننا
منه اذ لا اعرف تلك الجهة فلما اخبرني وسالته من بعض مواضع
منها تعجب تعجبا عظيما والان القول وحد الفور من جهة الشرق
اقصى الطويشة ومن الغرب اخر دار المساليط يعني مملكة المساليط
واخر دار قمر واول دار تامه وهو الخلا الكائن بين دار صليح وبينها
ومن الجنوب الخلا الكاين بينها وبين دار فرتيت ومن الشمال
المزروب وهو اول بئر يعرض لمن يتوجه لها من الديار المصرية
وتتبعها عدة ممالك صغيرة فمن الشمال مملكة الزغاوة وهي
مملكة واسعة وبها خلق لا يحصون كثرة ولهم سلطان وحدهم
ولكنه بالنسبة الى سلطان الفور اشبه بقائد من قواده ومن
جهة الشمال ايضا مملكة الميدوب والبرتي وهما مملكتان كبيرتان
الا ان اهل الثانية اكثر من اهل الاولى ومع كثرتهم اكثر انقيادا
لسلطان الفور من الميدوب وفي خلال دار فور مملكة البرقد
ومملكة برقو والتنجور ومية الا ان مملكة البرقد والتنجور في
الوسط ومملكة البرقو والمية من جهة الشرق ومملكة الداجو
والبيقو من الجهة الجنوبية وكذا مملكة فراوجية ولكل من هذه
الممالك حاكم يسمى سلطانا لكن يوليه عليهم سلطان الفور وكلهم

على نسق واحد في الهيئة والملبوس الا ملك التنجور فانه يلبس
عمامة سودا وسالته عن سبب سواد عمامته فاخبرني ان
اصل مملكة دارفور لاجداده وتغلب عليها سلطان الفور فلُبْس
العمامة السودا اشعار بحزنه على فقد مملكته وقد احاط بجانبها
الشرقي والجنوبي كثير من عرب البادية كالمَسِيرِيَّة الحُمْر والرِزَيْقات
والفُلَّان وكل قبيلة من هذه القبايل لا تحصى كثرةً وهم اهل بقر
وخيل واثاث واكثرهم اهل ثروة لا يالفون الحاضرة بل يتبعون
الكلأ اينما كان ويلحق بهم القبيلة المسماة ببني حِلْبَة لانهم اهل
بقر ايضا لكنهم يتوغلون في دارفور ويزرعون واما اهل الابل
منهم الفَزَارَة وهم المَحَامِيد والمَجَانِين وبنو عُمْران وبنو جَرَّار
والمَسِيرِيَّة الزُرْق وغيرهم وعلى كل من هذه القبايل ضريبة ياخذها
السلطان من اموالهم في كل سنة لكن في ذلك تفاوت اما المَسِيرِيَّة
الحُمْر والرِزَيْقات لقوتهم وتوغلهم في الخلآء فلا يعطون للسلطان
الا اقبح اموالهم ولا يقدر العامل ان ياخذ من كرائمها الا برضاهم
وان تاقت نفسه الى ذلك طُرِد وربما قتل ولا يقدر السلطان
لهم على شيء ولقد بلغني ان الرِزَيْقات عصوا امر السلطان تيراب
وجهز لهم جيشا فكسروه فخرج اليهم بنفسه ففروا امامه ودخلوا

ف

في البرجوب بمواشيهم فتبعهم فقتلوا منه خلقا كثيرا ولم يملك
شيا والبرجوب موضع يسافر فيه المسافر عشرة ايام يقطعه وهو
طين لين مغطى بماء يبلغ نحو عانة الرجل ومن لين طينته تسوخ
فيه قوائم الدواب ومع ذلك فهو ذو شجر شايك وهذا الموضع لا
ينقطع عنه المطر الا شهرين في السنة في فصل الشتا ثم ان طول
اقليم دارفور من اول بلاد الزغاوة الى دار رُوكَه نحو ستين يوما
بل ان اعتبر المُلحقات بها كدار رُوكَه وفَنْقَرو ودار بَنْدَلَه وبِيكَه
وشالا كانت اكثر من سبعين يوما هذا كله بحسب تعريف اهل
البلد لكن الذي اظنه انها لا تصل لذلك بل نهاية مساحته تبلغ
نحو من خمسين يوما او اقل وان عُدّت ممالك الفَرْتِيت الخمسة المذكورة
وهي في ذلك الزمن المُلحقات المعاهدة لسلطان دار الفور ويُؤدّون
له الخراج في كل سنة فاذا دخلت دار الزغاوة من جهة المَزْرُوب
متوجها على خط مستقيم الى كُوبَيْه تمكث نحو ستة ايام ومن كُوبَيْه
الى تَنْدَلْتِي الذي هو الفاشر يومان ومن الفاشر الى جديد كَرِيُو
يومان ومنه الى الرِيل يومان فهذه اثنا عشر يوما ومن الرِيل الى
جديد رَاس الفيل اربعة ايام ومنه الى تَلْدَوا ثلاثة ايام او اربعة
ومنها الى تَبَلْدِيَّه ثمانية وتبلدية على الحدود الشرقية للفور ومنها

يدخل الانسان في بلد الداجو والبيقو فيمشي فيها نحو من ثمانية
ايام ايضا فهذه اربعة وثلاثون يوما ثم اذا خرجت منها الى جهة
الشرق تجد خلاء مشحونا باعراب البادية كالمسيرية الحمر والحبانية
والرزيقات عالم لا يحصيهم الا خالقهم وان ملت الى جهة الغرب دخلت
في دار أبَّاديما فتقطعها في نحو عشرة ايام ثم تدخل في خلاء تمشي فيه
يومين وتدخل الى دار روكَّة ومسافتها نحو ثلاثة ايام ودار فنقرو
مثلها او اقل منها بشيء يسير ومنها خلاء يمشي فيه الانسان نحو
يومين ومنه يدخل في دار بيكَّة وشالا ومسافتهما يومان فظهر
لك بما ذكرناه ان طول دار فور بملحقاتها لا تبلغ نحو خمسين يومًا
وهذه الملحقات هي البلاد الجنوبية التي بعد دار الفراوجية لان
الفراوجيه اخر حدود ممالك الفوراوية الحقيقية وما يسمونه اهل
الفور بالسعيد المساحة الممتدة من ريل لاخر دار الفور من جهة
الجنوب ودار أبَّاديما هو دار تمُّوركة واباديما اسم منصب كما
سنذكره معناه الجناح الايمن للسلطان والحاكم المسمى بهذا الاسم
يحكم على دار تمُّوركة فسمي لذلك دار تموركه بدار اباديما ويقابله
التكنياوي الذي هو ايضا اسم منصب معناه الجناح الايسر
للسلطان ويحكم التكنياوي على اثني عشر ملك ايضا وهو حاكم الزغاوة

وما

وما يليها الجهة الشرق ولذلك ايضا سمي دار الزغاوة بدار التكنياوي
وان قلت من حيث ان اباديما والتكنياوي متعادلين لم كانت
طول دار اباديما عشرة ايام وطول دار التكنياوي خمسة ايام قلت
دار التكنياوي اعرض من دار اباديما لان دار اباديما عرضها نحو خمسة
ايام وشي يسير وعرض دار التكنياوي نحو سبعة ايام فانتقص
من طولها جُبِر بزيادة عرضها ثم اعلم ان دار فور منظمة تنظيما
على وجه محكم لاننا ذكرنا ان جبل مَرَّة يشقها وان نصفها من
جبل مرة الى جهة الشرق سَهْل وعرض جبل مرة بقطع النظر عن
ارتفاع الجبال نحو يومين ووراه من جهة الغرب سهل ايضا لكن
من جهة الشمال الزغاوة والبَرْتي وهما قبيلتان عظيمتان فالبرتي
من جهة الشرق والزغاوة من جهة الغرب وفي وسطها من
جنوب جديد كَرِيُو يسكنها التنجور والبِرْقِد وهما قبيلتان
عظيمتان وهكذا الى جديد راس الفيل وازيد بل الى تبلدية وان
كان بينهما بلاد وقبائل صِغار ثم من هناك الى الخلا من جهة
الجنوب والشرق وجهة دار اباديما يسكنه الداجُو والبِيقُو
فالداجو من جهة المغرب والبيقو من جهة المشرق وشرقي
جديد كَرِيُو يسكنه البَرْقُو والبِيمة وهما قبيلتان عظيمتان ثم ان

جبل مرة لا يسكنه الا اعجام الفور واعجام الفور ثلاثة قبائل احدها
كُنجَارَة وهي تسكن من قرلي الى بعد الجبيل الصغير المسمى مرة بالخصوص
وهو مرة حقيقة وبعده بقليل الى حد دار ابادبما تسكنه الفور المسمون
كَرَاكِرِيت واما الفور الساكنون بدار ابادبما فيسمون تموُرْكَه وبعد
دار ابادبما دار رُوُكَه ودار فرَاوُجِيَه لكن رُكَه من جهة المغرب وفراوجيه
من جهة المشرق ودار فنقرو بعد دار فراوجيه وبعد دار روكه
دار سِلاَ لكن تميل الى المغرب اكثر ولهذا يحكمها اهل الوادائى
واعلم ان جبل مرة ليس جبلا واحدا كله بل هو عدة جبال كبار
وصغار وقبل الدخول في دار ابادبما ينقطع الجبل وتبقى ارض
سهلة يسكنها الفلّان حتى انهم يقربون من المَسَالِيط من
جهة المغرب ويليهم بنو حِلْبَة والمَسِيرِيَّة الزُرق وجميع ما
ذكرناه غير البدو الحافّين بها من شمالها وشرقها وجنوبها
وغير المولدين من القبائل والفور يسمونهم الدَارَاوِيَّة اى المنتسبين
للدار فانهم في الوسط لا يُعتبرون بقبيلة وان اردت ان
ابين لك كيفية دار الفور ووضع منازل هذه القبائل والاعراب
المحتفّين بها فها انا ارسم لك ما هو على هيئة الجدْوَل تقريبا
للفهم وهو هذا فنفرض ان هذه الجهة هى جـــــهة

الجنوب

الجنوب

هذا وان كنت لم ابيّن في هذا الجدول البيان الشافي لعدم
معرفتي بالرسم ولضيق الورق فهي في نفسها كذلك لكن الماهر
يستنتج منها صورة حسنة ثم اعلم ان اعمر البلاد من جهة
الشمال بلاد البرقي والزغاوة لكثرة ما فيها من العالم وانظر
حكمة الله فان القبيلتين في خط واحد لكن البرقي ارق قلوبا
واحسن وجوها واجمل نسآء والزغاوة بالعكس كما ان الداجو
والبيقو في خط واحد وبنات البيقو اجمل من بنات الداجو واما
البرقِد والتُنجُور فيوجد في كل منهما المليح والقبيح لكن البرقد
خائنون سُرّاق ليلا ونهارا لا يخافون الله ولا رسوله والتنجور
معهم بعض دين وبعض عقل يمنعهم واما اهل الجبل فكلهم
على حد في الوحاشة والوخاشة لكن متى جئتَ في دار ابا ديما
تجد الرجال والنسآء حسان فسبحان من هذا صُنعُهُ واما
المسَاليط فنساؤهم يسبين العقل ويذهبن باللب واجمل
النسآء في دار الفور على الاطلاق نسآء العرب بل ورجالهم
كذلك وبين الوَادَاى ودار فور لا يوجد ساكن البتة ما عدا
اهل جبل تَامَا الذي سنتحدث عنه أنّ السلطان صَابُونْ
وهو سلطان الوادای غزاه واستولى على اهله واعلم ان جميع

البلاد التي في دارفور مقسومة على اكابر الدولة فكل منهم له فيها
على قدر منصبه وحاله فاوسعهم دار أَبَادِيمَا و التكنياوي لان
كلا منهما تحت يده اثنا عشر مَلِكا لكل ملك منهم عمل مستقل
ويسمون ذلك الملك شَرْتَايْ فاباديما يحكم على التامُورْكَه
والتكنياوي يحكم على دار الزَغَاوَهْ والبِرْتِي وما والاها وأَبَاوُمَا وسيانو
الكَامْنَهْ يحكم على اربعة ملوك من السَلَاطِيط وفُورْكْ أَبَا يحكم على
اربعة ملوك من الكَرَاكِرِيتْ والأُرْنْدُلُنْ وهو وجه السلطان
يحكم على اربعة ملوك من بلاد البِرْقِد والاب الشيخ يحكم على
اربعة ملوك ايضا ووَرْنْكْ ابا يحكم على مَلِكَيْنِ وهذه البلاد غير بلاد
الامناء والاشراف والفقهاء العظام والقضاة وليس للسلطان
بلاد خالصة له الا بيوت ابائه واجداده مثل قِرلِي ورِيل وتَنْدَلتي
وغيرها ومحل حكم الاب الشيخ من ابي الجُدُول الى الجنوب حتى ياخذ
ايضا قطعة عظيمة من بلاد البِرْقِد والامناء يحكمون على جهة مُرَّة
واما السلاطين الصغار فان كل سلطان منهم يحكم على بلاد جماعته
كالبَرْقُو والمِيمَة والتُنْجُور والدَاجُو والبِيقُو والزَغَاوَهْ وهولاء
السلاطين لهم اقطاع يتعيشون منها وان كانت المملكة لها
حاكم غيره فمثلا سلطان زَغَاوَه حاكم على جماعته مع انه في دار

التكنياوي

التكنياوي لكن له اقطاع من زمن اجداده لا يتعرض لها التكنياوي
وبقية البلاد ياخذ التكنياوي خيراتها وهكذا لغيره من السلاطين
الصغار وبقية الاقاليم غير الستة المذكورة حكامها ملوك واما
عرض دارفور فانه من الخلا الكائن بينه وبين دار صَليح اي دار
وَادَاي الى اخر الطُوَيشَة اي لاول الخلا الكائن بينه وبين كُرْدُفَال
نحو ثمانية عشر يوما وهذا الاقليم نصفه سهل ارض مرملة قليلا
الا اخره من الشرق فانه كثير من الرمل ولذلك يسمى بالقَوز
واما اراضي جبل مرّة فهي طين اسود وهو جبل يشق دار الفور
من اولها الى اخرها حتى قيل انه متصل بالمُقَطَّم المطل على القاهرة
لكنه ليس قطعة واحدة بل هو متقطع من عدة اماكن وله طرق
عديدة وفي هذا الجبل امم وعالم لا يحصى كثرة وفيهم القبيلة المعروفة
بالكُنْجَارَة التي ينتسب اليها سلطان دارفور وفي هذا الجبل
كهوف عديدة تحبس فيها اولاد الملوك واخرون لحبس الوزراء
وفيه من الخيرات شي كثير وذلك ان فيه من البقر والغنم ما لا
يوجد في غيره من الاماكن ومن العجيب ان جميع مواشيهم
ترعى وحدها بدون راع ولا يخشون عليها سارقا ولا سبعا ولا
ذئبا ولقد استاذنت السلطان محمد فضل رحمه في التوجه

الى جبل مرة للفرجة فتوقف اولاً في الاذن خوفاً علي من غائلة اهل
الجبل ثم اذن لي وعيّن معي خُدّاماً وكتب لي فرماناً الى جميع عمال
الجبل يقول فيه من حضرة السلطان الاعظم والخاقان
الكرم سلطان العرب والعجم الواثق بعناية الملك العدل الصبوى
السلطان محمد فضل المنصور الى جميع ملوك جبل مرة اما بعد
فان السيد الشريف محمد التونسي بن الشريف العلامة السيد
عمر التونسي التمس منا اذناً في ان يرى الجبل وما فيه ويختبر ظاهره
وخافيه وقد اذنّاه بذلك فلا يُمنع من محل يريد النظر اليه وأُمِرَ
كلّ ملك نزل به ان يكرمه ويعظم ملقاه وقد اصحبناه بفَلْقَنَاوِيّين
من خواص فَلَاقِنَتي ليكونا واسطة بينكم وبينه وتبليغ الكلام
ونيل المرام والسلام فتوجهتُ صحبة الفَلْقَنَاوِيّين وعبدَيْن
لي ورجل من اهل البلدة التي انا فيها فسافرنا يومين وفي اليوم
الثالث اتينا اطراف الجبل فنزلنا في بلد يقال لها نُمْلَيه ولها رئيس
يقال له الفقيه نمر وله ولد يقال له الفقيه محمد واخر يقال له سليمان
فنزلنا في بيت رئيس البلدة وحضر هو واولاده واستقبلونا بصدر
رحب فاخبرناهم بمقصدنا واظهرنا لهم امر السلطان فاهتموا
حينئذ بشاني واعطوا ضيافتي فبتنا ليلتنا تلك ومن الغد

توجهوا

توجهوابى الى سوق نُمْلَيه وهو سوق يعمر فى كل يوم اثنين يحضره
جميع اهل الجبل رجالا ونسآء يقضون مصالحهم فرايت اناسا
شديدى السواد حمر الاعين والاسنان وحين راونى اجتمعوا
علىّ متعجبين من احمرار لونى واتوا الى افواجا افواجا لانهم لم
يقع لهم روية عربى قبل ذلك وارادوا قتلى على سبيل الاستهزآء
وكنت اذ ذاك لا اعرف من لغة الفور شيا فما راعنى الا انى رايت
من معى من الناس اختطفوا سلاحهم وجردوه فى وجوه القوم وحالوا
بينى وبين القوم فسالتُ عن السبب فقالوا لى انهم يريدون
الفتك بك فقلت لماذا فقالوا لقلة عقولهم لانهم يقولون ان
هذا لم ينضج فى بطن امه وبعضهم يقول لو نزلتْ عليه ذبابة
لاخرجت دمَه فقال احدهم اصبروا وانا اطعنه بحربة وانظر ما
مقدار ينزل منه من الدم وحين سمعنا منهم ذلك خفنا عليك
واحطنا بك ثم ان الجماعة اخرجونى من السوق فتبعنى خلق
كثيرون فطردوهم عنى بكل جهد ثم ذهبوا بى الى واد هناك فرايت
فيه نخيلا واشجار موز وبعض اشجار من الليمون ورايت قد زرع
فى ذلك الوادى من البصل والثوم والفلفل الاحمر وهو قرون
صغيرة رفيعة اكبر من حب الشعير بقليل والكمون والكُسْبَرَة

والحلبة والقثاء والقرع شي كثير وكان ذلك في ايام الخريف وقد
احمر البلح فقطعوا لي عرجونين من البلح احمر واصفر واهدوا الي
بُخْسَة عسل لم ار نظيرة حسنا وطعما ولذة وبتنا في اكرم
ضيافة والذ عيش ولما اصبح الصباح طلبتُ التفرج فاخذوني
ودخلنا الاودية فصرنا نقطع واد بعد واد وبين كل واديين
اقل من ميل مسافة وفي كل واد زرع عجيب وماء يتدفق على رمل
كالفضة وقد احاط الشجر به سياجا من حافتيه يتمنى الناظر ان
لا يفارقه فجلسنا على شاطئ الوادي في ظل شجرة هناك وذبح
لنا كبش سمين وحنيذ فاكلنا منه ارادتنا ثم ذهبنا لبلد تحت
الجبل فبتنا فيها في اكرم ضيافة ولما اصبحنا صعدنا الجبل فمكثنا
صاعدين نحو ثلاث ساعات حتى علوناه فراينا فيه امما كثيرة
وبلادا متفرقة فادخلونا على شيخ الجبل وكان ح يسمى ابابكر وهو
جالس في خلوته فلما دخلنا عليه وجدناه رجلا مسنا قد ناهز
الستين واثّر فيه الكبر فسلمنا عليه فرحب بنا واجلسنا
لطيفة هذا الجبل لا يرتفع عنه السحاب في السنة الا اياما قلائل
ولكثرة المطر يزرعون القمح وينبت عندهم قمح لا يوجد نظيره الا
في بلاد المغرب او في بلاد اُوْرُوبّا لانه حسن جدا وبقية دارفور

لا

لا ينبت عندهم قمح لعدم الارض الصالحة ولعدم الامطار الا ما
قل كارض كُوبَنِيه وكَبْكَابِيَة فانه يزرع فيها القمح ويسقى بماء الابار
حتى يتم نضجه ولزيارة الشيخ المذكور يوم معلوم من السنة
تذهب اليه الناس من كل جانب ويقول لهم ما يحصل في جميع
العام من قحط ومطر وحرب وسِلم ورخاء وشدة ومرض وصحة
والناس يعتقدون حقيقة ذلك فاختلف اهل دارفور في ذلك
فمن قائل انه من طريق الكشف وان كل من تولى شيخا يكون وليا
وما يقوله للناس من طريق الكشف وهذا قول اهل العلم ومن قائل
ان الجان يخبره بجميع ما يحصل وهو يقول للناس وكلا القولين لا
اعرف صحتهما بل قد تُقوِّلَت عنه امور كثيرة وحصل عندها اهم
فابرزنا فرمان السلطان وقراه عليه الفقيه محمد فرجب واكرم
ودعى لنا بطعام ثم ضرب طبلا يقال له التنبل فجاء اناس كثيرون
فانتخب من شبابهم نحو مائة نفر وأرأس عليهم رجلا من ذوي قرابته
يعرف بالشجاعة يقال له الفقيه زيد وامره ان يكون مع هو والجماعة
وان يكونوا على اهبة وحذر من جهال اهل الجبل ثم ركبنا وتوجهنا
الى مكان هناك فيه جبل صغير وهو المسمى مَرّة وسمي الجبل كله
باسم ذلك المحل فراينا فيه مكانا اشبه بمعبد جميع اهل الجبل

يعتقدون تعظيمه ويرون ان حرمته كحرمة المساجد فدخلنا فيه
وقد اظلته شجرة كبيرة بحيث صار لا تراه الشمس فجلسنا فيه
قليلا ورأينا فيه خدمًا لتنظيفه واستقبال النذور ممن ياتى
بها ثم انتقلنا من ذلك المكان ومشى العسكر امامنا فلحق بنا
عالم كثير نساءٌ ورجالا وجعلونى اعجوبة وتكالبوا وازدحموا علىّ
واراد العسكر تفرقهم فما امكن ذلك حتى قال بعضهم ان
السلطان ارسل لاهل الجبل رجلا لم ينضج فى بطن امه ضيافة
لهم فقال بعضهم هو ادمى وقال اخرون هو ليس بادمى بل هو
حيوان ماكول اللحم على هيئة الادمى لانهم ينكرون ان يكون للادمى
لون ابيض او احمر وهولاء القوم لا يعرفون من اللغة العربية الا
كلمتى الشهادة ويقولونها مقطعتين مع العجمة القبيحة ولما
عجز من معى من الدفع عنى جاءنى الفقيه زيد وامرنى ان استر وجهى
بلثام لا يظهر منه الا الحدقتان فتلثمت واحتاط بى العسكر
وحين رأى السودان انى تلثمت اختلط عليهم الامر وسالوا اين
الاحمر قالوا ذهب الى السلطان فانكفوا قليلا وح توجهنا الى
محل الحبس اى الكهوف التى فيها المحبوسون من اولاد الملوك
والوزراء فمنعنا الحرس من الوصول اليها وكاد ان يقع بينهم وبين

جماعتنا

جماعتنا شرفتلا فى الفقيه زيد الامر واخذ منى الفرمان وذهب
الى رئيس الحرس وقراه عليه وعند ذلك امتثل وقال ان كان ولا
بد فليات المامور له بالتفرج وحده وجميع من معه يجلس على
بُعد حتى يقضى شانه ويرجع اليهم فجائنى واخبرنى بذلك فابيت
ذلك وادركنى خوف عظيم فنائيت عن الدخول الى الكهوف وطلبت
الرجوع فرجعنا ومن غرائب عوائدهم ان الرجل لا يتزوج المرأة
حتى يصاحبها مدة وتحمل منه مرة اومرتين وح يقال انها ولود
فيتعقد عليها ويعاشرها ومن عوائدهم ايضا ان النسآء لا
يحجبن عن الرجال حتى ان الرجل يدخل داره فيجد امراته مختلية مع
آخر فلا يكترث ولا يغتم الا اذا وجده عليها ومن طبيعتهم
الجفآء وسوء الخلق خصوصا اذا كانوا سكارى ومن طبيعتهم
ايضا البخل الزائد لا يُقرون ضيفا الا اذا كان من ذوى قرابتهم
او لهم به علقة اوكان انسانا يخافون منه ومن عوائدهم ان
الصبيان والبنات الصغار لا يستترون الا بعد البلوغ فيلبس
الصبى قميصا وتشد الانثى وسطها بمئزل ويبقى ما زاد عن
السرة الى وجهها بارزا ومن عاداتهم عدم الترفه والتفنن فى
الماكل بل كلما وجدوه اكلوه لا يانفون طعاما ما كان اونتنا بل

ربما احبوا اكل الطعام المر واللحم النتن واستحسنوه عن غيره
ومن عادتهم ان الشباب لهم في كل بلدة رئيس وكذلك النسا
لهن رئيسة فرئيس الرجال يسمى الوُزْنَاكْ ورئيس النساء تسمى
الميَرَم فاذا كان في الافراح والاعياد والمواسم يجمع الرئيس اصحابه
ويجلس بهم في محل وتاتي الرئيسة وصواحبتها فيجلسن امامهم
على حدة فينفرد الوُزْنَاكْ ويدنو من الميَرَم ويخاطبها بكلام يعرفه
هو وهي فتامر الميَرَم جماعتها ان يتفرقن على جماعة الوُزْنَاكْ
فياخذ كل فتى فتاة ويذهبان الى محل ينامان فيه الى الصباح ولا
عار في ذلك على احدى منهن وليعلم ان الرجال في دارفور لا يستقلون
بامر البتّةَ الا الحرب فليس للنسآء دخل فيه وما سوى ذلك فهم
والنساء سواء بل اكثر الاشغال واشقها على النسآء وللرجال
اختلاط عجيب بهن بالليل والنهار في جميع الاعمال ومن العجب
في اهل جبل مرة انهم لا ياكلون من القمح الذي يزرعونه بل يبيعونه
ويستبدلون بثمنه دخنا واعجب من ذلك غِلظ قلوبهم
وجفاوتهم مع انهم ممتزجون بالنسآء امتزاجا كليا وهذا
خلاف المشاع على السنة جميع اهل بلاد أُورُوبَّا من ان الرجال
اذا امتزجوا بالنسآء تذهب غلاظة قلوبهم ويكتسبون

الرقة

الرقة وحسن الطبع ومن غلاظة طبعهم ان الرجل يسافر الفراسخ
العديدة راجلا ويكون معه حمار فيسوقه امامه ولا يركبه وان
سئل يقول إنْ ركبتُه ابطأَ بي واما لغتهم فهي لغة فيها احاسن
الفاظها تتشبه الفاظ اللغة التركية لانهم اذا دعوا انسانا يقولون
له كلا والترك يقولون گال وقولي تتشبه اللغة التركية ليس
معناه انهما متقاربتي المعنى بل وجه الشبه في مجرد الالفاظ
وان اختلف موضوع معنى كل منهما وذلك ان الغور يقولون
للفرس يَا مُوزَتَا وعند الترك هو اسم للبيض والقبيح عند الغور
اسمه گِتّي وعند الترك فعل ماض بمعنى ذهب ولم اسمع
لغة انقص من لغتهم لان العدد بلغتهم ينتهي الى ستة ويُكمَّل
بالعربي فيقولون دِيك واحد أَوْ اثنان إيش ثلاثة أُوكُو اربعة
أُوسُو خمسة أُوصَانديك ستة ثم يقولون بالعربي سبعة ثمانية
تسعة ثم يقولون وُأَيَّه وهو لفظ يدل على عشر الاعداد لطيفة
من العجب ما سمعته بجبل مرة ان الجن ترعى مواشيهم التي ترعى
في الكلاء بدون راع معهم ولقد اخبرني عدة رجال ممن يظن
صدقها ان الانسان اذا مر بمواشيهم وراى ان لا راع لها ربما
طمع فاخذ منها شاة او بقرة او غير ذلك فان ذبحها تلتصق يده

بالسكين على منحرها ويحجز عن فكاكها حتى تاتى ارباب الماشية
فيقبضون عليه ويغرمونه ثمنها باغلا قيمة بعد اهانتهم له وضربهم
اياه الضرب المولم ولقد تكرر على سماع ذلك حتى بلغ مبلغ التواتر
مع انى لا اصدقه وحين كنت فى جبل مرة توجهت الى دار رجل
منهم فى نُمُلَيَه اسال عنه فما رايت فى داره احدا لكن سمعت داخل
الدار صوتا غليظا مرعبا اقشعر منه جلدى يقول لى أَكَبا يعنى
انه ليس هنا وفى ذلك الوقت اردت ان اتقدم واسال اين ذهب
فمر بى انسان وجذبنى وقال ارجع فان الذى يخاطبك غير ادمى
فقلت وما هو فقال هذا الحارس الجنى لان لكل انسان منا حارسا
من الجن ويسمى بلغة الفور دامْزُوقَه فخفت ح ورجعت من حيث
اتيت ولما رجعت من هذه السفرة وتوجهت الى الفاشر
اجتمعت مع الشريف احمد بدوى الذى اخذنى من مصر وذهب
بى الى دار فور فاخبرته القصة فقال صَدَق واسمعنى اعجب من
ذلك وقال لى يا ولدى اعلم انى كنت فى اول امرى اسمع ان
الدَمَازيقْ تباع وتشترى ومن اراد منها دَمْزُوقًا يذهب الى
من يعلم ان عنده دَمازيق فيشترى منه واحدا بما يرضيه ثم
ياتى بقرعة فيها لبن ويدفعها الى رب المنزل فياخذها ويدخل

الى

الى المحل الذى هن فيه فيسلم عليهن ويعلق القرعة التى فيها
اللبن فى علاقة فى البيت ثم يقول لهن ان صاحبى فلانا عنده
مال كثير وخائف عليه من السرقة واراد منى حارسا فهل احدى
منكن تذهب الى داره لان عنده لبنا كثيرا وخيرا غزيرا وقد اتى
بهذه القرعة مملوءة لبنا فيتمنعن اولا ويقلن لا احد يذهب
معه فيتحنن لهن ويتملق حتى يرضين فيقول من اراد الذهاب
منكن فلينزل فى القرعة ويبعد عنهن قليلا وحين يسمع بصوت
وقوعه فى اللبن يغطى القرعة بطبق من سعف ويأخذها من علاقتها
مغطاة ويدفعها لصاحبه المشترى فياخذها ويذهب بها
الى داره ويعلقها فى بيته ويوكل بالقرعة جارية او امراة تاتى كل يوم
على الصباح وتاخذ القرعة وتريق ما فيها من اللبن ويغسلها جيدا
ثم تضع فيها لبنا اخر محلوبا فى ساعته وتعلقها وحينئذ يامن الانسان
على ماله من السرقة والضياع وكنت اكذب ذلك حتى كثر مالى
وصارت العبيد والخدم يسرقونه فاحتلت على منع السرقة
بكل حيلة فلم يمكننى ذلك وشكوت لبعض اصحابى فامرنى ان
اشترى دمزوقة وانى اكفى شر السرقة فحدانى حب المال ان
توجهت الى رجل سمعت ان عنده دمازيق وقلت له اعطنى

دمزوقة تحرس لي مالي واعطيته ما طلبه فقال لي اذهب واملا
قرعة من لبن حليب وهاتها ففعلتُ واتيته بالقرعة مملوءة لبنا
فاخذها وذهب وبعد ساعة جائني والقرعة مغطاة وقال لي
علقها حيث مالك مخزون وعرفني ما ينبغي ان يفعل كل يوم من
غسيل الانية وتجديد اللبن ففعلتُ ذلك ووكلتُ جارية بذلك
وامنت على مالي حتى اني كنت اترك بيت مالي مفتوحا ولا يقدر احد
على الوصول اليه وفيه من العين والامتعة شي كثير وكل من رام اخذ
شي بغير اذني تُكسر رقبته فقتل لي عدة عبيد وعشتُ امنا على
مالي مدة حتى كبر لي ولد كان اسمه محمد فلما شب واحتلم تعلقت
اماله بالبنات واراد يهاديهن ببعض خرز وحلى فترقب غفلتي يوما
واخذ المفاتيح وفتح خزينة الامتعة واراد ان يدخل فكسر الدمزوقة
رقبته ومات في الحال وكنت احبه حبا شديدا فلما أُخبرتُ بموته
جزعت عليه جزعا عظيما وسالت عن سبب ذلك وأُخبرتُ انه
اراد ان ياخذ شيا من الامتعة فقتله الدمزوقة فحلفت يمينا
ان الدمزوقة لا تجلس في بيتي واردتُ اخراجه فاعجزني وشكوت
لبعض احبابي فاشار علىّ ان اصنع وليمة واجمع فيها اناسا كثيرين
يكون مع كل واحد منهم بندقية وبارود وياتون كلهم دفعة واحدة

يطلقون

يطلقون البنادق ويصيحون بصوت واحد بكلام الفور دمزوقه
أيئيه ومعناه اين الشيطان ويكررون الطلق ويرفعون اصواتهم
بذلك حتى يدخلون الى المحل الذى فيه المال فربما خاف وهرب منه
ففعلت ذلك ففر ولله الحمد وخلصت من معاشرة الدمازيق
اى الشياطين ولقد اخبرنى عدة رجال ان النقاقير التى فى بيت
السلطان فيها واحدة تسمى منصورة تتملكها الشياطين
وانها ربما ضربت بغير ضارب فاذا وقع ذلك يحدث فى دارفور امر
عظيم اما حرب عدو لهم او حرب بينهم وسياتى لهذا مزيد توضيح
حين نتكلم على عوائد الملوك واما عوايد القبايل الاخر كالبرقى
والداجو والبيقو والزغاوه والبرقو والميمة وغيرهم فان بعضها
يقرب من عوايد اهل الجبل وبعضها يخالفها اما المخالفة فبعض
هذه القبايل فيه كرم ونجدة ورقة طبع وذلك لمخالطتهم
للعرب اهل البادية وللتجار الذين يذهبون من ارض مصر
وغيرها فتراهم اذا راوا ضيفا فاقسموا عليهم واحسنوا
ضيافتهم وان راوا غريبا اكرموه وذلك بخلاف الفور الاعجام
كاهل جبل مرة وتموركه فانهم لا يكرمون الضيف ولا يالفونه
ولا ينزل الضيف عندهم الا قهرا عنهم انتهى

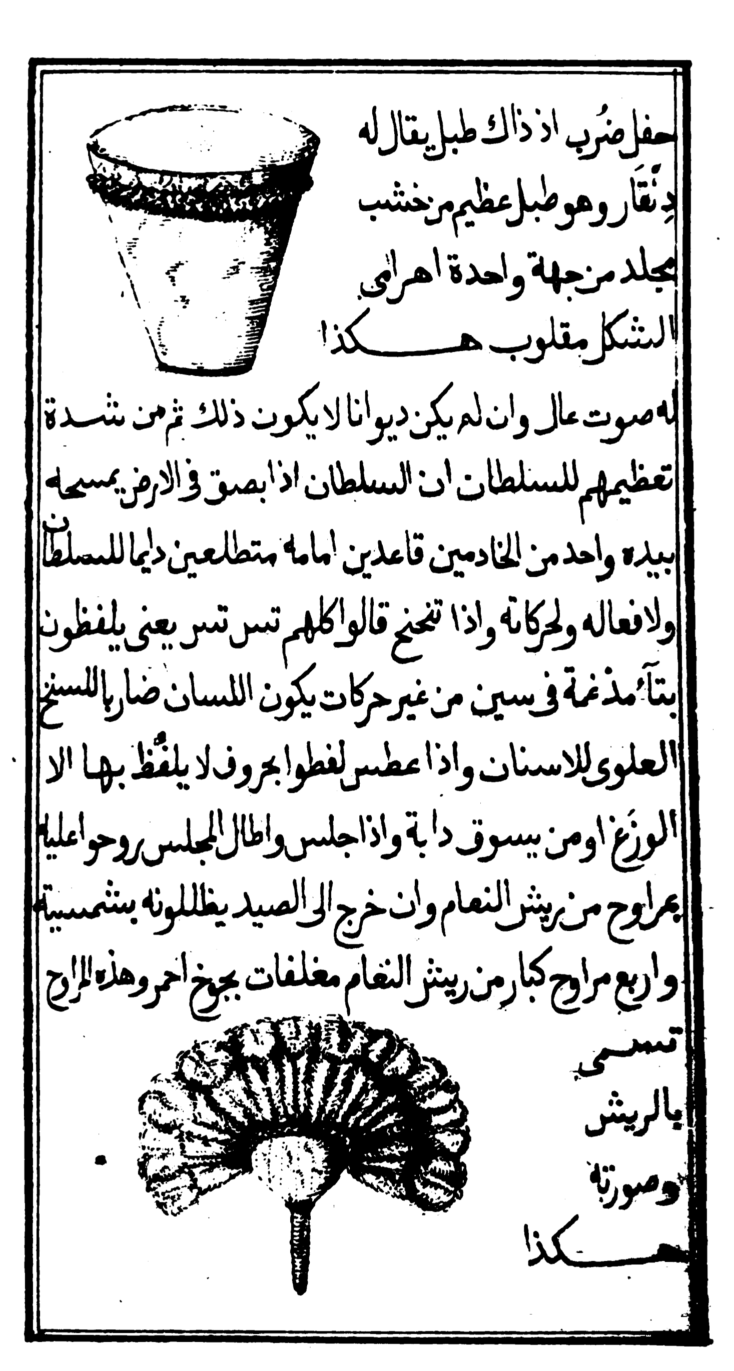
الفصل الثانی فی عواید ملوك الفور اعلم ان الله سبحانه وتعالی خلق الخلایق بقدرته ومیزهم بحکمته وجعل اختلاف عوایدهم واحوالهم عبرة لاولی الابصار وتذكرة لذوی الاستبصار لیعلم العاقل اذا تامل فی احوال الممالك واختلاف عوایدها وطبایعها المتنوعة وفوایدها ان القادر الخالق الاكبر جلت قدرته وعظمت ارادته انما نوّع احوال هذا العالم وخص كل قوم بمزیة لا توجد فی غیرهم لیعلم عظم قهره وحكمته كما انه اذا نظر فی اختلاف السنتهم والوانهم وزیهم ومعاشهم علم انها ایة كبری كما قال تعالی ومن اياته منامكم بالليل والنهار واختلاف السنتكم والوانكم ثم ان الله جعل لكل اقليم طبيعة فمن الاقاليم الحار ومنها البارد ومنها المتوسط بين الحرارة والبرودة وذلك بحسب قرب الاقليم من خط الاستوآء وبعده عنه فسبحانه الفعال لما يريد ولو شاء لجعلهم امة واحدة ولكن بالاختلاف تظهر المزايا وتشتاق النفس الى معرفة ما لم تعرفه ولولا ذلك لما ساحت السواح وما بذلت فی الاسفار الاموال والارواح واذا تقرر ذلك فنقول عادة ملوك الفور مخالفة لعوايد غيرهم من الملوك ولملكهم السلطنة التامة عليهم فاذا قتل منهم الوف لا يسئل لما ذا وان عزل ذا منصب لا

يسئل

يسئل لماذا فهو تام التصرف فى كل امر يريده واذا امر بامر لا يرجع
فيه ولوكان منكرا الامن قبيل الشفاعة ولا ترد له كلمة لكنه
اذا فعل ما لا يليق من الظلم والعسف تحصل له بغضا فى قلوبهم
ولا يقدرون له على شئ فاول عوايدهم ان الملك لايكون الامن
بيت الملك اى من سلالتهم ولا يمكن تولية اجنبى منهم ولو شريفا
وتحقق نسبه عندهم وثانيها ان الملك اذا تولى يجلس فى بيته
سبعة ايام لا يامر ولا ينهى ولا تقوم بين يديه دعوة وكلهم على ذلك
الا السلطان عبد الرحمن فانه خرق عادتهم كما مر عند الكلام على
توليته وثالثها ان لهم عجائز تسمى الحَبُّوبَات وهن طايفة عظيمة
ولهن رئيسة تسمى
ملكة الحبوبات فعند
خروج السلطان يوم الثانى من
يجتمعن ويأتين اليه وكل واحدة
منهن بيديها اربع قطع من الحديد
تسمى القطعة منها كُرْبَاجا وصورتها اما هكذا او هكذا او هكذا
وفى كل يد كُرْبَاجان يضربنها على بعضها فيحصل منها صوت وبيد
احداهن قبضة من سعف ابيض ومعها ماء اختلوا اهل دارفور

في ما تركب منه فتبل العجوز السعو من ذلك الماء وترش به على
السلطان مع قول كلام لا يعقله الا هن ويأخذن السلطان
في وسطهن ويطفن به البيت ويتوجهن الى دار النحاس وهو
المحل الذي فيه النقاقير وهو طبول السلطان فيدخلن البيت
ويأتين الى النقارية المسماة بالمنصورة فيقفن حلقة ويجعلنها
في الوسط والسلطان وحده معهن ويضربن الكرابيج على
بعضها ويقلن من كلامهن ثم يرجعن بالسلطان الى كرسي
مملكته وبعد جلوسه ذلك تدخل اليه الدعاوى ويتناول
الاحكام ومن عاداتهم ان السلطان لا يسلم على غيره الا بترجمان
صغيرا كان او كبيرا عظيما او حقيرا وكيفية ذلك ان اذا دخل عليه
اناس يجثون على ركبهم ثم يتقدم الترجمان ويسميهم واحدا بعد
واحد الى اخرهم وهو انه يقول إِنو تُوْرَا فُلَانْ دُوكَنْهْ كَبْنِجِي دَارِي
ومعناه ان هنا برًّا فلان سلام يعطي طاعةً فاذا تم اسماء
الجالسين قال كِيكِينْ دُقُلَهْ كُرِكَنْهْ ومعناه معهم اولاد وراهم
حتى اتباعهم وخدمهم فتقول العبيد الواقفون خلف السلطان
المسمون كُورْكُوا وقد تقدم ذكرهم دُونكْرَاىْ دُوكَنَهْ دُونكْرَاىْ
دُوكَنْهْ ومعناه سلام سلام سلام سلام فان كان في ديوان

حفل



حفل ضرب اذ ذاك طبل يقال له
دِنقَار وهو طبل عظيم من خشب
مجلد من جهة واحدة اهرامى
الشكل مقلوب هكذا
له صوت عال وان لم يكن ديوانا لا يكون ذلك ثم من شدة
تعظيمهم للسلطان ان السلطان اذا بصق في الارض يمسحه
بيده واحد من الخادمين قاعدين امامه متطلعين دايما للسلطان
ولافعاله ولحركاته واذا تنحنح قالوا كلهم تس تس يعني يلفظون
بتآء مذغمة في سين من غير حركات يكون اللسان ضاربا للسنخ
العلوي للاسنان واذا عطس لفظوا بحروف لا يلفظ بها الا
الوزغ او من يسوق دابة واذا جلس واطال المجلس روحوا عليه
بمراوح من ريش النعام وان خرج الى الصيد يظللونه بشمسية
واربع مراوح كبار من ريش النعام مغلفات بجوخ احمر وهذه المراوح
تسمى
بالريش
وصورته
هكذا

فيقفون بالشمسية على راس السلطان ويجعلون المراوح
اثنين عن اليمين واثنين عن اليسار فيصير على السلطان ظل
واسع وللشمسية المذكورة والريش ملك مخصوص واعوان
بيندا ولونها نوبة فنوبة ماشيين على اقدامهم ومن عادة السلطان
اذا ركب ان ترفع امامه السجادة ولها ملك مخصوص واعوان
بيندا ولونها ايضا ومن تعظيم السلطان انه اذا ركض جواده وعثر
بالجواد فرماه او وقع من شدة الركض انهم يرمون انفسهم جميعا
من على ظهور الخيل ولا يمكن ان يتثبت احد منهم على ظهر
فرسه بعد وقوع السلطان بل ان راى الخدمة احدا
ثابتا على ظهر جواده ولم يرم نفسه يرمونه الى الارض ويضربونه
ضربا مولما وان كان عظيما لما يرون ان ثباته احتقارا بامر
السلطان واذا جلس السلطان للحكم فى ديوانه لا يكلم
الناس مباشرة بل بواسطة ترجمان ان لم يكن ديوانا عاما
فان كان ديوانا عاما كانت سبعة المترجمون اولهم
عند السلطان واخرهم عند الناس اصحاب الدعوى
والمترجمون فى الوسط والعساكر حوله والكورگوا خلفه
والعلماء والاشراف جالسون وهيئة ديوانـــــه

هكذا

هكذا

والناس جاثون على ركبهم امامه واضعين ايديهم على التراب والموجنيه واقفون دايما وسنذكر تعريفهم فاذا سلم السلطان عليهم مسحوا التراب بايديهم واذا تكلم احد في مجلسه لا يبدا الكلام الا بقوله سلم على سيدنا ان كان عربيا وان كان فوراويا قال أباكوري دُوكَّا جني ومعناه ذلك واذا كان السلطان هو المتكلم يقول سلم عليه اذا يتكلم بالعربي فالترجان يقول دُوكَّاي دَايك سيدي واذا كان بالفوراوية يقول دُوكَّا جني ان كان عجميا او

كان عربيا يقول سلم عليه ولا خصوصية لمجلس السلطان
في ذلك بل كل مجلس تعمل فيه دعوى يقال ذلك حتى في مجلس القاضي
ومشايخ البلاد ولا يمكن ان تعمل دعوى بغير دُوكَّاجِنِي ويلزم لذلك
ان الكلام يطول وان كان قصيرا لتكرير هذه الكلمة بعد كل كلمة
او كلمتين واذا افتتح احد دعوى بغير ذلك يعيبون عليه ويرون
انه غير متمدن بل اذا كان في مجلس حاكم يؤدَّب بالزجر ما لم يكن
غريبا فيُعذر ومن عادة ملوك الفور تجليد النحاس وهي عادة لا
توجد في غير دارفور وتجليد النحاس هو تغير جلود الطبول المسماة
في اقليم مصر بالنقاقير وهذا التجليد يعظمونه ويجعلون له
موسما في السنة ومدته سبعة ايام وكيفية ذلك ان
السلطان يامر بنزع جلود الطبول كلها في يوم واحد فتُنزع ثم
يوتى باثوار خضر اللون فيذبحونها وياخذون من جلودها
ويجلدون بها تلك الطبول لكن اهل دارفور يقولون في ذلك
كلاما لا يقبله عقل العاقل ممارس للكتب ولكنهم مطبقون
على ذلك فانهم يزعمون ان هذه الاثوار من نوع بقر معروف
عندهم وانها حين الذبح تنام وحدها بدون من يمسكها
ولا يذكرون اسم الله عند ذبحها ويقولون ان الجن هو الذي

يمسكها

يمسكها ويبنيها ثم ياخذون لحومها ويجعل في خوابي ويترك ستة
ايام مع الملح وفي اليوم السابع ياتون ببقر كثيرة واغنام وتذبح كلها
ويطبخون لحومها وفي حال الطبخ ياخذون اللحم الذي في الخوابي
ويقطّعونه قطعا صغيرة ويجعلون في كل قدر منه قطعا تخلط
باللحم الجديد ثم تفرق الموائد للملوك واولاد الملوك والوزراء على
حسب طبقاتهم ويقف على كل مائدة منها حارس من طرف
السلطان ينظر من ياكل ومن لم ياكل فاذا اخبر السلطان بان
فلانا لم ياكل امر بالقبض عليه في الحال لانهم يقولون ان من كان
في قلبه خيانة للسلطان او غدر لا يمكن ان ياكل من هذا اللحم
وان تعلل احد بانه مريض او لا يقدر على حضور ارسلت اليه
اواني منه مع حارس امين ينظر هل ياكل او لا فان ابى يقبض عليه
الا اذا كان معذورا بقوة مرضه وبعض اهل دارفور يقولون
انه يوتى بغلام وصبية لم يبلغا الحنث ويذبحان سرّا ويقطع
لحمهما ويجعل في القدور مع لحم الحيوانات المذبوحة وبعض الناس
يقول لا بد وان يكون اسم الغلام محمدا واسم الصبية فاطمة
وان صح هذا فهو غاية الكفر بالله ورسوله ولكني لم اشاهد
ذلك ولم اقف عليه لاني غريب والاغراب لا اطلاع لهم على مثل

هذا الامر ابدا الكني سمعته من الناس كثيرين يحلفون لي بايمان
مغلظة ان هذا الكلام صحيح لا ريب فيه وقبل اخراج الطعام تحضر
العساكر كلها ويقفون في بطحاء واسعة امام دار السلطان ثم
يخرج السلطان عليهم في زينته وأُبَّهته فتعرض عليه الجيوش كل
ملك باتباعه واحد بعد واحد وكيفية العرض ان الملك ياخذ
اتباعه ويركض حتى يصل الى محل السلطان فان كان من العظماء
برز السلطان من جماعته الى ملاقاته مقدار خطوتين او ثلاثة وان
كان غير عظيم ثبت السلطان في موضعه فيرجع الملك وجماعته
ويفعل ذلك ثلاث مرات وفي الثالثة يعرضون على السلطان
ثم يرجعون الى محل وقوفهم فيخرج ملك اخر بجيشه ويفعل كذلك
وهلمّ جَرًّا فاذا تم العرض خرج السلطان راكضا وتتبع الملوك
وذهب اولا الى اعظمهم ثم الى مثله والى اقل منه فهكذا حتى يمر
عليهم اجمعين جبرا لخاطرهم وكلما اتى قوما صاحوا في وجهه بكلام
يعظمونه به وهو انهم يقولون له بصوت عال برنُس حرالسلاطين
جنزير الملوك اداب العاصي فرتاك الجبال بلا ديوان وغير ذلك
فاذا تم العرض دخل السلطان داره ودخل وراءه جميع ارباب
المناصب من الوزراء والملوك واولاد السلاطين فيدخل السلطان

الدار

الى دار النحاس ويأخذ قضيبا ويضرب به النقارية المسماة منصورة ثلاث ضربات والعجايز الى المحبوبات محدقات به بايديهن الكرابيج يضربنها على بعضها كما تقدم ثم يمشين زوجا زوجا هكذا والسلطان بين الزوج الاخير حتى يدخلن بالسلطان الى محل جلوسه وانا شاهدت ذلك ثم تفرق الاطعمة كما ذكرنا واذا كان بعض القواد او الوزراء غائبا عن الفاشر في وقت تجليد النحاس ثم جاء بعد ذلك واتهم بغدر او خيانة يسقى من ماء كيلي وهو ماء ينقع فيه ثمر شجرة مسماة بكيلي وثمره كالجوز تقول اهل دارفور ان المتهوم بشيء اذا شرب منه ان كان بريئا يتقاياه في الحال وان لم يكن بريئا يشرب منه حتى يمتلأ بطنه ولا يتقايا حتى انه ربما شرب ملء خابية انا شاهدت لكن في تهمة سرقة ولعل هذا من خواص النباتات لان النبات في دارفور له خواص عجيبة سنذكرها بعد ان شا الله تعالى ومن عادة الفوران السلطان له مزرعة معلومة

يزرعها لنفسه فى كل سنة وفى يوم بذر الحب فيها بعد الامطار

يخرج فى مهرجان عظيم ويخرج معه من البنات الجميلات المتجملات

بالحلى والحلل ما ينوف عن مائة صبية من محاظية الخاصة حاملات

على رووسهن انية فيها المآكل الفاخرة وهذه الاوانى تسمى

بالعُمار مفردها عُمرة فيمشين ورآء جواد السلطان صحبة العبيد

الصغار الحاملين للحراب المسميين كوركوا واصحاب الصفافير وهذه

يغنون بغنآء حال تصفيرهم وكوركوا الحاملون للحراب يغنون معهم

فحين تخرج البنات مع السلطان تغنين معهم ايضا فيبقى لجمعهم صوت

جميل جدا وحين ما يصل السلطان الى المزرعة ينزل عن جواده وياخذ

البذر وياتى احد عبيده يحفر الارض بمسحاة معه ويرمى السلطان

البذر وهو اول بذر يقع فى الارض فى الجهة التى فيها السلطان

فعند ذلك تتبعه الملوك والوزرآء والقواد فيبذرون الحب

ويزرعون المزرعة فى اسرع وقت وبعد تمام زرع المزرعة يحضر

الطعام المحمول على رووس البنات المذكورة فيوضع امام السلطان

فياكل منه هو ووزراوه ثم يركب فى مهرجانه حتى يصل الى دار ملكه

وهذا اليوم من الايام المشهورة فى دار فور

الفصل الثالث فى مناصب ملوك فى الفور

ومناصبهم

وملابسهم وكيفية مجلس السلطان
وغير ذلك اعلم ان واجب الوجود تقدست ذاته
عن المعين لمّا كان منفردا بالقدرة المطلقة والارادة التامة المتصرفة
احوج الملوك الى الوزرآء والمدبرين والمُعِينين ليعلم عجزهم عن
الاستقلال في تدبير ممالكهم ومصالحهم ولولا ذلك الاحتياج
لطغوا وبغوا اكثر مما هم فيه من الطغيان بل ربما ادّعوا الالوهية
التي لا تليق الا بذاته العلية لكن خص كل اقليم بترتيب وتنظيم
فلهذا تجد اسماء مناصب الوزرآء الخلفا كانت مغايرة لاسمآء
مناصب وزرآء الملوك الآن واسمآء مناصب وزرآء ملوك هذا
الزمن متخالفة ايضا ففي مملكة آل عثمان اسمآء المناصب
الوزير الاعظم والكتخدا والخازندار والسلاح دار والمهردار والديبوت
دار وخوجه دار وسر بوابين وقابجي باشي وغير ذلك من تتونجي
باشي وشربتجي باشي وقهوجي باشي وقفطان اغاسي وبشكير اغاسي
وباشات وامرآء الالوية وامرآء الالايات واما اهل دار فور فانهم
لتعظيمهم للسلطان لم ينتبهوا الا الى جسم السلطان فسموا
المناصب باسمآء اعضائه فاول مناصبهم أُورُونْدُولُوك وهو
منصب عظيم القدر صاحبه يكنّى براس السلطان ولهذا

المنصب اقطاع عظيمة وبلاد وصاحبه لا يسلم عليه الا بذوكارا
دوكا وترفع السجادة امامه كالسلطان وصاحب هذا المنصب
اذا كان السلطان مسافرا او قانصا وظيفته ان يمشي بعساكره
امام الجيش كله لا يسبقه احد وثانيها منصب الكامنه وهو
في العظم والجلالة اعلا من أُرُونْدُولُوكْ ويكنّى عنه برقبة السلطان
لكن من عادة الفور ان السلطان اذا قتل في الحرب وسلم
الكامنه حتى رجع الى محل الامن يقتلونه لكن يخنقونه سرا ولو
غيره للسلطان المتولي واذا مات السلطان على فراشه لا يقتل
الكامنه وهذا الكامنه يسمى بلغة اعجام الفور ابا فوري ومعناه
ابو الفور ولصاحب هذا المنصب اقطاع جليلة وعساكر
كثيرة ويفعل مثلما يفعل السلطان ووظيفته ان يمشي خلف
جيش أُرُونْدُولُوكْ وثالثها أَبَا أُومَاكْ وهو قرين الكامنه في كل
شيء وهو كناية عن فقرات ظهر السلطان ووظيفته ان يمشي
خلف الجيوش بجيش لا يعقبه احد وان اعقب الجيش عدو فيه
كفاية لدفعه والذب عن الجيش حتى يُدرك ويُمَدّ بالجيوش
ورابعها أَبَادِيمَا وهو اعظم من تقدم جلالةً وأُبَّهةً وعساكرا
ويحكم على اثني عشر ملكا من ملوك الفور وله اقليم واسع يسمى

تُورَكَهْ

تمورکه وله جميع ما للسلطان من الشارات والأُبّهة ماعدا
النحاس فان طبله دِنْقار وهو كناية عن ساعد السلطان
اليمين ووظيفته ان يمشي هو وعساكره عن يمين السلطان
وخامسها منصب التَّكَنْيَاوِي وهو قريب ابا ديما في كل شي
وهو كناية عن الساعد الايسر للسلطان ويحكم على اثنى عشر
ملكا ايضا من ملوك الجهة الشمالية وله اقليم واسع وسادسها
منصب الاب الشيخ وهو اعلا من جميع ما ذكر ولا فرق بينه
وبين السلطان واوامره تنفذ على جميع من ذكر وغيرهم وله
اقطاعات جليلة واقليم واسع وصاحب هذا المنصب مطلق
السيف يقتل بغير اذن وجميع اهل المملكة تحت يده وهو كناية
عن عجيزة السلطان وقد تقدم بعض ذلك في حديث الاب الشيخ
محمد كُرّا وسابعها مناصب الأُمَنا وهي اربعة كل واحدٍ منهم
يدعى امينا واصحاب هذه المناصب لها اقطاع وعساكر وليس
لها من شارات الملك شي وهولآء الاربعة ملازمون لمجلس
السلطان وثامنها مناصب الكُورَايَاتْ وهي مناصب جليلة
القدر الا انها اقل من مناصب الأُمَنا رتبة ومناصب الكُورَايَاتْ
اربعة ايضا وتاسعها منصب سُومِيْنْدُقُلَّهْ وصاحبه

عظيم القدر ذو ابهة عظيمة واقطاع واموال وافرة ويليه منصب
كُوزْكُوا واعلا من هذين منصب وَرَّيْبَايَهْ وهو منصب جليل
عظيم من عادة ملوك الفوران صاحب هذا المنصب لا يكون
الا خصيا لانه ينال منصب الابوّة بعد موت الشيخ وتقدم
لنا ان منصب الاب لا يتولاه الا خصي وصاحب هذا المنصب
يحكم على جميع الخصيان الموكلين بحريم السلطان وهو ايضا صاحب
غضب السلطان وتحت يده الحبس فكلما غضب السلطان
على انسان اعطاه له فيسجنه في سجنه وتحت يده عساكر
كثيرة ومعنى وَرَّيْبَايَهْ بالفوراوية باب الحريم وصاحب هذا
المنصب تحت امر الاب الشيخ ويليه منصب ملك وَرَّادَيْنَهْ
ومعناه ملك باب الرجال ولكل بيت من بيوت الملوك والوزراء
بابان احدهما للرجال والثاني للنساء فباب الرجال يسمى وَرَّادَيْنَهْ
وباب النساء يسمى وَرَّيْبَايَهْ ويليهما منصب ملك العَبِيدِيَّة
وهو منصب جليل القدر صاحبه يحكم على جميع عبيد السلطان
الخارجين عن داره الذين في البلاد بنسائهم واولادهم وكذلك
تحت يده مواشي السلطان وآلات السفر من خيم وقِرَب
وغير ذلك ويليه منصب ملك القَوَّارِين اى الكاسين وهو

منصب

منصب جليل صاحبه يحكم على جميع المكاسين وجميع الجلابة
وله اقطاع وعساكر عظيمة واعلا منه منصب ملك الجبابين
وصاحبه في ابهة عظيمة ومُلك كبير وهو ملك الجبايين اى الذين
يجبون الغلال من البلاد ومعنى الجباية انهم ياخذون عشر ما
يخرج من الحبوب ويجعلونها في مطامير لاحتياج السلطان
وبعد ذلك ملوك كثيرة فحكام الاقاليم عندهم يسمون الشَرَاتِي
واحده شَرْتَاى وحكام القبايل يسمون دَمَالِج واحده دُمْلج
ولكل من الشَرَاتِي عساكر كثيرة ولكل من الدَمَالِج اعوان وهولاء
خلاف السلاطين الصغار الذين ذكرناهم سابقا ثم اعلم ان
جميع من ذكر من ارباب المناصب لا يعطيهم السلطان
راتبا ولا مرتّب لهم عنده بل كل ذى منصب له اقطاع ياخذ
منها اموالا وما ياخذه من الاموال يشترى به خيلا وسلاحا
ودروعا ولبوسا ويفرقها في العساكر وكيفية ما ياخذه هو
ان زكاة الحبوب كلها للسلطان كزكاة الماشية فلا ينالون
منها شيا وانما لكل ملك منهم افدنة كثيرة يزرعها دُخْنًا وذُرة
وسمسما وفولا وقطنا تزرعها الرعايا وتحصدها وتدرسها
له قهرا عليهم وله الهامل وهو الضال من رقيق وبقر وغنم

وحير يبيعونها له ويأخذ ثمنها وله التقادم وهي الهدايا التي
يقدّمونها له حين التولية والقدوم على البلاد وله الخطية وهي
في عرفهم اموال يدفعها الجاني للحاكم ويسمى عندهم بالحكم اذا
شج انسان اخر يوخذ من الشاجّ مال ويدفع للحاكم واذا أحبل
رجل امراةً في الحرام يوخذ من كل منهما مال على قدر حاليهما ايضا
وله الدم وهو في عرفهم اذا قُتِل قتيل ووُدِي يشارك الحاكم
اقارب القتيل في الدية سواء كانت دية العمد او دية الخطاء
وذلك خلاف المظالم التي يأخذونها بغير حق وخلاف الاعمال
الشاقة التي يكلفونهم بها لانهم يبنون لهم بيوتهم ويسخّرونهم
في جميع اعمالهم ومن مناصب الفور ملك المُوَجَبِه وانما
اخرناه لطول الكلام عليه وغرابته وغرابة المنصب وغرابة
افعال اهله وهو عندهم ادنى المناصب واقلها رتبة لكن
الكلام عليه يحتاج الى تمهيد وهو ان صاحب الحكمة الأزلية
والسلطنة الابدية واهب العقل ومانح الفضل وهب لكل
انسان عقلا يميز به الخير ليتبعه من المكروه ليحذره واودع
في كل انسان حب راي نفسه وعقله بحيث يرى ان عقله اتم
من عقل غيره ورايه احسن من راي غيره الا من بصّره الله بعيوبه

وعلمه

وعلمه عجز نفسه عن تدبير جلب مصالحها ودفع مضارها
واذا تقرر ذلك فنقول من طبيعة بلاد الفور الميل الى اللهو والالات
واللعب والطرب يستفزهم ادنى مطرب فتراهم لا تخلو اوقاتهم
عن مطرب ملوكا كانوا او سوقة ولذلك استحضروا جميع ما
يمكنهم من الات الطرب فتجد كل ملك له غلمان صغار حسان
الاصوات وهم المسمون كوركوا ومعهم صفافير يصفرون بها
صفيرا هو في نفس الامر غناء مع حسن اصوات الصفافير
وحسن اصوات الغلمان فيسمع من جميع ذلك صوت
حسن وكيفية ذلك ان الملك ان كان عنده من الغلمان
عشرة مثلا يكون منهم ارباب الصفافير اثنين او ثلاثة والرابع
بيده قرعة جافة خاوية الباطن
مستطيلة احد طرفيها غليظ
والطرف الثاني رقيق يقبض عليه
باليد صورتها هـــكذا

فيجعلون فيها بعض حصباء
ويقبضها الغلام بشرط ان
يكون فمها منسدا بالقار ويهزها فيسمع للحصى فيها

صوت يوفق على اصوات الصفافير والستة الباقون يغنون
وربما اخرج السلطان بعض جواريه مزينات حاملات لاوانى
من الاطعمة للسلطان ماشيات خلفه صحبة الغلمان
فيغنين مع الغلمان والصفافير
وربما زادوا معهما طبلا من خشب
مستطيل كالطبلة المسماة فى
عرف مصر بالدرابكة ويسمى عندهم
تكجل وصورته هكذا
وله علاقة كما فى الصورة فيدخل
الضارب يده من العلاقة ويضع
العلاقة على كتفه ويصير الطبل تحت ابطه ويضرب عليه بكلتا
يديه نقرات محكمة على صوت الصفافير وما يغنونه يكون
بلسان الفور ولهم معلمون يعلمونهم التصفير والغناء والضرب
على الطبل المذكور والمشاة الذين يمشون امامه وبين يديه يغنون
غناء وحدهم وكيفية ذلك انهم يكونوا كراديس كراديس يغنى
من كل كردوس واحد والباقى يرد عليه بصوت عال ولذلك اذا
ركب السلطان تضرب الطبول وتغنى جميع الناس مشاة وركبانا

فيسمع

فيسمع لذلك ضجة عظيمة مع اصوات الصفافير وغناء الغلمان
يخشى الانسان على سمعه منه لقوته وهذه الصفافير تسمى
طير الصعيد وذلك ان ببلاد صعيد هم طيور لها اصوات حسان
فاخترعوا هذه الصفافير على شكل اصواتها وينضم لتلك الاصوات
اصوات الموجبة وهذا اللفظ في لغة الفور يطلق على الواحد والجمع
وهم طايفة عظيمة لها ملك مخصوص وهو في عرف الفور كالخلبوص
او المسخرة في عرف اهل مصر او كالسُوتَري في عرف الترك لكن
الموجيه يخالفوا ما ذكر لانه يتولى قتل من يامر السلطان بقتله
وصفة الموجيه ان يلبس على راسه عصابة فيها صفيحة من
حديد مستديرة الشكل مع التجويف وفي العصابة المذكورة
قطعة من حديد ايضا كالمسمار معلقة بخيط محررة على التجويف
الذي في الصفيحة بحيث اذا هز راسه تضرب التجويف المذكور
ويسمع لها رنة عليه واعلا
منها في العصابة ريشة او
ريشتان من ريش النعام
وصورتها هكذا
وعلى الطرطور ودع وخرز معلق

ايضا وفي رجله اليمنى خلخالان من الحديد وفي اليسرى خلخال
واحد وتحت ابطه جراب صغير مستطيل
اذا حل عصابته وطرطوره يضعهما فيه
وبيده عصى معوج اعلاها هكذا
معلق فيه جلاجل فيقف بين يدي السلطان
من الموجبيه اثنان او ثلاثة ان كان
السلطان في ديوانه وان كان في
سفر او قنص مشى امامه اربعة او خمسة وكل منهم يغني ويرقص
ويقول كلاما مضحكا يضحك منه سامعه ويحاكي نباح الكلب
وصوت الهر وغناؤه بكلام الفور لا بالعربي وليس في رقصه
تكسّر بل يهز راسه يمنةً ويسرة ويضرب احدى ساقيه
بالاخرى فترن الحديدة التي في العصابة على راسه وترن الخلخال
التي في ساقيه واذا كان السلطان مسافرا او قانصا لا يغنون
بل يصيحون جميعا صيحة واحدة بقوة اصواتهم يقولون يا يا
وهكذا ما دام السلطان راكبا ولا خصوصية في ذلك
للسلطان بل كل ملك من ملوك الفور الكبار له موجبيه يقف
امامه في ديوانه ويمشي قدامه في سفره والموجبيه لا يخشون

باس

باس السلطان ولا غضبه ولهم جراءة عظيمة على السلطان
فمن دونه لا يكتمون السلطان امرا بحيث انهم اذا سمعوا امرا
فظيعا يقولونه في محفله وينسبون الكلام لقائله حقيرا
كان او جليلا لا يخافون لومة لائم واذا اراد السلطان اشاعة
امر او اعلان حكم امر الموجيه ان ينادي به فينادي به الموجيه
بعد المغرب وقبل العشاء نداء يسمعه الخاص والعام ومما اتفق
ان السلطان عبد الرحمن كان يحب العلماء ويكثر الجلوس معهم
في ليله ونهاره وقلما يجلس مجلسا الا ومعه عالم او اثنان
فاغتاظ الوزراء منه وقالوا كيف يتركنا ويجلس مع هولاء
لكن ان مات هذا السلطان لا نولي علينا بعده رجلا يقرأ ابدا
فسمع ذلك احد الموجيه فامهلهم حتى جلس السلطان في
ديوانه وحضر اوليك الوزراء فجاء الموجيه وقال بلسان الفور
كلاما معناه نحن ما بقينا نولي علينا من يعرف القراءة والكتابة
فالتفت اليه السلطان وقال لم ذلك قال لانك تترك الوزراء
وتجلس مع العلماء فاغتاظ السلطان لذلك ونظر اليه نظرة
الغضب فخاف الموجيه ان يسطو عليه فقال ما ذنبي انا سمعت
هولاء واشار الى الوزراء يقولون ذلك فقلته فالتفت السلطان

اليهم ووبخهم على ذلك واراد القبض عليهم فما خلصوا منه الا
بجهد ومشقة قلت والجاهلون لاهل العلم اعدآء ومن
ذلك ما حكاه لي بعض الثقاة بدار فور ان السلطان تيراب السالف
الذكر صنع وليمة لامرنسيته وحين حضر الطعام تتبعه لينظر
اي الطعام احسن فجاء الى طعام صنعته اياكري كنانة وكنتوعنه
فاعجبه فامر به للعلماء فابت عليه وقالت اانا عندك بهذه
المنزلة تعطي طعامي للمشايخ وطعام غيري للوزرآء والملوك فقال
انما امرتُ به للمشايخ لحسنه ولتحصل لك بركتهم فقالت دع
طعامي تاكله الوزرآء والملوك ولا حاجة لي ببركتهم فقال لا ياكله غير
العلماء فقالت لا وحياتك لا تاكله العلماء وغلبت عليه حتى
ارسله للملوك واختار من طعام غيرها للعلما وطايفة الموجيه
من افقر اهل دار فور لانهم ليس لهم حرفة الا السوال فانهم دايما
يقصدون الامرآء ويتكففون الناس وتخاف الامرآء منهم ويكرمونهم
لانهم لا يكتمون حديثا ان احسن اليهم احد اثنوا عليه واشاعوا
الذكر بكرمه وان احرمهم احد ذموه واشاعوا ذمه فهم في ذلك
كالشعرآء من اعطاهم مدحوه ومن منعهم هجوه ومن مناصب
الفور منصب اياكري وقد اسلفنا ذكره ومنصب الحبوبات وقد
ذكرناه

ذكرناه ايضا وان كان للسلطان المتولى ام فلها منصب وان كان
جدة فلها منصب ايضا لكن هذان المنصبان ليسا مقررين
بل يطرءان عند وجودهما ولقد رايت ام السلطان محمد فضل وهى
جارية وخشنا لو بيعت فى دارفور لما كانت تساوى عشرة من
الفرانسا ورايت جدته وهى عجوز وخشنا من اقبح ما يرى فى عجايز
السودان وكانت ناقصة العقل ومن نقص عقلها كانت تجلس
على كرسى وتحملها الرجال على عناقهم للسفر البعيد ومعها من
العساكر خلق كثير ووشى اليها بعض الناس بان اهل دارفور
يقولون ان هذه الخادم قد طغت وبغت فحين سمعت ذلك
جلست فى ديوانها واحضرت جميع اتباعها وقالت انا الحادم
الحادم جاب الفضة وجاب الفضة الذهب وقولها انا الحادم
بالحاء المهملة ومرادها الخادم بالمعجمة الا انها لا تقدر على النطق
بالخا المعجمة لعجمتها وهناك مناصب أُخر اعرضنا عن ذكرها
لحقارتها واما كيفية مجلس السلطان فاعلم ان بيت سلطان
الفور فى وسط بلده المسماة بالفاشر والناس حوله ولهذا جعل
لبيته بابان احدهما وهو الاعظم هو المسمى وَرِّيدَايَا معناه باب
الرجال والثانى هو المسمى وَرِّيبَايَا ومعناه باب النساء وفى كل منهما له

مجلس فمجلس وَرِيْدَيَا هو الديوان الاكبر وهو بعد ان يدخل
الداخل من الباب الاول وهذا المجلس واسع ولايجلس فيه
السلطان الا في الايام العظيمة او للاحوال المهمة وقد نذكر ان
بناء الفور كله بقصب الدخن
او المرهَبَيْب ومحل الديوان
يسمى لِقْدَابَه اورَاكُوبَهْ وصورتها
هي ان يوتى باخشاب ملسا
طويلة في اخر كل خشبة شعبتان
هـــــكذا
فيحفرون في الارض حفرا متساوية
العمق ويجعلون الاخشاب
متساوية الطول ويجعلون
الحفر سطورا متقابلة لايختل
سطر منها عن الاخر بحيث
انها تكون هـــــكذا
لكن تكون كلها على نمط واحد
وخط واحد فيدخلون في كل

حفرة

حفرة خشبية من الاخشاب ويجعلون شعاب كل صنو متجهة لجهة واحدة ويضعون عليها خشبة طويلة تسمى بَلْدَايَا اى يضعونها بين شعاب الصنو فاذا كمل على تلك الهيئة ياتون بفروع رفيعة تسمى مطارق فيجمعون منها كل اربعة او خمسة بسواء ويربطونها بلحاء الشجر حتى تصير حزمة ويوصلونها بغيرها وهكذا حتى تصير طول اللقداية

المذكورة ويجعلون من الفروع جملة على هذا النمط ويرتبونها كلها مربعا واحدا مستطيلا في وسطه مربعات فتكون صورتها هكذا

ويضعونها فوق البَلْدَايَات المذكورة ثم يضعون البوص عليها وهو مجعول حزما ويربطونها مع الفروع باللحاء فيتكون من ذلك سقف جميل بالنسبة لبنائهم ففي وَرْنْدَيَا يكون هذا المحل واسعا وعلى هذه الصفة عالى السقف بحيث يمر تحته الراكب على الهجين ولا يمس السقف راسه وكان قبل ذلك دانى السقف لا يمر تحته الا الفارس فاتفق ان حضر عند السلطان رجلان ممن اتقن

ركوب الابل وادعى كل واحد منهما انه افرس من صاحبه في ركوب
الابل وتشاجرا ثم اتفق رايهما على ان يركبا ويمرا ببعيريهما من تحت
اللقداية فتراهنا على ذلك وخرج السلطان والناس من اللقداية
وركبا وجآ راكضين فلما وصلا الى اللقداية احدهما نقز فصار على
ظهر اللقداية وترك بعيره وجرى مسرعا فصادف بعيره وهو
خارج من تحت السقف فركبه ومر سريعا لم يعقه شي والثاني
حين وصل الى اللقداية مال الى جانب بعيره ومسكه بيديه حتى
خرج من تحت اللقداية فكل منهما جاء بشيء غريب فاحسن اليهما
السلطان واعترف الناس لهما بصناعة الركوب وانهما كفرقدي
سماء وشذ بعض فادعى ان الذى ترك بعيره وجرى على ظهر
اللقداية اصنع وشذ اخرون فادعوا ان الذى مال في جنب
البعير اصنع وحكم له السلطان ومن ذلك الوقت زيد في
علو اللقداية ثم ان السلطان ان
جلس في هذا الديوان يجلس
في وسطه ولذلك بنوا له فيه
محلا عاليا لكن مركزه اعلا من
جانبيه هكذا

فالمحل

فالمحل العالي المتوسط هو محل جلوس السلطان والذي اقل منه
من جهة اليمين هو محل جلوس العلماء والذي عن يساره هو محل
جلوس الاشراف والفقهاء وعظماء الناس وامامه رحبة واسعة
فاذا اراد السلطان الجلوس لديوان عام او ملاقات بعض رسل
الملوك او يوم فرح وسرور زين محل جلوسه بالزردخانات والقصبات
ووضعوا في المحل المذكور كرسيا وعليه مرتبة من الحرير فجلس السلطان
في ابهته وجلس العلماء والفقهاء والاشراف حوله ووقف وزيراه
بين يديه وهما المسميان بالامينين ووقف رئيس تراجمته امامه
قريبا منه ووقف التراجمة الستة امام الترجمان الاول بين كل
ترجمانين مسافة قليلة بحيث كل ترجمان يسمع ممن يليه سمعا
جيدا ووقف الكوركوا بالصفافير خلفه وصاحب الدنقار معهم ووقف
عبيد السلطان واصحاب سجنه وغضبه وراء الناس وجلس الناس
الباقيون كل واحد في المحل اللايق به ووقف ملك الموجيه قريبا
من الترجمان الاول وقد انتظم المجلس وقد رسمنا كيفيته في باب
عوائد الفور فراجعه ان شئت وأما ان جلس السلطان
في وَرّيبايا فان مجلسه يكون مختصرا وهو اشبه بمجلس سرادق
اللقداية التي يجلس فيها صغيرة وحينئذ لا يقف امام السلطان الا

ترجمان واحد وموجيه واحد او اثنان وان كثروا فثلاثة والسلطان
قد يكون جالسا واكثر ما يكون جالسا بالليل وقد يكون راكبا
واكثر ما يكون ذلك بالنهار وان جلس ففى محل عال لكنه غير مزين
ولا فرش له حتى الا سجادة واحدة وبازائها مخدة وقد ذكرنا سابقا
ان من العوائد ان السلطان لا يسلم عليه الا بدوكراى دوكا وانه
اذا بصق مسح التراب الذى بصق عليه فى الحال واذا تنحنح قالوا
صوتا كصوت الوزغ وبيناه هناك اتم تبيين فلا فائدة فى الاعادة
هذه كيفية مجلس سلطان الفور واما كيفية مجلس سلطان
الوادى فتختلف فاننا نذكر ان الوادى دائما يحجبون السلطان عن
اعين الناس ويشددون فى ذلك فلا يتمكن احد من رؤيته
جيدا ولا تجتمع عليه الملوك كما تجتمع على سلطان الفور لانهم
يرون ان عدم اجتماع الناس عليه اهيب له وانفذ لكلمته ولما
كان الامر كذلك وخيف من وقوع ظلم واجحاف رسم ان يجلس
السلطان للمظالم فى يوم الاثنين والخميس وجعلوا الجلوس فى
ذلك كيفية مخصوصة تقام فيها نواميس الملك وينزجر الظالم
وينتصف المظلوم ورتبوا له مجلسا بحيث يحصل المقصود من
غير اختلاط بالعالم وسنذكر ان بناء الوادى قد يخالف بناء الفور

فى ان

فى ان الفور لا يبنون باللبن الا قليلا وان الواداى اكثر بنائهم
باللبن فجعلوا المجلس المعد لذلك عاليا ما يجلس فيه السلطان
مع بعض خواصه فى يوم الاثنين والخميس ولا تراه الناس وانما
يعرف جلوسه فيه براية يبرزونها من طاق فى المجلس الذى هو فيه
وبصوت البردية فمهما برزت الراية وضربت البردية وهى طبل
كالكوبة المسماة فى مصر بالدربكة لكن صوتها عال شديد
فيسمع الكبرتو فيبوقون بالبوقات ويضربون بالتكجل فتسمع
الناس خصوصا وان من كانت له دعوة يترقب ذلك اليوم فيجلس
كلهم فى الفاشر وان الكماكلة دائما جالسون فى الفاشر لسماع
الدعاوى وان ارباب المناصب والمراتب يترقبون فى ذلك اليوم
جلوس السلطان فى الديوان فتحضر التراجمة المسمون بخشم
الكلام والعقدة والملوك على طبقاتهم ويحضر القاضى واشراف
الناس والعلماء فيجلسون فى ظل شجر فى الفاشر يسمى ذلك الشجر
بالسيال فمتى اخرجت الراية من الطاق وضربت البردية دخل خشم
الكلام ورقى من سلم فى داخل البيت وخرج من طاق لمصطبة
معدة لجلوسه بحيث يصير قريبا بمسمع السلطان ووقف
هناك واصطفت العساكر وجلس القاضى والعلماء فى مراتبهم

وكذلك الاشراف والتجار وجا من له دعوة رفعها الى السلطان
وذلك بعد ان يقول ختم الكلام السلطان يسلم عليكم يا اهل
الفاشر السلطان يسلم عليك يا قاضي السلطان يسلم عليكم
يا علماء وهكذا كما يفعل في يوم الجمعة ولنرجع الى ما نحن بذكر الفور
فنذكر نبذة في صفات تَنْدَلْتي فاشر السلطان وفي بيته وصفة كل
منهما حسب الامكان فنقول وتندلتي فهي الآن قاعدة مملكة
الفور واول من نزلها وخطها من الملوك السلطان عبد الرحمن
سنة ١٢٠٦ من الهجرة واما صفة ارضها فرملية كاحد الاقواز يشقها
واد بالعرض وهذا الوادي رجل من الوادي الاكبر المسمى الكوع ففي
ايام الخريف يمتلأ ذلك الوادي ماء فلا يعبره عابر الا من محل بعيد
من جهة المشرق وفي وقت نضوب المياه وذلك تارة في اخر الشتا
وتارة في اول الصيف يحفرون فيه الابار ومنها تشرب اهل الفاشر
كلها والسلطان لخوفه من السحر يشرب منه تارة وتارة ياتون
له بماء من جديد السيل لانه قريب من تندلتي من جهة المشرق
بنحو فرسخ وبناء الفور كله من قصب الدُخْن وحيطان بيوتهم
الخارجية كلها بالشوك ويسمون الحائط الخارجي زريبة والحائط
الداخلي صريفا والبيوت اعني المساكن كلها على هيئة قبة الخيمة

فيكون

فيكون الصريف لها كالطزلك لكن البيوت اصناف في البناء بيوت
المساكين وهي مساكن عندهم تسمى بالبيوت وهي من قصب الدخن
وبيوت الامراء والملوك وهي مبنية من الرهبيب كما سنذكر ذلك
ومنها ما يسمى سُكْتَايَة ومنها ما
يسمى تُكُلْتِي ومنها ما يسمى كُرُنْك فاما
السكتاية فصورتها هـــكذا
فهي كقبة الخيمة الا انها طويلة رفيعة
من اعلا وياتون ببيض النعام فيثقبونه
كل بيضة ثقبين من محوريها ويدخلون
في الثقب عودا فيجعلون في العود ثلاث بيضات او اربعا بينها كرة من فخار
احمر اما اسفل ذلك او اسفل ابريق من
صناعة كيري وينصبونه على قمة القبة
واما التُكُلْتِي فهو بيت شكله هـــكذا
من اعلا نصف كرة وقائم على دُرْزُويَتَيْن واما الكرنك فهو مثله الا انه قائم
على اربع دُرْزُوَيَات والسلطان يضع بيض النعام على سكاتيه وتكاليه وكرانكه
ويكسو اعلاها ثيابا حمراء وبيضاء هكذا ▭ ليتميز بها عن غيره
واسفل دائرة سكتايات السلطان والايا كرى والسرارى وكبار الدولة

مبنى من الطين واما اعلاها فمن المرهبيب وهو عزيز الوجود وهذه
الدايرة تسمى دُرْدُرْ قطره كقطر الخيمة المعتادة واعلم ان اهل
الفاشر منقسمون الى قسمين احدها اهل وَرَّيْدَيَا والثانى اهل
وَرَّنْيَابَا وبيت السلطان بينهما فاهل وريديا يسكنون جهة
باب الرجال المسمى بوريديا واهل وريبايا يسكنون جهة الباب
المسمى وريبايا فزريبة السلطان موضوعة على شفير الوادى فى
العلو الكائن هناك فهى شمال الوادى وليس بينها وبينه الاخطوات
قليلة وممتدة الى جهة الشمال مسافة بعيدة وباب الرجال يفتح
جهة الشمال امام الفضاء المسمى بالفاشر وهو متسع عظيم يكاد
ان يكون ثلثى دايرة ونذكر الان صفة زريبة السلطان وبيوته
اما الزريبة فهى من شوك الكِتِر والحَشَّاب ثلاثة صفوف بين
كل صفين جذوع من خشب فيها بعض تفاريع محفور لها فى الارض
حفر عميقة والشوك من امامها وخلفها كالبنيان المرصوص
علوه اطول من قامة والجذوع بارزة منه وفى كل سنة يجدد ما
حصل فيه خلل وبين الشوك وبين المساكن مسافة
نحو اربعين خطوة ولوَرَّيْدَيَا اربعة ابواب كل باب عليه بوابون
يبتنا ويبون حفظه والابواب ليست كالابواب المعهودة اعنى

انها

انها من الواح الخشب بل
هى اعواد مربّطة بالقد النيئ
اعنى غير المدبوغ على هيئة
شباك هكذا

وقد جعل فيه سلسلة من
حديد وكل الجوة باب مجعول فى حافتها اعواد كثيرة من
خشب فتجعل السلسلة فى عود منها ويدخل فى
الحلقتين قفل كاقفال الصناديق ومسكن البوابين
قريب من الباب فاذا دخل الداخل فى ورّيدا يا من
اول باب يجد داخل الباب فضاء واسعا وفى اخره اللقدّابه
الكبرى التى هى ديوان السلطان فتكون على يسار الداخل
وقد ذكرناها سابقا ورسمنا صورتها فلا اعادة وعلى
يمين الداخل محل الكورايات وهم فى عرفنا سُوّاس الخيل
والأصابل قريبة منهم وهى لقدابة طويلة قليلة العرض
مربوط فيها خيول الملك وبعد الاصابل بيت النحاس
وبيوت خدمته قريبة منه والباب الثانى لسُومِنْدُ قُلَة
والباب الثالث لكُورْكُوا والباب الرابع للطوانئنية وبين

كل بابين فضاء وصريف حاجز وعليه مركب الباب وايضا
داخل الباب الثانى لقدابة اخرى يجلس فى هذه اللقدابة
السلطان مع خواصه وداخل الباب الثالث لقدابة
ثالثة صغيرة يجلس فيها السلطان مع خواص خواصه
وداخل الباب الرابع الحرم والجوار ومحل سكنى السلطان
كما سنبينه بالرسم ان شاء الله واما وَرْتِيَابَا فهو
باب يدخل منه الى فضاء طوله اكثر من عرضه وفى اخره
لقدابة كبيرة تكون مثل ثلث اللقدابة الكبرى التى فى
وَرْتِيدَايَا وهذه اللقدابة عن يسار الداخل وعن يمينه
من بُعد ابنية للفَلَاقَنَة وللبوابين وداخل الباب الثانى
لقدابة اخرى اصغر منها يكون فيها السلطان بالليل
مع من يحب من خواصه وعن يسار هذه اللقدابة
الباب الثالث وهو كانه فى ركن وقد رسمنا هنا
صورة الزريبة السلطانية والبيوت كما ترى فى الصحيفة
الاتية بعد هذه لانك تعرف ما ذكرناه فى ذلك مفصلا
وتكون كانك قد شاهدت ذلك عيانا وهذه الصورة
فيها صفة دار السلطان فى الجملة

الشمال

واعلم ان اهل الفاشر سواء كانوا اهل وَرّنيْدَايا او اهل وربايا
كل منهم يحافظ على محل سكناه خَلَفًا عن سَلَفٍ فكل من تولى
منصبا يبني بيته في محل صاحب المنصب الاول او قريب منه فمن
كان من اهل وريْدَيا لا يسكن في وربايا وكذلك العكس ولا
خصوصية للاقامة في ذلك لانهم يحافظون على اماكنهم ولو
في السفر فلو انتقل السلطان بعساكره مسافرا متى ما
نصبت خيمته في بقعة نصب العساكر حسب ذلك
كل منهم في محله المعلوم بحيث لا يكون بين الدينة في الاقامة
وبين المنزلة في السفر فرق الاكبر المنازل واتساع البيوت
واما الجهات فكل منهم يعرف محل البعض فكانهم في المدينة
ومن ذلك ان السلطان ياتي بالليل الى المنزلة فيعرف
محل سكناه من غير سوال وكذا اتباعه كل وزير وامير يعرف
منزله وما ذاك الا من المحافظة على المنازل وفي ذلك فوايد
منها انه لو ارسل السلطان لانسان يطلبه بالليل لا يسئل
المرسل احدا بل يعرف ان منزلة فلان في الجهة الفلانية فيذهب
اليه من غير سوال احد وكذا لو ارسل بعض الوزراء او الملوك
لبعضهم حيث ان المنازل محفوظة لهم لا يتعب رسلهم بل

كل منهم يعرف منزل صاحبه وهذا من اغرب مايكون واما
زيهم فى الملابس فاعلم ان بلادهم فى الحرارة بمكان
عظيم ولشدة حرها لا يمكنهم ان يلبسوا الا الثياب الخفيفة
لكن يتفاوتون فى ذلك فالاغنياء يلبسون الثياب الرفيعة جدا
بيضاء كانت اوسودا واما الفقرآء فانهم يلبسون ثيابا خشنة
واما السلطان والوزرآء والملوك فان كل واحد منهم يلبس
ثوبين كالاقمصة رفيعين جدا إمّا ما يجلب لهم من مصر او
مما يعمل فى دارفور لكن ان كانا من البيض فانهما يكونان فى
غاية من البياض والنظافة وان كانا من السود يكونان نظيفين
ايضا ولا يتميز السلطان عن غيره فى ذلك الا بما يلبسه زيادة
على القميصين وذلك انه يضع على راسه كشميرا وهم لا يمكنهم
ذلك والسلطان يتلثم بشاش ابيض يضع على راسه منه
طيات وعلى فمه وانفه لثام منه وعلى جبينه ايضا بحيث لا
يظهر منه الا الاحداق لكن اللثام يشاركه فيه أُورُنْدُلُك
والكامنه فانهما يتلثمان كالسلطان وكذلك السلاطين
الصغار يتلثمون ايضا لكنه يتميز بالسيف المذهب والحجاب
المذهب وبالمظلة ان كان راكبا وبالريش وبالسروج المذهبة

والركاب

والركاب وعدة الجواد التي لا يمكن سواه ان يجعلها على جواده وان
كان في محل جلوسه لا يتلثم الا هو وحده ومن ذكر لا يمكنهم
ان يتلثموا بحضرته الا ان كانوا راكبين معه او كان كل منهم
في محل حكمه وديوانه وانواع ما تلبسه اهل دارفور الاغنياء من
الملابس من المجلوب الشاش والبفت الانجليزي والثياب الحرير
في يوم المهرجات كيوم العيد ويوم تجليد النحاس ولهم ملاحف
يتلفعون بها وهي كالملاءة التي يتلفع بها في اقليم مصر وهي اما
من الالاجة او من الشاش لكن يكون لها هدب طويل وهذه الملحفة
يتوشح بها او توضع على الصدر والاكتاف واذا حضر لابسها
امام السلطان يشد بها وسطه وذلك من كمال الادب عندهم
وان كان من غير المجلوب فالكلكف وهو ثوب من قطن غزله
رفيع جدا طوله عشرون ذراعا وعرضه ذراع واحد ومتوسطهم
يلبس من المجلوب الشنوتر وهو كناية عن العبك المصبوغ
ازرق ويجلب لهم بعض قماش من المغرب اي من بلاد الوداي
والبرنو والباقرمه يسمى التيكو والقداني لكنها غير عريضة
لان عرض الشقة قيراطان لا غير فيتعبون في خياطتها والتيكو
والقداني المذكوران سود لكن القداني مع انه اسود يرى في لونه

بعض حمرة فهو كلون رقاب الحمام السود ومن عجيب ما رايته
في ذلك ان لابسه اذا تنخم خرجت النخامة من صدره سودآ
وذلك ان النيلة تدخل في مسام جسمه حتى توثر في صدره
وبالجملة فالغني سلطانا كان او وزيرا او ملكا يلبس ثوبين
وسراويل وعلى راسه طربوش وباقي الناس لا يلبسون
الا ثوبا واحدا وسراويل وملحفة ان تكن وعلى راسه طاقية
بيضا او سودا واكثرهم يكون راسه عريانا واما نساؤهم
فانهن يلبسن مئزرا في اوساطهن يسمي في عرفهم الفردة
ثم الابكار يلبسن فوطة صغيرة على الصدور وهن يقال لها الدُرّاعة
وهي لبنات الاغنيآء تكون من حرير او ألاجة او بفت ولبنات
الفقرآء تكون من التكاكي ويربطن في اوساطهن الشرطة
يجعلن فيها الكنافيس والكُنفوس عندهن عبارة عن
منسوج عرضه اربع قراريط طوله نحو من ثلاثة اذرع تاخذه
الواحدة منهن وتدخل طرفه من الامام في الشريط التي في
وسطها وتفوت الطرف الاخر بين فخذيها وتنشبكه في
الشريط من الخلف وهو كالحفاظ عند نسآء المدن في ايام
الحيض الا ان الكُنفُوس عند نسآء الفور لا يلبسنه لاجل الحيض

بل

بل يلبسنه مطلقا واذا تزوجت البكر لبست ازارا كبيرا
يسمى في عرفهم الثوب وهو عبارة عن ملاءة تلتف فيها
المرأة ثم هو على قدر مقامات الناس في الغنى والفقر فنسا
الفقراء اثوابهن من التكاكي والاغنياء من الشَنْوَتَر او الكَلَكَن
او التيكو او القُدانى او البفت ولا يكون من حرير ولا من
الاجة واما حُلي النسا عندهم فانهن يلبسن الخُزام وهو
للاغنيآء من الذهب وللمتوسطين من الفضة وللفقرآء من
النحاس وهو على نوعين حلقي وشوكي فالحلقي عبارة عن
حلقة فيها ثلم وهذا الثلم تجعل
فيه مرجانة وهذه صورتـــــه
والشوكي عبارة عن حلقة نصفها
غليظ ونصفها رفيع كالشوكة يجعلن فيه اربع مرجانات
بينها حبة من ذهب او ثلاث حبات احداها ذهب وراس
طرفه الغليظ كحبة مربعة الاسطحة
وصورته هـــــــكذا
ويلبسن في اذانهن اخراصا كبارا
من فضة يزن الخرص منهن نصف رطل ولئلا يضر اذانهن

يربطنه بعلاقة في روسهن تحمل ثقله عن الاذن وهو عبارة
عن حلقة واسعة احد طرفيها شوكي والاخر كالحبة المربعة
الاسطحة كالخزام ومن لم تجد خزاما ولا خرصا تسد ثقب
انفها بمرجانة او حبة خرز مستطيلة وتسد ثقب اذنيها
بقطعة من لب بوص الدخن او الذرة او قطعة من خشب
ويجعلن في اجيادهن عقودا من انواع الخرز كالمَنْصُوص وهو
عندهم عبارة عن خرز اصفر من كهربا وهو نوعان كروي
ومفرطح وتختلف افراد كل منهما في الصفر والكبر والرّيْش وهو
عندهم عبارة عن خرز مستطيل ابيض فيه خطوط حلقية
ابيض منه وخطوط سمر وهو على انواع احسنها المسمى عندهم
بالسُّوميت وكله جامد صلب كانه من رخام يجلب من
الهند وهو خرز رفيع مستطيل كثير الخطوط فيه سمرة م
والعَقِيق وهو عبارة عن خرز احمر كروي كله يتفاوت في الكبر
والصغر وهو من عقيق والمرجان وهو نوعان نوع يسمى
القَصّ وهو خرز اسطواني مستطيل قليلا ونوع يسمى
المُدَرْدَم وهو خرز كروي ودَمّ الرّعَاف وهو نوع خرز احمر
داكن منه ما هو اسطواني ومنه ما هو كروي وهو من زجاج

يجلب

يجلب من بلاد اوربا والفاو وهو مرجان صناعى كروى
وطويل كله فيعملون من جميع ذلك عقودا ويلبسنها
كل منهن على قدر حالها فى اليسار وعدمه فترى منهن
من يكون لها عقد واحد ومن
يكون لها اثنان هكذا
ومن يكون لها ثلاثة واغناهن
لا تزيد على اربعة عقود هكذا
ويرتبن الخرز المذكور فيها ترتيبا
حسنا بحيث يألفه النظر ويميل للابسه القلب ويضعن
على روسهن تمايم من حب نبات يسمى الشُوش وهو
حب صغير احمر كالجلنار وفى جانب كل حبة منه نكتة سودا
وهذا الحب رويته مفرّحة جدا وودع وفول وهذا الفول
عندهم ذو الوان منه ما هو احمر ناصع الحمرة ومنه ما هو بنى
اللون ومنه ما هو اسود ومنه عسلى فينقبن الشُوش
والودع والفول وينظمن الشوش وحده تمائم لكن يجعلن
فى اسفل كل تمِيمَة اما جلجلا او ودعة ويجعلنها
عناقيد هكذا

لكن يفصلن بين كل تعريجة بخرز ازرق ويلبسن في
اوساطهن خرزا على انواع فنسآء الاغنيآء يلبسن خرزا كبيرا
مثل الجوز يسمى عندهم رُقَاد الفاقه ونسآء المتوسطين
يلبسن المنجُور ونسآء الفقرآء يلبسن اما الحرِش واما الخُذُور
وجميع ما ذكر يعمل في الخليل من بر الشام لكن رُقَاد الفاقه
املس جدا وهو ما بين اخضر وازرق واصفر ومشاهرة
وهو خرز اسود منقط بنقط بيض والمنجور كذلك في الالوان
الا انه اصغر حجما منه وفيه حُروشة وعدم اتقان في صناعته
والحرِش في لونهما لكنه صغير كحب السبحة مع الحروشة
الكلية وله غضون واما الخُذُور فانه حب اسطواني وهو
اما احمر او ابيض ويلبسن في اذرعتهن عقدا يسمى المذرعة في
المفصل بين الزند والساعد وهو عقد مركب من خرز اسطواني
طول الخرزة من نحو قيراطين وهو اما ابيض او اسود ويسمى
الشُوُور فينظمن خرزة بيضا وخرزة سودا ويفصلن بين
كل خرزتين بحبة اما من المرجان الحر او من المرجان الطبيعي اي
الصناعي او من حب الرعاف وذلك على قدر حالهن في الفقر
والغنآء ومن حليهن اللدّاي وهو سلك غليظ من الفضة

نصف

نصف دايرة في طرفيه اعوجلج كالسنّارة فيوخذ سلك رفيع من
النحاس وينظم فيه منصوص ومرجان وعقيق ويربط طرفاه
في الاعوجلج الذي كالسنارة من
الطرفين فيكون السلك الرفيع وما
هو منظوم فيه كالوتر للقوس وصورته هكذا
فيجعلن الوتر قريبا من جباههن ويشبكن السلك الغليظ
في شعورهن ويلبسن في اياديهن اساورا من عاج او من قرن
فاذا كانت من قرن سميت بالكيم او من نحاس وبنات الاغنيا
من الفضة والعاج معا وفي ارجلهن الخلاخيل وهي من النحاس
للجميع لكن بنات الفقرآء من النحاس الاحمر وبنات الاغنيآء من
النحاس المخلوط بالتوتيا فرارا من حمرة النحاس المعروفة الى الاصفرار
القريب للون الذهب ويجعلن من انواع الخرز الرفيع الملوّن
عصابة على جباههن وفي اياديهن واما طيبهن فهو السُنبُل
والمحلّب وكعب الطيب وهو المسمى بعرف الفور عرق ام ابيض
لسبب لونه الابيض بشي اسمر واصفر ويعرف بمصر عرق
بنفسيج بسبب رايحته وخشب الصندل وشئ كالمحار
الصغير يقال له الظُفر وهو اسمر الى سواد والشَيْبة والمَرْسِين

وبعض الاكابر يتطيبون بالجلاد وهو جلد نوافج المسك وعندهم
ثمر شجر ذكى الرايحة يسمى الدايوق وهو حب احمر يميل الى الصفرة
يسحقنه النسآء ويخلطنه بطيبهن ومن عادتهن ان يكتحلن
بالاثمد لكن لا يضعن الكحل فى اعينهن بل يجعلنه على الاجفان
السفلى والعليا من الخارج فيلتصق عليها بواسطة الدهن
ويكحّلن عشاقهن كذلك فترى الشباب والشابات كلها
متكحلة كذلك ومن عادتهم ان العاشق ياخذ من محبوبته شيأ
من حليها المعروف ويلبسه افتخارا له وتذكارا لاسمها واذا
اصابه مُهِمّ اوعثر يقول انا اخو فلانة وهى تقول كذلك ايضا
واكثرهم لا غيرة له على عرضه فربما دخل الرجل داره فوجد امرأته
مع غيره فى خلوة فلا يغضب ان لم يجده على صدرها واما اذا
دخل ووجد ابنته او اخته مع اجنبىّ لا يسوءه ذلك بل ربما سُرّ
به وظن ان ذلك يكون سببا لزواجها ومن عادتهم
ان البنت اذا طعن ثديها يفردون لها محلا تبيت فيه
وياتيها من يحبها فيه وتبيت معه ومن ذلك يقع الحبل
باكثر بناتهم ولا عار عليهم فى ذلك وولد زنا عندهم
ينسب لخاله وكذلك البنات فالبنت التى تكون من هذا

القبيل

القبيل يزوجها خالها وياكل من صداقها مالا لا سيما ان كانت
جميلة وبالجملة لا يمكن في دار الفور ان تمتنع النسآء عن الرجال
ولا الرجال عن النسآء بل لا يمكن الرجل ان يحرز ابنته تحت كنفه
ولو كان عظيما اما ان كان فقيرا فانه يهاب ويوذى وربما قتل ومن
ذلك ما اتفق ان رجلا كانت له ابنة وكان يغار عليها ولا يرضى
ان يكلمها اجنبي ومن شدة خوفه عليها كان يقهرها على
البيات معه في المحل الذي هو فيه وكانت من الجمال بمكان فكان
الشباب ياتون على عادتهم الى بيت ابيها فاذا حس بهم
زجرهم ولعنهم وطردهم فلما اعياهم امره احتالوا عليه واخذوا
قرعة مستطيلة قليلا تقرب من الشكل البيضي تنتهي بعنق
وفتحوها من اعلا واخرجوا لبها وملؤها غائطا وبولا وحركوه حتى
امتزج ببعضه وتوجهوا الى منزله ليلا ونادوه يا والدنا مر
فلانة تاتي لنتحدث معها فقام على عادته ولعن وسب وزجر
فما افاد ذلك بل قالوا له نحن لا نبرح حتى تخرجها لنا فاغتاظ
منهم وخرج قاصدا طردهم ومن عادتهم انهم كانوا اذا سمعوا انه
خارج اليهم يفرون منه لهيبته الا في تلك الليلة فانهم ثبتوا
ومسك احدهم القرعة من عنقها وكمن له حتى اخرج راسه

من باب البيت فرفع يده بقوة وضرب بها راس الرجل
بالقرعة فانكسرت على راسه وسال الخبث الذى فيها على
راسه وثيابه ووجهه فلما شم الرايحة الكريهة صاح يشتم
فقالوا له اسكت هذه الليلة فعلنا هذا معك والليلة القابلة
ان عارضتنا قتلناك فايقظ الرجل اهله وجاؤوه بماء فاغتسل
وتطيب وناموا خائفين منهم فلما اصبح افرد لابنته حجرة لنومها
فهراعنه وجرت عليها عادتهم وان كان غنيا صاحب
حشمة وابهة وعبيد وخدم يتحيلون فى الدخول الى الحريم
بالليل ولو على زى النساء ومن ذلك ما اتفق ان رجلا من اكابر
الناس له سبعة اولاد ذكورا وله بنت واحدة وكانت فريدة
حسن وقد خطبها منه اناس كثيرون فابى عليهم فحين
طال الامد على البنت تحيلت وادخلت شابا لطيفا من
الشجاعة بمكان فمكث عندها ما شاء الله ان يمكث
وافتقده اهله فلم يعرفوا له جهة فاتفق انه أُتِيَ بشراب
فشرب ولما اخذته النشوة طلب الخروج فقالت له البنت
أصبر الى الليل فابى وقال لا اخرج الا الآن وغلب عليها وخرج
وكان ابوها واخوتها جالسين على باب بيتهم فاستشعروا

بالشاب

بالشاب الا وهو خارج فصاح ابوهم على بواب البيت اقفل
الباب فلما قفل الباب امر العبيد بالقبض عليه فاجتمعت
العبيد ليقبضوا عليه فجرح منهم اناسا وامتنع عليهم فخرج
الاولاد السبعة مجردين السلاح عليه قاصدين قتله
فناشدهم الله الا ابعدوا عنه وتركوه ان يمضي الى سبيله فابوا
وتراموا عليه ففر منهم ورماهم بالحراب فقتل واحدا منهم
فكبر عليهم ذلك ورموه بالسلاح يرومون قتله فصار
يذب عن نفسه ويرميهم حتى قتل من الاولاد ستة وجرح
السابع جرحا خفيفا فحين راى والدهم ذلك نادى يا غلام
افتح له الباب ففتح له وخرج ولم يكن به جرح ولم يعرف من هو
لانه كان متنقبا وكانت ابنته سببا في خراب بيته وقتل
اولاده ووقايع كثيرة من هذا القبيل تذهب الدماء فيها
هدرا لان البنت التي يكون هذا الامر من شانها لا تخبر
الناس باسم القاتل ولا من هو بل قصارى امرها اذا سئلت
عمن فعل هذا الفعل ان تقول لا اعلم ولا يسلم من هذا الامر
بيت فيه انثى الا اذا كانت وخشا او بها عاهة تنفر الناس عنها
وقد اجتهد السلطان عبد الرحمن في منع ذلك فلم يمكنه ذلك

حتى انه جعل في السوق خصيانا كثيرين يمنعون النسآء من
مخاطبة الرجال والاختلاط بهم فاحتالوا في ذلك حيلا عجيبة
منها ان الرجل كان يمر بالبنت التي تعجبه فيقول لها يا بنية
مَا لُهْ راسك شَيْنْ مِثْل دِيكْ السُوكْتَايَهْ وما لُهْ اعني لاي
سبب وشين بعرفهم غير جميل فتقول هي وَيْنُو السوكتايه
الشين المِثْل راسي ووَيْنُو بمعنى واين هو فيقول ذَيكَا اى
ذاك وينعتها لها باصبعه فتعرفها وبعد المسآء تذهب
اليه فتبيت عنده ولم ينفع الحرس بشي كما انه اجتهد في
منع شرب الخمر فما امكنه واحتالت الناس حيلا عظيمة
حتى كانوا ياتون لبيوت الخمارين ويشترون منهم الخمر
ويورون لمن يراهم انهم يشترون خبزا فكانوا يقولون
بلغتهم تُعْرُوبَا يِنْسَا اوخبز كُمْ عندها اى هل عندكم خبز
فان خافوا ان يكونوا جواسيس طردوهم بقولهم اُكِبَا يعنى
ما عندنا وان عرفوا انهم اغراب يدخلونهم داخل الدار ويعطوهم
ما يريدون وكان السلطان في اثنآء ذلك يامر بشم افواه من
حضر مجلسه من اكابر الدولة وهم اكثر الناس ادمانا على
الخمر فاستعملوا لازالة الرايحة مضغ فروع شجر يقال له الشعلق

فكانوا

فكانوا يشربون كفايتهم ثم يمضغون منه فلا تشم من افواههم
رايحة الخمر البتة وهذه عوايد ارتكزت في طبايعهم وامتزجت
بدمهم ولحمهم فصارت سُنّة متّبعة وان كانت في الاسلام
محرمة ومن عوائدهم ان الرجل اذا تزوج وكان فقيرا ولم يواسه
اهله الاغنياء وجاء يوم الوليمة يعمد الى مرعى المواشي حتى يجد
ماشية اقرب الناس اليه فيعقر منها ما يكفيه لوليمته ثورا
او ثورين او بعيرا ان كان صاحب ابل وان لم يكن شيء من ذلك
ذبح اكباشا على قدر كفايته فان فطن رب المال له ومنعه قبل
العقر ربما قاتله الا ان يغلب وان شح وطلبه للقاضي يُلزِمُه
القيمة فيدفعها له على التدريج اذ لم يكن متيسّر الحال ومن
عاداتهم ان الغلام اذا اختتن يجتمع عليه في ثالث يوم ختنه
الى سابع يوم جميع غلمان البلد وغيرهم ممن له بهم قرابة ومعرفة
ويأخذون السفاريك ويخرجون في بلدهم والبلاد القريبة منها
فلا يرون دجاجة الا قتلوها وان قدروا على ضبطها بالحياة
اخذوها حتى يجتمع عندهم دجاج كثير ولا يقدر احد من الناس
يعارضهم في ذلك وكل من عارضهم ضربوه وهم صغار لا تقام
عليهم شريعة ومن عاداتهم ختن البنات لكنهم في ذلك على

اقسام فمنهم من لا يرى ذلك ابدا وهم اعجام الغور ومنهم من
يخفض خفضا خفيفا كعادة اهل مصر وهم اكابر الناس ومنهم
من ينهك الخفاض حتى يلتحم المحل ببعضه ويجعلون لمسلك
البول ماسورة من صفيح وهولآء اذا زوّجوا ابنتهم لا يقدر
الرجل على افتضاضها حتى يشقون له المحل بالموسى وهناك
نسآء لهذا المعنى وفي وقت الولادة كذلك ايضا وهولآء
اكثر بنات الفقرا المنهمكات مع الرجال دايما ويفعلون ذلك
خوف الافتضاض بالزنا ومع ذلك يقع الحبل فيهن وهن على
تلك الحالة وفي خفاض البنات يعملون افراحا عظيمة ويولمون
الولائم العظيمة ومن عادتهم ان اقارب البنت المخفوضة من
الرجال يقفون خارج المحل الذي تخفض فيه البنت والنسآء يكن
عندها فان صوتت وقت الخفاض وصاحت لعنوها وتركوها
وان صبرت وهبها كل من اقاربها على قدر حاله وقرابته فمنهم
من يهب لها بقرة ومنهم من يهب بقرات ومنهم من يهب
لها رقيقا ومنهم من يهب لها شاة او شيا هًا حتى تصير
من ربات الثروة وابوها وامها يهبان لها اكثر من جميع
الناس ان كانوا اغنيآء ومن عادتهم ان يثقلوا مهور البنات

فربما

فربما تزوجت البنت الوسيمة من الفقرآء بعشرين بقرة وجارية
وعبيد فياخذ الاب والام جميع ذلك ويعقدون العقد على جذعة
من البقر ولذلك يفرحون بولادة الاناث اكثر من ولادة الذكور
ويقولون ان الانثى تملا الزريبة خيرا والذكر يخربها ومن عادتهم ان
البنت اذا تزوجت تمكث بعد الدخول بها في بيت ابيها سنة
او سنتين ولا يمكن خروجها لبيت زوجها الا بعد جهد جهيد
والنفقة في تلك المدة على ابيها وما ياتي به الرجل في تلك المدة
يكون على سبيل الهدية ومن عادتهم ان الرجل اذا خطب بنتا
وكان قبل ذلك له اختلاط بابيها وامها وكانت لها اختلاط بابيه
وامه ايضا تذهب تلك المخالطة بمجرد الخطبة ويستوحش
كل منهم فبعد ذلك اذا راى الرجل ابا البنت المخطوبة او امها يفر
من الطريق التي هو عليها وهما كذلك وكذلك البنت تفر من ابوي الخاطب
اباه او امه وفي اثناء ذلك اذا دخل الرجل البيت يرسل السلام لام
البنت اما مع البنت او اختها او جارية في البيت ونحو ذلك
وهي ترسل له السلام ايضا ولا يتلاقيان ولا يزالون كذلك
حتى يبني بها فعند سابع يوم من البناء يخرج ويقبل راس حماه
وحماته ويجتمع عليهما وكذلك البنت ومن عادتهم ان كلا من

الزوج والزوجة يرى اقارب زوجه كاقاربه فيحترم الرجل حماه ويخاطبه يا ابتي وام امراته يخاطبها بامي واختها باختي وهي كذلك ويرون ذلك من آكد الحقوق عليهم **فصل**

في اصطلاح تزويج الفور لما كان المتوحد في ذاته وصفاته وافعاله غنيا عن الزوج والولد ما انفصل عن احد ولا ينفصل عنه احد اذ لا يحتاج لما ذكر الا الحادث المسكين الذي لا سند له الا الله ولا معين وهو سبحانه وتعالى حي قيوم لا تاخذه سِنَةٌ ولا نوم واحدٌ أَحَد فَرْد صَمَد لم يتخذ صاحبةً ولا ولد ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له كفوا احد خلق ادم ابا البشر من التراب وخلق حوآء زوجه من اقصر ضِلَع من الجهة اليسرى على الصواب ولما كان سِرُّ خَلْقِه ان يكون خليفة في الارض ويملأ من نسله طولها والعرض ركب فيهما الشهوة البشرية ليحصل التناسل وفق الارادة السنية وكان ادم حين خُلقت حواء في سِنة من النوم ولما افاق رآها امامه على ترتيب منظوم فوقعت منه موقعَ الاعجاب وقال لها من انت يا اعز الاحباب قالت انا حواء وقد خلقني الله من اجلك يا ادم وقدّر ذلك من أزلٍ تقادمَ فقال لها هلم

الى

الىّ فقالت بل انت تعالى الىّ فقام ادم اليها فصارت عادة الرجال
الذهاب الى النسآء ولما ان جلس معها ومس بيديه جسمها
دبّت فيه الشهوة الانسانية واراد مواقعتها كما هو مقتضى
الحيوانية قيل له مه يا ادم لا تحلّ حواء الا بصداق وعقد نكاح
ثم ان الله سبحانه وتعالى خطب خطبة نكاحهما بكلامه القديم
فقال الحمد لعزتي والعظمة هيبتي والخلق كلهم عبيدي واني
أُشهدكم يا ملائكتي وسكان سمواتي اني زوجت بديعة فطرتي
حوآء أمتي لادم خليفتي على صداق ان يسبّحني ويهللني فكان
ذلك سنّة لاولاده لكن لما اختلفت الاقاليم واللغات وتعددت
القبائل والاصطلاحات كان اصطلاح كل قوم مباينا لاصطلاح
اخرين وإنْ كان العقد والمهر واحدا فمن اصطلاح الفوران
الشبان اناثا وذكرانا ينشؤن جميعا ففي صغرهم يرعون
الاغنام ولا حجاب بينهم على الدوام فربما اصطحب الشاب
والصبية من ذلك الحين وانعقدت بينهما المودة التي لا
تبلى على ممر السنين فمتى احبها واحبته ركن اليها وصار يغار
عليها ولا يرضاها لحادث غيرة وح يرسل اباه او امّه او احد
اقاربه فيخطبها فاذا انعقد بينهما الكلام ونفذ على وفق المرام جمعت

الناس للاملاك وحضر الشهود للملاك فيذكرون شروطا كثيرة
ويطلبون اموالا غزيرة وكلها ياخذها الاب والام او الخال او العم
ويعقدون لها على شئ قليل من ذلك المال الجزيل وكنا قد ذكرنا
نبذة من ذلك فلترجع هنالك ثم بعد تمام العقد يتركون الامر نسيا
منسيا مدة طويلة ثم يجتمعون فيما بينهم ويتشاورون
فينعقد رايهم على وقت فيه يزفون فان كان العروسان من
ذوى البيوت الفخام والمراتب العظام ابتدا اهلهما في تهيئة الذبائح
والشراب قبل العرس بايام كثيرة ثم يرسلون الرسل الى احبابهم من
البلاد ويقولون العرس في اليوم الفلاني المعتاد ويكونون قد حضروا
من المزر والنبيذ الاحمر المسمى عندهم بأم بُلبُل ومن البقر والغنم
ما فيه كفاية فتاتي الناس في اليوم الموعود افواجا افواجا وهناك
نساء معهن طبول صغار وكبار كل امراة معها ثلاثة طبول
اثنان صغيران واخر كبير على هيئة الدربكة تضعها تحت
ابطها الايسر احدها وهو الكبير من اعلا والاثنان يحاذيان
اسفل الكبير وتضرب بيدها على الثلاثة ومجموعها يسمى
عندهم الدلوكة وكلما جاءت طائفة خرجت النساء
بالطبول ويضربنها ويقلن كلاما يمدحنها به منه قولهن

هي

هَيْ بَانِي هَيْ بَنَاتْ

وَبْنِينْ حِسّ البنَاتْ

يَاهَزَّازِينْ القَـنَا

أَرِيتْ مَايِجِيكُمْ فَـنَا

عَيْنْ الحَسُودْ بِالعَمَى

يَاهَزَّازِينْ الحِرَابْ

أَرِيتْ مَايِجِيكُمْ خرَابْ

عينْ الحَسُودْ فِي التُّرَابْ

وكلما قالت كلاما قالت قبل ان تقول غيرَه هَيْ بانى هى بنات وبنين حسّ البنات انما هذا الكلام لا يعنى شيا بالحقيقة وكنتُ مرّة جئتُ الى عرس فتعرضت لى امراة وقالت

الشَّرِيفْ جَايْ مِنْ المَسِيدْ

الكِتَابْ فِي إِيدْ

وَالسَيْفْ فِي إِيدْ

وَمِنْ قَبَلْ يجِيبْ

البِرْقِـدْ عَـبِيدْ

وكنتُ احفظ من كلامهن كثيرا نسيتُه فتخرج اصحاب العرس

ويتلقون القادمين وكل طائفة تاتى رجال ونسآء فيجعلون كل
طائفة فى محل وياتون لهم بالاطعمة والاشربة على حسب مقامهم
فمنهم ياتونهم بالعصائد والمِزر المسمى فى مصر بالبُوزة واللحم السليق
والشِوَى ومنهم من ياتون له بالفطير والشراب الاحمر الذى كالنبيذ
المسمى عندهم بأُم بُلْبُل وان حضرهم جماعة من الفقهآء اتوهم بالعصائد
واللحوم وبالسُوبْيَا وتسمى عندهم دِينْزَايَا ثم يقيلون فى اماكنهم
حتى يبرد الحر ويعظم الفيء فتخرج الشابات من النسآء صفوفًا
صفوفا وكل من النسآء يقابله صف من الشبات وتخرج النسآء
التى معهن الطبول فيضربن ويقلن من كلامهن فيبرز صف من
صفوف النسآء يمشين هونًا ويرقصن باكتافهن ويتقاصرن
الى الارض حتى يصلن الى صف الرجال فكل شابة تعد شابا حتى تضع
وجهها فى وجهه وتهز راسها نحوه حتى تضربه بضفائرها فى
وجهه وضفائرها اذ ذاك مدهونة بالطيب وانواع ما يعرفونه
من العطر فيهيج الشابُّ ويهز حربته على راسها ثم تلتفت
راجعةً فيتبعها حتى الى مكانها الاول فيقف فيه الرجل وترجع
هى القهقرَى حتى تصل الى المحل الذى كان واقفا فيه الرجل فمن
من يتامل يجد صف النسآء ثبت فى مكان صف الرجال وبالعكس

واذا

واذا كان هناك بعض شبان لم يدخلوا في الصف واحدى
الصبايا تريد ان يقابلها واحد منهم تالفه تخرج من الصف
وتذهب اليه راقصةً حتى تكب شعرها على انفه فيلهج ويصيح
ويهز حربته ويخرج وراءها وان لم يخرج كان ملوما وعليه وليمة
للخارجة له وبعد ان يثبت كل صف في مكان الاخر تخرج النسا راقصات
والرجال راقصين وكل منهم مقابل للاخر وكل شابة مقابلة لشاب
حتى يتلاقا الصفان في وسط المجال وكل شابة تكب راسها في
صدر ووجه الشاب المقابل لها والشاب يهز حربته على راسها
ويصيح صياح الفرح وهذا الصياح عندهم يسمى الزَرْقَتَة وكان
النساء والرجال ثَمِلَ مما شرب ولا يزالون هكذا حتى ياتي الليل
فترجع كل طائفة الى مقرها ويوتى لها بالاطعمة والاشربة هذا
ولا يخطر ببالك انه ليس عندهم رقص الا هذا النوع وهو المسمى
برقص الدَلُوكة وهناك رقص اخر يسمى بالجيل واخر يسمى لَنقي واخر
يسمى شَكَنْدَرِي ورقص العبيد والاماء يسمى تُوزِي ورقص
الفور يسمى تِنَدِكَا وهناك رقص اخر يسمى بَنْدَلَه وفي الاعراس
كل اناس يرقصون نوعا من هذه الانواع فالنساء الجيلات بنات
الاكابر يرقصن مع امثالهن من الشبان على الدَلُوكة والواسط

النسآء مع امثالهن من الشبان يرقص الجيل ومن دونهم
يرقصن لنقي فاما رقص الجيل فتتقابل فيه النسآء مع الرجال يرقصن
باكتافهن ويضربن بارجلهن اليمنى على الارض والرجال كذلك
لكن في كل حلقة هناك نسآء يغنين والناس ترقص على غنائهن
وفي رقص اللنقي بعض النسآء يغنين والشابات والشبان يضربن
بارجلهم الارض ويرقص كل منهم برجليه اليمنى واليسرى لكن الشبان
يكرون كريرا معروفا لهم واما الشكندري فيجتمع الشبان والشبات
وكل رجل ياخذ شابة امامه وتنحني هي ويمسك خصرها بيديه
حتى يكونوا كلهم كدائرة مسلسلة اعني الانثى تضع يديها على
حقوى الذكر الذي هو امامها والذكر يضع يديه على حقوى الانثى
التي هي امامه وكلهم منحنيون حتى يكونوا كدايرة تامة ويمشون
رويدا رويدا مع ضرب ارجلهم في الارض لاجل يسمع رنين خلاخيلهن
والبنات التي يغنين خارجات عن الحلقة واما البنذله فهي من
انواع رقص العبيد وهو ان العبد ياتي بالنارجيل المسمى عندهم
بالدليب ويثقبه وهو اكبر مثل كرة المدفع وينظم منه ثلاثا او
اربعا في خيط ويربطها في رجله كالخلخال في الرجل اليمنى وكل عبد
يفعل ذلك وتقف جارية من الجوارى خلفه ويكونون كدايرة ولهم

كرير

كرير مخصوص فيخرج العبد منهم لاخر فى وسط الدائرة ويتحاول
معه فى اللعب وهذا اللعب مبنى على القوة وخفة الجسم كما
يلعب البهلوان فبعد ان يتحاولا مليًّا يضرب احدهما صاحبه
برجله التى فيها النرجيل فلا يخلو اما ان يوقعه فى الارض او لا
فالماهر هو الذى ان ضرب صاحبه اوقعه و الباقى يرقصون رقصا
لا تكسر فيه وكلهم يردّون على المغنيات وهذه المغنيات خارج
عن الحلقة واما التُورِى فهو ان عبدا من العبيد يضرب على
طبل كبير والنسآء والرجال حوله حلقةً وكل رجل واضع يديه على
حقوى امراة وكل امراة واضعة يديها على حقوى رجل لكن مع
الانتصاب والاعتدال لا مع الانحنا ويمشون رويدا والنسآء يضربن
ارجلهن ببعضها لترن الخلاخيل التى فى ارجلهن ومشيهم
كلهم فى الدايرة والمغنيات خارج الحلقة واما التَنْدِكا فهى لعب
البِرْقِد والفور وهو اشبه بالتُورِى وانما الفرق بينهما فى
كون ان التُورِى يمشون فيه رويدا والتَنْدِكا بحركات عنيفة
وبالحقيقة العبارة لا تفى بذلك لان المشاهدة بشى اخر فربما
يرى المشاهد شيا لا يمكن التعبير عنه ولكل رقص من الارقاص
غناء مخصوص فاما غنآء الجبيل فمنه قولهن

يُو بَانِي هِيْ يُو بَانَيْنْ

اللَّيْلُ بُوِي يَالْمُتْقَالْ

أَنَا رَاسِي إِنْدَارْ

اللَّيْلُ بُوِي يَالْمُتْقَالْ

أَنَا رَاسِي إِنْدَارْ

وهذه الكلمات يوباني هي يوبانين لا تعنى شيا لكن واحدة منهن تنشد وتقول الليل بوى يالمتقال فتقول النساء الاخر انا راسى اندار ومنه قولهن

اللَّيْلُ بُوِي

دَارْ فُورْ جِفَهْ

أَنَا رَاسِي نُوِي

ومنه قولهن

فُرَيْعُ الجَانِيَةْ

سَبَّبْتُو الجَانِسِيَّهْ

وَيَا فُرَيْعَا الصَّنْدَلْ

فِي بُوَيْتْنَا قَامْ رَنْدَلْ

واما غناء اللنقى فمنه قولهن

يَاعِيَالْ
جِيبُوا المَالْ
نَهِيضْ دَلْدَكْ وَدْبِنِيَّة
صَبُّوا دَرِيزْ الحَيْلْ فِي كَرِيتُو
نَهِيضْ دَلْدَكْ وَدْبِنِيَّة

واما غناء التَنْدِكَا عند الفور فمنه قولهن

يَا بِي طَاهِر دُقُلَا
بِي لَبَا وَدُوِيكْ أَبَا
كِتَابْ مُصْحَفْ لَكْ حَلْفَيْنْفِيَا
تِرِيْمْدُو كُبِي رَايْلَا
تَارْكَا مُدُو صَقَلْ جُوجِي

ولو تتبّعنا غناء انواع الرقص لطال الحال فبعد ان ياكلوا ويشربوا يزفون العروس بالدَلُوكَة ويلفون بها حول البلد وياتون بها للمحل الذى أُعدّ للدخول عليها فيه ثم بعد العشآء بكثير تجتمع الشبان وياخذون العريس ويزفونه بالغناء والزرقة حتى ياتون به الى المحل المعلوم فيجلسون خارجه وحَ جميع الشابات مجتمعة مع العروس والشبان بجموعون عند العريس وقد

استوزر العريس اعز اخوانه لانه ح كالسلطان واستوزرت العروس امراة وسموها ميْرَمْ فبعد ان يجلس الرجال مع عريسهم يطلبون المَيْرَمْ فلا تخرج لهم الا بعد نحو ساعتين فيتقدم لها الوزير ويسلم عليها بلطف يلتمس منها حضور العروس فتقول لهم من انتم ومن اين جئتم وما هي العروس التي تريدون فيقول الوزير اما نحن فضيوف وقد جئنا من بلاد بعيدة ونريد المَلِكَة تؤانس ضيوفها فتقول له اما الملكة فمشغولة بشغل عظيم وها انا وكيلتها في ضيافتكم وقرائكم وما يلزم لكم فيقول الوزير نحن نعلم ان فيك البركة والكفاية لكن لنا معها كلام لا يمكن افشاؤه لغيرها فتقول له اذا كان كذلك فما ذا للملكة وما ذا لي لان عادتها ان لا تبرز من حجابها ولا تاتي لطلابها الا بجُعْل فيقول لها المال والارواح وكل ما طلبتِه فلا يزال يحاولها وتحاوله حتى يتراضيا وهذا كله والعروسة قريبة منهم وراء ستارة لكنها لا تتكلم بشيء والعريس ايضا ساكتٌ كذلك والمحاورة بين الاثنين فاذا وقع التراضي رفعتْ الستارة فتخرج العروس فيقول الوزير اما الملكة فللملك وما ذا لنا نحن فتنادي المَيْرَمْ للبنات التي مع العروس فيحضرن وتقول لهن ايتها البنات اريد منكن في هذه الليلة ان تؤانسن

اضياف

اضياف الملكة فيقلن لها حبا وكرامة وهى تعلم كل صبية ومحبوبها
فتقول يا فلانة كونى مع فلان وانت يا فلانة كونى مع فلان وهكذا
حتى لا يبقى الا التى لا محبوب لها والذى لا محبوبة له فياخذ كل
شاب محبوبته ويبيت معها ان وسعهم المحل الذى هم فيه وصورة
ذلك ان يبيت العريس وعروسه و الميرم والوزير وكل زوجين
معا صفا او صفين على حسب سعة الموضع وان لم يسع
المحل جميعهم بقى من وسعه المحل مع العروسين وذهب الباقى
فكل شاب منهم ياخذ محبوبته ويتوجه بها الى بيتها او الى بيت
بعض احبابها ولا يذهب بها الى بيته لانها لا ترضى ذلك لان عادتهم
ان الشاب متى ما احب صبية وعلمت امها بذلك لا تقابله ابدا
ولا يقابلها واذا راته فى طريق ولم تر لها مخلصا منه بركت فى
الارض وسدلت ثوبها على راسها ووجهها حتى يمر وهو كذلك
يفعل يعنى ان راها وعرفها يرجع على عقبه هاربا ان امكنه ذلك
والا ادار وجهه لنحو حائط او شجرة حتى تمر ثم يرسل لها السلام
ان كان معه احد وكذلك هى تفعل بعد مروره ان لم يكن معه
احد ترسل له السلام ان كان معها احد وهذا كله عندهم
من نوع الحياء والتعظيم وعندهم اهل الزوجة محترمون فامها

كامه بل اشد احتراما وابوها كابيه بل اشد واخوتها كاخوته
وهي مثله في ذلك اذا رات امه اواباه فرت وسلكت طريقا
غير طريقهما وترسل السلام او يرسل اليها ولا تواجه احدا منهم
وتعتبر اباه كابيها وهكذا مثل ما ذكرنا في الرجل ولذلك تذهب
مع محبوبها الى محل اخر ولا ترضى ان تذهب معه الى بيته بل
ان ضاقت الاماكن بكثرة الناس وليس هناك دار سوى
دار ابيه لا تذهب معه اليها بل يذهبان الى الخلاء ويبيتان
فيه واما دار ابيها من حيث ان لها محلا معدا لذلك يبيت
معها فيه من ارادت ولا يراها ابواها فان الرجل يذهب معها
اليه ويخرج عنه الفجر وابواها نائمان فلا يراه احد منهما ولنرجع
الى ما نحن بصدده فنقول ثم يبيتون تلك الليلة فاذا اصبح
الصباح قامت كل صبية وتوجهت الى بيت ابويها فتُصْلِح شانها
اعني انها تغسل وجهها واطرافها بل ربما اغتسلت ثم تتطيب
وتكتحل وتجدد زينتها وكذلك العروس تدخل عند امها فتُصلح
شانها وكذا الرجال يذهبون الى ديارهم ان كانت قريبة فان
كانت بعيدة كأن كانوا من بلد اخرى يذهب كل منهم الى دار
صاحب له فيُصْلِح شانه هناك وكذلك النسآء ان كانت

المراة من بلد اخرى تذهب الى دار حبيبة لها تصلح شانها فيها
لان الشابات اللائى حضرت للعرس مع كل شابة منهن كحلها
وعطرها وما تحتاج اليه فتصلح شانها ويجلسن حتى يقرب الضحى
فتاتى البيرم الى محل الزفاف والعريس غائب عنه اعنى عند قيامه
لاصلاح شانه هو الاخر فتقمّه وتنظفه وتفرشه وتهيئ مجالسه
هى وبعض صواحبتها فياتى العريس فيجده نظيفا فيجلس هو
ووزيره وتنهل عليه الشبان فيجلسون معه ثم اصحاب العرس
بالخيار ان شاؤا جعلوا السبعة ايام كلها بالرقص والدلوكة
وان شاؤا اقتصروا على يوم واحد فان ظهر اقتصارهم جلس
الضيوف الى وقت الغذاء وبعد تناولهم الطعام رجع كل منهم
الى بلده ولم يبق الا اهل البلد الذى هم فيه وان لم يروا الاقتصار
وعلموا ان اصحاب العرس يريدون ان يمتد عرسهم الى
السبعة ايام اقاموا ويظهر ذلك بتجدد الذبائح وعصر الخمور
والتهيئ تنبيه اعلم ان اهل كل بلد من البلاد الذين دعوا الى
مثل هذه الوليمة ياتون اما ببقرتين اوثورين اوثور اوبقرة او
بقشيا اعانة لصاحب الوليمة وان كان لهم اقارب خارجين
عن بلدتهم ودعوا ياتون باثوار او بقر غير ما تاتى به اهل بلدتهم

تقول قال لي كذا وكذا فاذا سئلت من الذى قال تقول هو حتى يولد
لهما فتى وُلِدَ لهما قالت ابو فلان او ابو فلانة باسم من يولد ان
كان ذكرا او انثى ومن عاداتهم ان الرجل لا يُنفِق على المراة بعد الزفاف
الا بعد سنة فان جاء بشىء قبل السنة جاء به على سبيل الهدية
مع انه لا ياكل الا اعز مما ياكلون فيمكن انهم طبخوا شيا قبيحا لهم
من الماكل الرديئة ويذبحون له دجاجا او حماما او لحما ومن عوايدهم
ان الرجل مدة ما هو فى بيت ابى زوجته يصنعون له طعاما جميلا
جدا غير العشاء يتناوله بالليل اما مرة او مرتين او ثلاث ويسمون
الاول بلغة الفور جُرِى جَرَاكْ والثانى تارْكَا جِيسُو والثالث
صُبُحْ جَلُّو ومرادهم بذلك تقويته على الجماع واما اسمه بلغتهم
العربية وَرّانية واكثر الاغنياء ياكلون بعد اكلهم العشاء لانهم ربما
جاءهم ضيف فلم يتمكن من التشبع لحيائه من الضيف او كان العشا
غير جيد فلا بد له من وَرّانية ومعنى قولهم جُرِى جَرَاكْ انزع القميص
فان جُرِى معناه قميص وجَرَاكْ معناه انزعْ وتارْكَا جِيسُو
معناه مَسْك الرِجْل فان تارْكَا معناه رِجْل وجِيسُو معناه
مَسْك وصُبُحْ جَلُّو معناه طلوع الفجر واما الورانية فهى عربية
منسوبة لِوَرَاء ضد الامام لانه ياكلها وراء العشاء اى بعد ما

ياكل

ياكل العشاء ولهذا تجد بعض الناس اذا كان عنده من يعز عليه
من الاخوان وحضر العشاء معه واراد ان يقوم يمنعه حتى ينفضّ
المجلس ثم يدعو خادمه ويقول هل من شي يوكل فياتيه الخادم بالورّانية
فياكلان معا وهذا لا يُفْعَل الا مع اعز الاصدقاء وهذه الورانية
تنفع احيانا للضيوف المُفَاجي بالليل الداجي وهذا كله ان كان عرسا
فان كان ختانا فعلوا ما ذكرناه من استحضار الاطعمة والزّروأم
بُلْبُل والدَنْزَايَا ودعوا الناس ورقصوا على الدلاليك وزفوا
المطاهر وجاء المزين فختنه وابوه واقف فان بكى المطاهر ففر اهله
منه وتركوه ومضوا وان صبر حال الختن ولم يبك قال ابوه اشهدوا
يا اهل المجلس انى اعطيت ولدى بقرة او ثورا او عبدا او امة
مما يقدر عليه وقالت امه كذلك وكل من حضر من اهله يهدى
له شيا فان كان اهله اغنياء ناله منهم شي كثير فيصير غنيا
وذلك كله بحسب غناء اهله وفقرهم ثم يجتمع اترابه فى
ثالث يوم الطهور وياخذون السفاريك ويجوسون خلال
البلد يضربون الدجاج فيقتلون دجاجا كثيرا وفى رابع يوم
الى اليوم السابع يذهبون الى البلاد المجاورة لهم فلا يرون
دجاجة الا قتلوها وكل يوم يتوجهوا البلد يقتلون دجاجها

واصحاب الدجاج لايرون بذلك باسا وان كان خفاضا فعلوا
فيه كل ما ذكرنا الا الدجاج فلا يقتلونه والخفاض لا يتغالون
فيه كالختان ومما ذكرناه يعلم الواقف على رحلتنا انا استقصينا
جميع ذلك لتمام الفائدة وحسن العائدة واعلم ان اهل دار
فور لا يستقلون بشيء في امورهم بدون النساء بل انهن
تشاركهم في جميع احوالهم الا في الحروب العظيمة ولذلك ان
عرسا لا يتم الا بهن او حزنا كذلك ولولاهن ما استقام لاهل
دارفور شيء فترى النساء يحضرن في الامور المهمة ومن ذلك
الاذكار وهي على ضربين ضرب يفعله اهل البلاد المستعربون
اعني من ليسوا بعجم وضرب يفعله اعجام الفور فاما الاول فهو ما
كان على طريقة شيخ من الصوفية او ولي من الاولياء وعلى كل
فتحضر حلقة الذكر امراة تنشد لهم والنساء خلفها وقوف
لا يتكلمن بل ينظرن ازواجهن واقاربهن ليعلمن ايهم احسن
ذكرا وقد ينشد رجل والنساء يسمعن كبقية الرجال ومن
ذلك ما وقع ان تلميذ الشيخ دفع الله حضر حلقة ذكر تلاميذ
الشيخ يعقوب وبين تلاميذ الشيخين معاندة فلما حمي الذكر اراد
احد تلاميذ الشيخ يعقوب ان ينكت على تلميذ الشيخ دفع

الله

الله فقال

أَنَا عِنْدُو شَيْخًا فَرَاجَابَا
لَا يَدْخُلْ دَرْقَةْ وَنَشَّابَا
أَنَا عِنْدُو شَيْخْ مَهْيُوبْ
لَا يَدْخُلْ حَلْقَةْ يَعْقُوبْ

فسمع تلميذ الشيخ دفع الله وعلم انه عناه بذلك فقال

نَدْخُلْ وَنَنْزُقْ مَتْعَافِي
بِالنِّيَّةْ وَالْعَمَلْ الصَّافِي
دَفْعُ اللَّهْ فَوْقِ طَوَّافِ

نادرة حضرت امراة في حلقة ذكر وانشدت

نُصَفِّقْ لَكُمْ مَرِيسَةْ دُوَانِي
وَأَنَا عَزَبَا بَيْتِي طَرْفَانِي
يَا فُقَرَا مَا فِيكُمْ زَانِي

فسمعها الذاكرون وكان فيهم شاب فهم المعنى وكان يقول الله حي فصار يقول انا زاني لطرفاني واما العجام الفوير فيقفون والذكر صفين او حلقة وكل رجل منهم خلفه صبية والنساء ينشدن وهم يذكرون وذكرهم كرير فمن انشادهن قولهن

كُرُوكُرُّويَىٰ عَالِمَا نِمَا

صِحْ لَكْ كُوِيِّ جَنَّهْ

صِحْ لَكْ كُوِيَ

ومعنى ذلك كُرُو معناها شجرة وكُرُّو معناها خضراء وعالما نما معناه ظلّ العلماء وصِحْ لَكْ كُوِيَ صِحْ لَكْ كوِي معناه صحيح نمشي الى الجنة صحيح نمشي الى الجنة ومعناه ان الشجرة الخضراء ظل العلماء ونحن ندخل الجنة حقا ندخل الجنة حقا ومنه قولهن

جَبْرَايِيلَهْ مِيكَايِلِيَهْ

كُلَّ سِبَا مُلْكَا الجَنَّهْ

ومعناه جبرائيل وميكائيل كل حسنة يملك بها للانسان الجنة ومن قولهن

لِلَّهِ قُوِي لِلَّهِ

شَهَرْ رَمَضَانْ أَللَّهْ أَنْدَوَا

كَالْفَارِنْجِيَهْ

ومعناه لله يا إماءُ الله شهر رمضان دواء الله فافرحوا به ام ومثل هذا كثير لو تتبعناه لخرجنا الى الاسهاب وجلبنا الملل لأولي الالباب وفيما ذكرناه كفاية لكن من حيث اننا تكلمنا في التزويج وما

يتعلق

يتعلق به عن لنا اننا نذكر نبذة في حجاب النسآء وهم المسمون
في مصر بالطواشية وباغوات الحريم وبالتركية قزلر اغالر لانهم
امنآء على الحريم ونقول

فصل في الخصيان المعروفين في مصر بالطواشية

لما كان الحق سبحانه وتعالى
غيورا على عباده ومحارمه منتقما ممن تعدا حدوده بارتكاب
مآثمه وكانت الغيرة وصفا من اوصافه ولذا حرّم الظلم على
نفسه وخلافه جعل الغيرة مركوزة في طباع بني ادم من زمن
سلف وتقادم واول من غار قابيل على اخته اقليما لما امر ادم ان
يزوجها من هابيل ويزوجه من اخته ذميما فكان من الغيرة من
امرهما ما كان وقتل قابيل اخاه كما ورد بنص القران بل قد توجد
الغيرة في غير بني ادم من الحيوانات فيغير الحيوان على انثاه وتحصل
المعاركات سيما والنسآء اكثر شبقا وغلمة ولا مروة تمنعهن
ولا همة وكان بعض الناس بلغ في الغيرة اعلاها وارتقى الى
منتهاها حتى ان بعضهم لا يرون النسآء الا كالامآء ومنهم
من هو كثير الغيرة حتى من الاخوان والابنآء بل منهم من بالغ في
الغيرة فصار يغار عليهن من الليل والنهار ومنهم من يغار من
عيون النرجس ان تراه كما قال الشاعر

من الكامل غضّى جفونك يا عيون النرجس   منك استحيت بان اقبّل مؤنسى
نام الحبيب تذبّلت وجناته   وعيونكنّ شواخص لم تنعس

وبالغ بعضهم حتى انه غار على المحبوب من نفسه ومن المحبوب ومن الزمان والمكان كما قال الشاعر

من الهزج اغار عليك من عينى ومنّى   ومنك ومن مكانك والزمان
ولو انّى وضعتك فى جفونى   الى يوم القيامة ما كفانى

ومثله قوله

من الهزج فلو امسى على تلفى مصرًّا   لقلت معذّبى بالله زدنى
ولا تسمح بوصلك لى فانّى   اغار عليك منك فكيف منى

وارتقى بعضهم الى اعلا المبالغة فغار من الضمير حيث قال

من الطويل اغار عليه من ضميرى فيا له   هوى رابنى حتى اتّهمت جوارحى

فتحيل الناس فى حراسة الحريم لما عندهم من داء الغيرة المقعد المقيم فما راوا احسن من حراسة انسان يكون مقطوع اعضاء التناسل وهو الذى تطمئنّ اليه النفوس فى العاجل والآجل واكثر الناس احتياجًا لذلك الملوك والامراء لان كل واحد منهم يجمع ما قدر عليه من النساء بلا مرا ولما كانت ملوك السودان اكثر الناس للنساء جمعا وابذلهم فى ذلك وسعًا كان يوجد عند الملك من الخصيان

عدد

عدد كثير وجم غفير فيوجد عند سلطان دارالفور نحو الالف و
اكثر وعليهم ملك منهم وهم له كالعساكر وهو الذى يرتب فى
بيت السلطان ما يلزم منهم للحراسة ويبقى عنده ما زاد الى وقت
الحاجة والخصيان مكرمون عند الاكابر خصوصا فى دار الفور فان
لهم فيها سطوة واى سطوة والكلمة النافذة والقوة ومقام ومقال
وحال لا يماثله حال حتى ان لهم هناك منصبين جليلين لا يتولاهما
غير خصى احدهما منصب الابوة والثانى منصب الباب واقول
ان منصب الباب غير مختص بدارالفور بل فى تونس وفى قسطنطينية
كذلك واصل الخصيان الذين فى دارفور من بلد روكا يخصونهم
هناك ويأتون بهم الى دارفور على سبيل الهدية لكنهم كثيرون
جدا ومنهم من يُخصى فى دارفور ولقد رايت حين كنت هناك
غلاما حسن الوجه جميل الصورة فى نحو الثمانية عشر خُصِى
فى دارفور وسببه انه كان من خَدَم السلطان محمد فضل
واحبّ غلمانه الذين ربوا فى البيت وكان له سعدٌ قائم تحبه
النساء لقضاء اوطارهن غير الخنا وكان اسمه سليمان تير فحسده
اقرانه ونمّوا عليه عند السلطان فغضب عليه واراد قتله
فاشار عليه بعض وزرائه بخصيه وقال له من حيث ان الامر

كذلك اقطع ما يوذيك به ولا تقتله فخصاه وعاش واجتمعت
عليه وكان ذا منصب جميل وابهة حسنة الا ان السلطان
كان لا يالفه لصلاحه ولما قيل فيه ولقد سمعت من ثقات انه
احبل امراة وظهر حملها فسئلت فقالت من سليمان تير فغضب
عليه السلطان وخصاه وبعد ان برئ اعطاه المراة وولدها
وقد ذكرنا سابقا ان الشيخ محمد كرًّا كان اتهم بما اتهم به سليمان
تير فخصى نفسه بيده دفعا للريب فحظي عند السلطان
وصار ما صار من امره **نكتة** مما وقع من عتوهم وتجبرهم
ان اجتمع بعض امراء الغور في محل انشراح ونزهة وانبساط
وكان فيهم خصيّ فجعلوا ياكلون ويشربون والخصي كواحد منهم
فاتفق ان واحدا من هولاء الامراء معه منديل من حرير فابرزه في
المجلس وقال هل تعلمون لماذا يصلح هذا المنديل فقال احدهم هو
يصلح لمسح العرق وقال الاخر هو يصلح للتجمل والزينة وقال اخر
هو يصلح لان يجعل على صدر انثى جميلة وطفق كل واحد يقول
ما بدا له وصاحب المنديل يقول لا ولما اعياهم امره قيل له قل
لنا انت لماذا يصلح فقال هذا يصلح للمسح بعد الجماع فاستحسنوا
قوله وسكتوا فما راعهم الا ان قام الخصيّ من بينهم صالتا

سيفه

سيفه يروم قتال صاحب المنديل وقال له أتُعرِّض بى الى مقطوع
لا بد من قتلك فقاموا اليه وتلطفوا به وهو لا يرجع عن قوله
حتى ارضوه بخيولهم كلها وكان الخصى للخليفة ابن السلطان تيراب
الذين اسلفنا ذكرهما ومن عتوّهم ان الشيخ محمد أُوَرْدِكّا كان
فى ايام السلطان تيراب فى منصب الابوة ومن عادة الاب ان
يتوجه لبلاده ومحل حكمه فى كل سنة فى فصل الربيع ويجمع اهل
البلاد فى يوم واحد ويعرض الرجال ويرى العساكر فاتفق انه جمعهم
فى يوم شديد الحر فى رحبة واسعة امام داره ولم يخرج لهم حتى
فاتت القائلة فخرج فى ابهته راكبا جواده والعبيد يظللونه من
حر الشمس ويجلبون له الهوا بالمراوح وخرج العسكر وصفوا
الناس صفوفا كدايرة وهو واقف ينظرهم وقد اشتد الحر وامر
الناس بالجثى على ركبهم وسلاحهم ودرقهم فى ايديهم فكان الانسان
منهم لا يستطيع الجثى لشدة حر الرمضا وسال العرق وكثر
القلق ومكث مليا لا يامر بامر ولا ينهى عن شئ وعطش
الناس واخذ منهم حر الشمس اكبر ماخذ وهم صابرون على
ما قضاه الله عليهم حتى مات بعضهم من العطش ولما راى
قلق العالم وتحيرهم اعجبه ذلك وضحك وقال بلسان الفور

ننّو ننّو ننّو يوما عبوسا قمطريرا وكررها مرتين او ثلاثا وكان
العالم المجتمع فى تلك الجلد كاى العرض ما ينوف عن زهاء عشرين
الفا وكان فيهم رجل صالح يقال له الشيخ حسن الكو فبرز وقال
باعلا صوته اسكت يا كافر ثلاثا فاخذه الرعب من الشيخ
المذكور وولى هاربا ورفع الشيخ يديه الى السمآء وقال اللهم ارحم
عبادك فما تم كلامه حتى ارتفع السحاب مثل الجبال ونزل المطر وتفرق
الناس وكان يوما مشهورا وبسبب غضب الشيخ انه مثّل
نفسه بالإله ومثّل عرض الناس عليه بعرضهم للحساب ومثّل
شدة حر الشمس بشدة حر يوم القيامة ولذلك استشهد بقوله
ننّو بالاية الكريمة ون بمعنى هذا وتو بمعنى يوم والباقى هو نص الاية
الكريمة **نادرة** حكى ان الشيخ محمد أورد كا المذكور كان قليل
العقل ومن قلة عقله انه لما تولى فى منصب الأبوّة امر السلطان
تيراب ان يقرا ليتعلم القراءة والكتابة فاحضر فقيها يعلمه
فكتب له حروف الهجآء وصار يقرء عليه فى كل يوم واستمر
على ذلك مدة ايام ثم انه ذات يوم طلب المصحف فجيء به له
فتصفحه ونظر فى السطور فراى واوا مفردة فعرفها وقال
للفقيه إنْاك واو يعنى اليس هذه واو فقال الفقيه نعم فقال قد

ختمت

ختمت القران وامر بذبح الذبائح وضرب الطبول وصنع
وليمة عظيمة فعُدّت هذه من طيبته وخفة عقله اهم
ولنرجع الى ما كنا بصدده فنقول ومع كثرة الخصيان في دار
السلطان لم يسلم من الدنس لان النسآء شياطين لا يغلبهن
غالب سيما وقد قام عذرهن بداعي كثرتهن في بيت السلطان
وهن في سن الشباب والراحة وحسن المأكل والملبس
فللشهوة فيهن نصيب اوفر ولما سُجن في هذا السجن
تحيلن على دخول الرجال بكل حيلة فمنهن من تصاحب من
الرجال من الخدمة الذين بالباب ومنهن من لها عجايز ياتينها
بالرجال بحيلة وهي ان العجوز تتامل في الفتيان حتى ترى الشاب
الجميل الذى لا نبات بعرضيه فتتحيل عليه بلطف حتى تاخذه
الى دارها ومن المعلوم ان شبان السودان لا يحلقون
رووسهم بل يوفرونها فتصير الوفرة لهم كشعر النسآء
وتجعل وفرته ظفاير كظفاير النسا وتلبسه حليا كحليهن
من عقود وتمائم ومدارع ومجبور وتلبسه دراعة وفردة وثوبا
بحيث لا يشك رائيه انه امراة وتدخله دار السلطان
بين نسآء فتى ولج ذهب خوفها وسلمته لمن ادخلته برسمها

فيمكث ما شاء الله ان يمكث فان ستر الله عليه خرج كما دخل
وان عثر عليه قتل ولا يعثر عليه الا باسباب منها ان تعلم امرة
احدى ضرائرها فتطلبه منها فتابى هى بخلا به او لا يرضى هو ان
يذهب فح يحملها الغيظ على ان تفتن عليه فيعثر عليه ومنها
ان السلطان يامر بالتفتيش فيحضر الطواشية كلهم ويفتش
معهم البيوت ومن وجدوه قتلوه ومنها انه يزهق من طول
المكث فيخرج وحده فيعثر عليه البوابون وهو خارج فيقتلونه
وان ستر الله عليه خرج واغلب من يدخل بالصفة التى ذكرناها
لا يخرج الا بالليل او مع نسآء كثيرة وهو فى وسطهن ومن العجائز
من يتحيل فى خروج النسآء من بيت السلطان بان يُنكِّرن
المراة منهن بثياب مِهنة قَذِرة ويخرجنها امام الناس جهارا
فاذا عثر بها البواب او احد الخصيان قيل له هذه امراة مسكينة
كانت دخلت معنا تلتمس معروفا ومنهن من يُدلِّس
عليها الخصيان وذلك لا يكون الا اذا علم الخصى انه ان عرض
انفتح له مَهوىً فقتل فيه فح يسكت قهرًا عنه وتدخل
المراة وتخرج وتدخل من شاءت ولم تخش باسا ومن ذلك
ما وقع من بعض محاظى السلطان صابون مع تُرْقُنْكْ محمد

ابن

ابن عمها وسنذكر ذلك في سيرة السلطان صابون سلطان
دار الوداي ان شاء الله تعالى واعلم ان نساء السودان كثيرات
الشبق والغلمة اكثر من غيرهن لامور الاول لفرط حرارة الاقليم
الثاني لكثرة مخالطتهن للرجال الثالث لعدم صونهن واستقرارهن
في البيوت فمن ذلك ترى المراة منهن لا تقنع بزوج ولا بخليل واحد
على حد قول الشاعر

من الهزج

ايا من ليس يرضيها خليل   ولا الفا خليل كل عام
اراك بقية من قوم موسى   فهم لا يصبرون على طعام

الرابع لعدم اقتصار ازواجهن عليهن لان الرجل منهم ان كان ذا
قدرة نكح من الحرائر اربعا وتسرّى بغيرهن من السراري وكل ذلك
على قدر حاله والنساء شقايق الرجال والنفس واحدة في الشهوة
والطبع خصوصا وعندهن من الغيرة ما لا مزيد عليه فيتحيلن
على الاجتماع بغير زوجهن وياخذ كل منهن في ضروب من الحيل
تتوصل بذلك الى مرغوبها وان كان لا يقدر على التسري طمح نظره
الى غير امراته فمتى علمت امراته بذلك حداها حادي الغيرة على الاجتماع
بغيره الخامس العادة لانهن من صغرهن قد تعودن الاجتماع
مع اترابهن من الذكور حتى كبرن على ذلك والعادة اذا استحكمت

النسآء اللائي خلفها وكرهتُ ان يشعر الناس بذلك فمشيت معها
محاذيا لها وهي بجانبي قابضة على فلما كنا في اثناء الطريق قالت انا
تعبت مع انه لم يكن بين بيت اخيها وبيتها اكثر من مائة خطوة وقد
بلغني انها قبل اتصالها بالسلطان كانت من افل الجواري المبتذلات
للمهْنة فكانت تاتي بالماء والحطب على راسها من الخلاء والآن تتعب
من مشي مائة خطوة قال فقلت لها من كثرة ما عانيت في هذا اليوم
قال ثم دخلنا الدار والخصيان واقفون على الباب لا يجترى احد منهم
ان يتكلم وقد عرفوني معها فلما وصلتْ الى حجرتها دخلت فدخلت
معها فاطلقتْ يدي فجلستُ على فراش هناك وانطرحتْ هي
على سريرها تتقلب يمنة ويسرة وتهز منجورها بيديها ثم قالت
لي ان بي صداعا فقلت لها لا باس عليك قالت فاقرا علي عليه
لعله يذهب فجئت اليها وقد علمتُ ان ذلك حيلة منها المقصودها
وان الكبر يمنعها ان تقول لي هَيْتَ لك مع ان جميع من كان معها
من النسآء ذهب ولم يبق الا انا وهي وهناك جارية جالسة
خارج الباب ان احتاجت الى شيء دعتها له قال فلما اكثرت من
التقلب ولم تر مني ميلا اليها دعتني لاقرأ على صدغها فحين
وضعتُ يدي على صدغها وابتدات القراءة ارتعشتْ تحت

يدي

يدي وصارت تضطرب اضطراب المذبوح وتتاوّه فشممت منها
رائحة الطيب فانعشتني واخذني ما ياخذ الرجل من النشاط ففهمت
ان اعلوها فادركني خوف من ابنها السلطان لانه متى وجد مع امه
احدا قتله وقد تكرر منه ذلك مرارا ويهجم عليها بغير استئذان لكنها
قد رصدت له اناسا يخبرونها بمجيئه فان كان عندها احد تحيلت
في اخراجه قال وخفت ايضا لاني كنت سمعت انها مصابة بداء
الحصر وهو المعبر به عند الحكماء بالسيلان الابيض اعني ان كل من
واقعها ابتلى به سيما وقد شاهدت من مرض به منها قال فحين
ادركني الخوف من هاتين الجهتين برد ما بي قليلا وكانت قد اطلعت
على حالي اولا فلما رات مني الفتور ظنت اني جائع فدعت بجارية لها
اسمها ذِراع القادر وقالت لها ائت بطعام جميل فاتت الجارية
باناءَين في احدها حمام مقلوّ في السمن وفي الاخر فطير بالعسل
وقالت لي كل قال فابيت واعتذرت باني غير جائع فحلفت عليّ
فتناولت من الطعام واعجبني وكنت في تلك الليلة محتاجا وبينما
انا اكل اذ سمعت حركات عنيفة وكركبة وجاء الخدم يهرعون ويقولون
ان السلطان قد اتى فقالت خذوا هذا واخرجوه من الباب الثاني
فاخذني الجوار واسرعوا في المشي حتى اخرجوني من الزريبة ومن لطف

الله تعالى ان السلطان لم يدخل عليها من الباب الذى عادته الدخول منه بل الى الباب المذكور واوقف عليه حرسا ودار حتى اتى للباب الذى خرجت منه لانى بمجرد خروجى وانفصالى عن الباب رايت نواصى الخيل قد اقبلت فوقفت على بعد ارى ما يكون فسمعته يقول للبوابين من خرج الآن من هنا فقالوا لا احد فقال احد الفرسان انا رايت انسانا انفصل من هنا واظنه كان هنا فقال جميعهم ما راينا احدا كل ذلك وانا واقف اسمع وحمدت الله الذى اخرجنى قبل وصولهم والا لو وصلوا الى الباب قبل خروجى كنت اول قتيل فحين سمعت منه هذه القصة تعجبت غاية العجب وعلمت ان الخصيان لا ينفعون الا مع عدم غرض النسآء ومتى كان للمراة غرض لا يقدر الخصى ان يصنع شيا فانظر يا اخى كيف وقعت هذه القصة من هذه المراة مع انها ام ملك ولو وقعت من غيرها لكان للكلام فيها مجال فكيف بهذه وبالجملة فالنسآء لا خير فيهن الا من حفظها الله ورحم الله من قال

من الطويل

فيهن من تسوى ثمانين بكرة   وفيهن من تغلو بجلد حواره

وفيهن من تاتى الفتى وهو معسر   فيضحى وكل الخير فى صحن داره

وفيهن من تاتى الفتى وهو مُوسِرٌ   فيصبح لم يملك عليق حماره

وفيهن

وفيهن من لم يستر الله عرضها   اذا غاب عنها الزوج راحت لجاره
فلا رحم الرحمن خائنة النسآء   واحرق كل الخائنات بناره

وليعلم ان كل مصيبة تقع اصلها النسآء فكم بسببهن قتلت ملوك وخربت ممالك وسفكت دماء فهن لنا شياطين على حد قول الشاعر

ان النسآء شياطين خلقن لنا   نعوذ بالله من شر الشياطين

غريبة مقتضى انهم جعلوا الخصيان لصيانة الحريم عن الرجال ان الخصيان امنآء عليهن من طرف السيد والامر بخلاف ذلك فقد راينا منهم من عنده عدة نسآء يتمتع بهن واول من رايت عنده ذلك محمد كرا الذى اسلفنا ذكره وحكى لى من أثق به انه لما رأى الغلب عليه فى قتال السلطان محمد فضل كان عنده امراة من اجل النسآء فذبحها بالليل قبل موته لئلا يحظى بها غيره وهذه نهاية الغيرة ورايت فى دار فور وفى الوادى كثيرا من الخصيان كل منهم حائز نسآء عديدة وسألت من اهل الخبرة ما يصنعون بهن وهم كهن من حيث ان اعضاء التناسل مفقودة فقيل لى انهم يساحقون النسآء ويشتد بهم الحال وقت المساحقة حتى انه يعض الانثى وقت الانزال عضا مولما وكنت اذ ذاك لجهلى بعلم الطب أصدق ذلك لكن الآن لا

اصدقه لان وظيفة العضو قد فقدت بفقده والعلة تدور مع
المعلول وجودا وعدما وكنت سالت اهل الخبرة عن كيفية
الخصى فاخبرنى بعضهم انه يوتى بمن يراد الفعل به فيضبط ضبطا
جيدا وتمسك المذاكير وتستاصل بموسى حاد ويوضع فى ثقب
مجرى البول انبوبة صغيرة من صفيح لئلا ينسد ويكون قد
سخن السمن على النار تسخينا جيدا حتى غلى ثم يكوى به محل القطع
وبعد ان يكون محل القطع جرحا حديديا ينقلب جرحا ناريا ثم
يداوى بالتغيير عليه بالتفتيك والاربطة حتى يشفى او يموت ولا
يشفى منه الا القليل فان قيل ان فى هذا تعذيبا للحيوان
الناطق وقطعا للتناسل المامور بكثرته شرعا فهو حرام قلت
نعم قد صرّح غير واحد من العلماء بحرمته خصوصا جلال الدين
السيوطى رحمه الله فانه صرح بالتحريم فى كتابه الذى الفه فى حرمة
خدمة الخصيان لضريح سيد ولد عدنان لكن الحرمة على
الفاعل وانما يخصى الخصيان قوم من المجوس وياتون بهم الى
بلاد الاسلام فيبيعونهم ويهادون بهم ولا يُخصَى على يد
المسلمين منهم الا القليل النادر واما استخدامهم بعد الخصى
فلا ضرر فيه بل فيه ثواب عظيم لانهم لو لم يستخدموا لحصل

لهم

لهم الضرر من وجهين الاول مما وقع عليهم من الخصى الموجب
لفقد اللذة العظيمة وقطع التناسل والثاني من ضيق المعيشة
فان قيل اذا كان الامرآء كالملوك ومن يجري مجراهم يجمعون كثيرا من
النسآء في دورهم وكلهن شابات ومن المعلوم ان الغيرة موجودة
فيهن كما هي موجودة في الرجال لانهن شقائقهم فكيف يعاشرن
بعضهن خصوصا اذا احب الرجل واحدة منهن واعرض عن غيرها
قلتُ ان العداوة واقعة بينهن على قدر احوالهن فكل منهن تتمنى
ان يخلُ لها وجه زوجها ولا يالون سواها لكن لما كُنّ تحت قهر
الزوج خصوصا ان كان ملكا يُخفين البغضآء ويظهرن المودة
وهذه عادتهن في اخفآء ما يُبطنّ واظهار ضده ولا يظهر ما
اخفت المراة منهن الا اذا زاد خوفها وملكت رُشْدَها وحتى تظهر
ماكان كامنا في صدرها فان قيل ما رتبة نسآء السودان في
الجمال قلتُ اعلم ان نسآء السودان على اقسام في ذلك ومن
المعلوم ان كل قبيلة يوجد فيها الجميل والقبيح لكن هناك قبائل
يوجد فيها الجمال اكثر واخرى يوجد فيها التشوه اكثر واقل قبيلة
في دار الفور بالجمال هم التموركه لانهم وحشيون اهل جبال وسوء
معاش وكذا الكراكريت وقد ذكرنا سابقا ان قبيلة البرتي

والميدوب اجمل نسآء من غيرهما ويليهما قبيلة البيقو والبرقو
والميمة والتنجور واشوه قبائل الفور نسآء اعجام الفور ويليهم
الداجو والبرقد والمساليط كما ان فى دار الواداى قبيلتى أب
سنون وملنقا ومننقا اجمل الواداى نسآء ويليهم الكوكة
والميمة وكشمرة واقبحها نسآء التاما ويليها البرقد والمساليط
والداجو ولا يقدر الانسان ان يساوى بين جمال اهل السودان
وغيرهم من اهل بلادنا لاختلاف اللون **تنبيه** اجمل اهل
بلاد السودان عموما من مشرقها لمغربها نسآء عفنو ويليهم
باقرمة وبرنو وسنار واوسطهم الواداى ويليهم الفور واقبحهم
التبو والكتكو وبالجملة فالجمال يوجد فى كل قبيلة لكن قد يقل
فى واحدة ويكثر فى اخرى وسبحان من خص من شآء بما شآء
لا رب غيره ولا معبود سواه فما كل اسمر مسكا ولا كل احمر
ياقوتا ولا كل اسود زبادا ولا كل لمّاع ماسا وان شئت
قلت ما كل اسود فحما ولا كل احمر لحما ولا كل ابيض جيرا فقد
يوجد فى الاسود والاسمر من الجمال ما لا يوجد فى الابيض
الشاهق وكانى بقائل يقول وهل تستوى الظلمات والنور
او الظل والحرور لكن من الناس من تعشق فى السمر حيث قال

وفى

من الطويل وفي السمر معنًى لو تأملت حسنه ... لما عشقت عيناك بيضا ولا حمرا

واحب بعضهم السواد وبالغ حتى قال

من الوافر أُحِبُّ لاجلها السودان حتى ... أُحِبّ لاجلها سود الكلاب

وكنت قديما مُغرَمًا بهذا المذهب فقلت

من الهزج يلوموني على حبي لسودا ... وما علموا السيادة في السواد

فقلت لهم دعوني لا تلوموا ... فان السود سادوا بالسواد

وجُلّ البيض لولا الحاجبات ... وخالُ الخدِّ حالِكُ في السواد

لما عُشِقوا ولا نُظِروا بعين ... ولكنّ الفضيلة في السواد

وفي الاول السواد بمعنى السودد وفي الثاني بمعنى المال وفي الثالث بمعنى السواد الحقيقي وفي الرابع العالم الكثير وقال بعضهم

من البسيط قالوا تعشقتها سودا فقلت لهم ... لونُ الغوالي ولون المسك والعُودِ

إني امرءٌ ليس حبُّ البيض مكرُمةً ... عندي ولو خلت الدنيا من السُّودِ

وقال الفاضل الشيخ عبد الرحمن الصفتي

من الكامل بالروح اسمر نُقْطةٌ من لونه ... تكْسُو البياض من الجمال شعارا

ولو استقلّ من البياض بمثلها ... لاعتاض من ثوب الملاحة عارا

ما من سُلافته سكرتُ وانما ... تركتْ سوالفُهُ العقولَ حيارا

حسد المحاسن بعضها حتى اشتهت ... كلُّ المحاسن أن تكون عِذارا

وكنت عارضته بقصيدة منها قولي

الحقُّ ابيض دَعْ مقالةَ معشرٍ قد عاندوا واستكبروا استكبارا

من الرجز والكامل احق

وقال الصفتي ايضا

قالوا تعشقتَها سمراً فقلتُ لهم لون الغوالي ولون المسك والحدقِ

وما تركتُ بياض البيض عن غلطٍ إنّي من الشيبِ والاكفانِ في فرقِ

من البسيط

وتغالى بعضهم في مدح البياض وذم السواد بكلام يطول وقال من عاند في ذلك عميتْ بصيرتُه عن قوله تعالى فمحونا ايةَ الليل وجعلنا ايةَ النهار مُبْصِرةً ولكلٍّ وجهةٌ هو مولّيها وللناس فيما يعشقون مذاهب

فصل في امراض السودان والماكولات وصحة الاقاليم والصيد وبعض الحيوانات

يجب على العبد ان يعلم ان الله خص كل اقليم بما لا يوجد في غيره وجعل في كل قبيلة خاصية لا توجد في غيرها ولذا اذا تغرب انسان من بلده لاخرى يكون هواؤها مخالف لهواء بلده تحصل له مشقات فيمرض حين يتغير عليه الهواء فربما مات وان لم يمت يطول مرضه ولا يصح جسمه حتى يعتاد بهواء البلد التي سكن فيها بعد طول المدة ولما كان الامر كذلك كان الاولاد الذين يتناسلون من ام واب فوراويين مثلا اطول اعمارا واقوى

بنية

بنيةً ولذلك ترى الرجل له عشرة من الولد واكثر أقوياآء أصحاآء
وكذا اعراب البادية هناك لا يموت الرجل منهم حتى يرى من ولده
عددا كثيرا فلو انعكس الامر بان تزوج فوراوى عربية اوعربى فوراوية
ترى سُلالته ضعيفة نحيفة لا يعيش منها الا ما قل وندر
وهذا مما يدل على ان فى البلد والجنس خاصية لا توجد فى غيرها
لان كل ولد يوجد من ابوين من نوع واحد وبلد واحد كان اقوى
بِنيةً واعدل صحةً وترى من انعكس فيه الامر ضعيفا فاسد
اللون نحيفا ورايتُهم فى دار فور ودار واداى يستعينون على
صحة الطِفل باخذ الدم فياخذون الطفل حين يستكمل اربعين
يوما من ولادته ويشرطون بطنه من الجهتين اعنى اليمنى
واليسرى تشاريط كثيرة وينزل منه دم غزير وحين يستكمل
ثلاثة اشهر يفعلون به ذلك وان لم يُفعَل به ربما هاج عليه
الدم فقتله واكثر امراض الاطفال عندهم المرض المسمى ابو لِسان
وهو داآء يعترى الطفلَ فى غلصمته اى عند اللهات فتحدث له فيها
زائدة كلسان العصفور عند اصل
اللسان فيعالجونها بالقطع وصورة
الالة التى يقطعونها بها هــــكذا

وهي حديدة مركبة في يد من خشب ومعها قطعة خشبة ناعمة
فيدخل الطبيب الخشبة اولا حتى يوصلها الى المحل الذي فيه
الزائدة ويكون العليل قد ضبط ضبطا جيدا ثم يدخل الحديدة حتى
يصل راسها المعوج الى اصل الزائدة من الجهة الاخرى وتبقى الزائدة
بين الحديدة والخشبة ويتكأ عليهما معا فتنقطع الزائدة بينهما
فيخرج الحديدة والخشبة معا فيرى على الخشبة قطعة لحم صغيرة
ويكون قد استحضر على قليل من النطرون وسحق جيدا بين حجرين ثم
يبل الرجل اصبعه ويجعله على المسحوق فيلتصق به ويدخله في فم
العليل بعد ان يكون قد ادخل الخشبة ان كان الطفل قد أثغر لكي
لا يوصلها الى محل الالم بل حتى تتجاوز اسنان العليل ثم يدعك محل
القطع بالمسحوق الذي على اصبعه دعكا جيدا فيبرء العليل بذلك
واذا ترك ابو اللسان المذكور أنحل جسم الطفل ونشأ عنه اسهال
عجيب فيكون سببا في قتله ويليه مرض اخر يسمى عندهم أم صُقُع
ولا يعتري الا الاطفال ايضا وهي استرخاء يقع في اللهاة وبثرة تحدث
فيها فلا يشرب العليل اللبن ولا ياكل ويصفرلونه فيدعون
له بالطبيب فياتي ويسحق النطرون كما تقدم ويضع الخشبة
وحدها في فم العليل ويدخل اصبعه فيرفع لهاته ويفقأ

البثرة

البثرة التي توجد فينزل منها دم وقيح ثم يغمس اصبعه مبلولا
بريقه في النطرون ويحك به البثرة واللهاة لكن يفعل ذلك ثلاثة
ايام فيبرء العليل وقد يقع الاسهال المفرط لكن ينظر في الطفل فان
كان ابن سنين ووجدوا المقعدة تبرز من محلها حكوها بشققة
حتى فقئوا ما فيها من البثور وينزل منها دم كثير وقللوا ما كله
فيبرأ وان كان صغيرا كابن سبعة اشهر او ثمانية ونحوها كووه
حول السرة اربع كيات هكذا
اعني تكون السرة في الوسط ويكون الكي اعلاها واسفلها ويمنها
وايسرها وقد يعتري الاطفال المرض المسمى بالغُزَيِّل وهو مرض
ناشئ عن اصابة في المخ يترك الطفل يعبث بيديه ورجليه على
غير الحالة المالوفة واهل مصر كاهل تونس يقولون انه من الجان
حين يُترك الصبي وحده في محل يعتريه هذا الحادث فيقتل في
مصر وتونس وبلاد العرب اطفالا كثيرة فاما اهل مصر يستعينون
في علاجه بالكتابات لاعتقادهم انه من الجان فياتون بمن له
شهرة في الرُقَى والعزائم والاقسام فيكتب العليل ويَرقِي
وهذا قد يصادف ان العليل يخف الله وقد لا ينجع واما اهل
السودان فيعالجونه بالكي في الجبهة بان ياتوا بلب قصبة

من قصب الدخن ويلامسون بها النار حتى تاخذ فيها وتبقى لها زهرة كزهرة الشمعة التي تُقَطّ فيكوون العليل بها فيبرء لوقته ومن امراض الاطفال هناك أبُو صَفَّير وهو مرض يعتري الطفل فيُفسِد لونه ويصفر صفرة ظاهرة وهو المسمى في كتب الطب باليرقان الاصفر وهناك امراض عامة الصغيرُ والكبيرُ فيها على حد سواء فمنها الوِرْدَة وهي الحُمَّى ولا يكاد ينجو منها احد في كل سنة وتتسلطن عندهم في ايام الخريف واول الربيع المسمى عندهم بالدَرَتّ وهو وقت خريفنا وتتنوع فمنها حمى الوِرْدِ التي تاتي في كل يوم في ساعة معينة ومنها حمى الغِبّ وهي التي تاتي يوما ويغيب يوما ومنها حمى التثليث وهي التي تاتي بعد كل يومين ومنها حمى الربْع وهي التي تاتي بعد كل ثلاثة ايام وهي اقوى انواع الحمى واقل منها بدرجة حمى التثليث ومنها الحمى المُطْبِقة وهي التي لا ترتفع عن صاحبها الا بالشفاء او بالموت وتسمى في مصر بالنُوشة وهي في عرف الاطباء الآن التهاب معدىّ معوى وكلها عند اهل السودان تسمى بالوِرْدَة لا يميزون فيها ومن الامراض العامة الوبائية عندهم الجُدَرِي وهو عندهم كالطاعون في مصر ويشتد خوفهم منه لانه قَتّال جدا وكل من مرض به منهم

اخرجوه

اخرجوه من البلد الى محل اخر فى الخلاء وبنوا له عشة تسمى عندهم بالكُرْبَابَة وتركوا عنده من يخدمه من يكون قد مرض بالجدرى وكلما مرض اخر نقلوه اليه وهكذا وهذا هو الكُرنْتِينَة بعينها

تنبيه اخوفُ اهل السودان من الجدرى اعراب باديتهم لان الجدرى ان دخل فى حى من احيائهم افناه فلذلك تراهم اخوف الناس منه ولقد اخبرنى رجل من اكابر البِرْقِد يقال له عثمان وَدْ عَلُّو انه كان مرض بالجدرى وقاسى ما قاسى ثم شفاه الله فلما قشر جُدَرِيُّهُ وقبل ان يندمل صار يوذيه الذباب فكان يتلثم لاجل ذلك قال بينما انا ذات يوم متلثم واقف على باب دارى اذ رايت اعرابيا قد جاء يمشى مشية الخائف فلما رآنى اقبل علىّ حتى دنا منى وسلم علىّ ثم قال أَمَانَةٌ عليك هل فى حلتكم هذه جدرى فقلت كفانا الله شر الامانة ورفعت اللثام عن وجهى فحين رآنى صاح صيحة عظيمة وسقط الى الارض فجاء لصيحته اخوانه من الاعراب فرفعوه وذهبوا به وكنت انا حين جاء اخوانه فررت لئلا يقتلونى فبلغنى بعد ذلك انه مات بعد ثلاثة ايام ومن خرافات اهل السودان انهم يقولون ان الجدرى حيوان لا يشاهد الا اثره يعلق بالانسان فيقتله وسمعت من كثير منهم انه راى اثره

ويتواطئون على ذلك ويصدق بعضهم بعضا وسالتهم من اثره
كيف هو فقال اثره نكت مستديرة متوالية هكذا ...... على
سطر واحد فكل بيت اصبحنا ورأينا ذلك الاثر دخل فيه نجد اهله
قد اصيبوا عجيبة اخبرني القاضي الدليل قاضي القضاة بمملكة
الواداي حين جاء الى القاهرة ١٢٥٧ سنة ان المرض المسمى بالهيضة
واهل مصر سموه الهوا الاصفر الذى كان اتى الى مصر من الحجاز
١٢٤٧ سنة ذهب الى بلادهم واخربها وقتل منها عالما كثيرا وكنا نظن
انه لا يصل الى هناك فسبحان الفعال لما يريد لا معقب لحكمه
ومن الامراض العامة الكثيرة الحصول عندهم المرض الافرنجي ويسمى
عندهم بالجقّيل وكثرته بينهم لكثرة الفساد وليس له عندهم
دواء الا الكي وصفة هذا الكي انهم يأتون بحديدة وهي المسماة عندهم
بالحشّاشة وهذه الحديدة مستطيلة مفرطحة عرضها بنحو
قيراطين وطولها بنحو خمسة قراريط او ستة فيحموها بالنار حتى
تحمر ولها صورة انبوبة مركبة في وسطها عرضا فاذا احمرت الحديدة
اخرجوها من النار وصبوا على الانبوبة ماء قليلا ثم يدخلون في
تلك الانبوبة عودا يرفعونها به ويكوون به المحل الذى ظهر فيه
الداء من غير استثناء ومتى ما شهد هذا الداء على احد وله اهل

كووه

كووه ولو قهراعنه وبهذه المعالجة تشفاه الله باقرب زمن وهذا
المرض في كُرْدُفَال اكثر من دار فور ودار فور اكثر من الوادای حتى انه في
الوادای لا يسمع بانسان مرض بهذا الداء الا نادرًا وسبب كثرته
في كردفال ان من اصيب منهم به يعتقد انه كلما اعدا غيره به يخف
عنه ماهو فيه ولم يدر انه لو اعدا مائة الف لم ينقص مما هو فيه
شئ فترى المريض منهم سواء كان امراة اورجلا يعدي خلقا كثيرا
فلذلك كثر عندهم وفي دار فور وان كان كثيرًا لكنه لما كان منهم من
لا يستحي ان يراه الناس مريضا فيعدي غيره وهو قليل ومنهم من
يستحي من ذلك فيجلس في بيته حتى يبرء وهو كثير فقل عندهم واما
في الوادای كل من مرض به لزم محله حتى يبرء فكان وجوده نادرًا ومنه
الحَصَر وهو السيلان الابيض ومثله أُلهَبُوب وهو ريح ينعقد
في البطن السفلى من المراة او الرجل واكثر ما يوجد في النسآء
ويقولون انهما مُعْدِيَانِ ومن الامراض الفاشية عندهم الجُذام
وهو تاكُلُ مارنِ الانف واطراف الاصابع وكذلك البَرَص الا انه
اقل ومنها ابو الصفوف وهو ذات الجَنْب وعلاجه عندهم
بالتشريط على الاضلاع فيشرطون اربعة صفوف او خمسة كل
صف اربع شرطات او خمس هكــــذا

ويدعكون المحل بعد التشريط بمسحوق النطرون فينزل من الفتحات
دم كثير فيبرأ المصاب ومنها الفرنديت وهو كثير عندهم ويسمى
في مصر بالفرتيت وهو ورم يحدث في الساق او اليد او في محل اخر
فيتكون فيه قيح فيُبعَج ويخرج من محل البعج خيط ابيض طويل اشبه
بالعصب الا انه غير متين كالعصب والظاهر انه حيوان لانه
يخرج ويدخل وعلاجه البعج والتدفية بورق العُشَر المدهون بالسمن
المسخن على النار ومن الامراض العضوية عندهم السوتيّة وهي
مرض يخص الركبة وهو ورم كالفرنديت الا انه لا يظهر له خيط
ويتكون داخله قيح كثير ولا يبرأ حتى يبعج المحل بعجا غائرا ثلاثة
صفوف في كل صف ثلاث بعجات او اربع فينزل منها قيح كثير
وبالتدهين بالسمن والتدفية يبرأ العليل ومنها الذقري
وهو مرض يخص الساق على طولها وهو ورم كورم السوتية الا ان
هذا يمتد على قصبة الساق وذاك مقصور على الركبة وعلاجه
كعلاج السوتية الا ان البعج يكون صفّين من وحشيّة الساق
وصفين من إنسيّتها ومن الامراض عندهم التي تصيب الاطفال
الحصبا والبُرجُك وهي القرمزية ومن الامراض العلة وجع
الطحال اعني كبره والاستسقاء بانواعه واغلب الامراض

عندهم

عندهم الا الطاعون والسل فلا يوجدان وان وجد السل فنادر واما الجراحة فمتقدمة بينهم لكثرة الفتن والحروب فتراهم يخيطون الجروح حتى ان من خرجت امعاؤه يردونها ويخيطون عليها ويبرء وكذا يداوون الشجاج بانواع وهناك ناس يسمون الشلاكين يعملون عملية الكترانا من العين مع المهارة التامة ولكن لا اعلم كيفية العملية ولا الالات المستعملة عندهم لذلك واعرف منهم رجلا شهيرا يسمى الحاج نور غير انهم لا يستعملون البتر ولا القطع ولا الاستئصال وامراض الاذرة قليلة عندهم هذا ما انتهى اليه علمي في ذلك واطباؤهم مسنوهم فلا تجد فيهم طبيبا شابا الا نادرا ومن برع في صناعة الطب تهرع اليه الناس ولو من مسافة ايام ويكرمونه اكراما تاما واكثر علاجهم التشريط والكي ولا يستعملون من الباطن الا التمرهندي والعسل النحل والسمن البقري بحيبة اخبرني شيخي الفقيه مدني الفوتاوي عليه سحائب الرحمة انه كان اصيب بالنقرس الذي هو وجع المفاصل وهو المسمى في كتب الطب بداء الملوك وان اعرابيا من البادية وصف له الوقوف في السمن البقري فقال امرت باحضار كثير من السمن البقري وسخن على النار حتى ذاب

ذوبانا تاما فنزل عن النار وترك الى ان هدأ وصار يتحمله الانسان
وربط لي حبل في سقف البيت وصارت طرفاه بيدي وأفرغ السمن
في قصعة كبيرة وغسلت رجليّ ووقفت في السمن ومسكت
الحبل المذكور فكان معينا لي على طول الوقوف قال فلم اشعر الا والسمن
يسري في جسمي كسريان السم غير انه اولا صعد الى ساقيّ ثم الى
ركبتيّ ثم الى فخذيّ ثم سرى في النصف الاعلا فصرت أحسّ به
يصعد في جسمي شيا فشيا حتى وصل الى عنقي فاخذني دوار وغشي
عليّ وكدت اسقط فتلقاني الخدم ودثروني في ثيابي واضجعوني
على فراشي وانا لا اشعر بشي من ذلك فقلت نهاري كله وليلي كذلك
ثم افقت عند الصباح وانا ناشط كانما حللت من عقال ورايت
انه خرج مني عرق كثير كريه الرايحة وبذلك شفاني الله واخبرني غير
واحد ان اهل البادية كذا يفعلون حتى بلغ هذا الخبر مبلغ التواتر
ولكونهم يتعاطون السحر كثيرا يتداوون بالكتابة وعندهم اناس
مشهورون بذلك واكثرهم شهرة فلانًا وكيفية الولادة عندهم
انه اذا اخذ المراة الطلق اتاها بعض العجائز من النساء وربطوا لها
حبلا في سقف البيت فتمسكه وهي واقفة وتعتمد عليه كلما
اشتد بها الوجع وتفرج بين رجليها حتى يسقط المولود فتتلقاه

احدى

احدى النسآء الحاضرات وتقطع سُرَّةُ وتَضجعن النُفَسَآء على
فراشها فاذا تم للولد اسبوع عملوا له عقيقة كل انسان على
قدر حاله فتجتمع النساء عند النفساء والرجال مع الرجل ويكون قد
ذبح شاة فتاكل النسآء والرجال لحم الشاة ويسمون المولودَ ثم
يتفرقون ويطعمون النفساء في ذلك الاسبوع عند الصباح المديدة
وهي الحريرة بلغة اهل مصر والحسُوّ بلغة اهل المغرب والكَرِيمْ
بلغة الافرنج وعند الظهر لحم دُجَاجة ان كانوا اغنياء فان كانوا
فقراء المديدة ايض وهي مركبة من دقيق الدُخْن ودقيق التَبَلْدِي
او الهجليج فان كانت من الهجليج كان بها مرار وان كانت من التبلدي
كانت حامضة فان تم للمولود شهران اوثلاثة حملته امه على
ظهرها وربطته بثوبها ويسمي ذلك الحمل قُوقُو فتحمله كذلك
وتذهب الى شؤونها من زرع وماء وحطب حتى يشب
ومن عادتهن انهن يُرضعن اولادهن حولين فا قل كالاسلاميين
ولا يُزَوِّجْنَ بناتِهم الا اذا بلغت البنت الحُلُمَ وعرفت منفعة
الرجل ولقد مكثتُ عندهم سبع سنين ما رايت عروسا
تزوجت قبل بلوغها وانْ عقِدَ عقدها قبل البلوغ لا يبنى
بها الرجل الا بعد بلوغها لان عادتهم ان الرجل يملك ويترك

مدة فمنهم من لا يبني بعرسه الا بعد سنتين ومنهم بعد ثلاث والمستعجل منهم يبني بعد سنة لانهم لا يملكون عليها الا إذا ناهزت البلوغ هذا في البكر واما الثيّب فيبني بها الرجل يوم ملاكه او غدِهِ واما قراة القران فمتاخرة جدا لانهم لا يقرؤون القران الا بالليل في المكاتب فيكون الصبي في النهار سارحا بماشيته من غنم او بقر وبعد ان يرجع في المسآء ياخذ لوحه ويذهب الى المكتب وعلى كل صبي الاتيان بالحطب يوما فيقيدون النار ويحيطون بها فيستضيئون بضوئها وعلى ذلك الضوء يحفظون ويكتبون وحفظهم غير جيد فلذلك قل من يحفظ القران منهم حفظا جيدا واما قراة العلوم فمتاخرة ايضا لعدم العلمآء واكثر قراتهم للفقه والتوحيد واما المعقول فقليل جدا ومع قلته لا يقرؤون الا قليلا من النحو واما المعاني والبيان والبديع والمنطق والعروض فلا يعرفون منه الا الاسم ومن يعرفه منهم يكون قد تغرب لبلد اخر كمصر وتلقاه فيه فاذا رجع الى بلده كان هو العالم واكثر ما يعانونه الروحاني والسحر ويسمون علم السحر علم الطب ومن مهر فيه سمي طَبَّابِي وهذا العلم يوجد عند الفُلّان اكثر من غيرهم وقد نذكر ما وقع من الفقيه مالك في

اولاد

اولاد السلاطين وسحره اياهم حتى رجعوا الى الفاشر بعدما
هربوا منه وما وقع من الفقيه تمرو تنبيه اعلم ان دارفور
وان كانت كلها اقليما واحدا ومملكة واحدة هواؤها مختلف
واصحها القوز فلذلك تجد من فيه من اعراب البادية اقوياء
اجرياء لسلامة ارضه من العفونات والوخم لكن ماؤه قليل فقد
ذكرنا سابقا ان منهم من بينه وبين الماء مسافة يومين واكثر
ويليه فى الصحة بلاد الزغاوة المسماة بدار الريح فلذلك تجد الزغاوة
والبديات القاطنين بها فى غاية القوة وسلامة الاعضاء
واردها هواء الصعيد لكثرة مياهها خصوصا جبل مرة ووخمها
وعفونتها لكن لا تكون ارضه وخيمة الاعلى من لم يعتدها واما
المولودون فيها تراهم اصحاء اقوياء لكن عندهم الحمى كثيرة واردى
من الصعيد المدن واقواها الفاشر ويليه كوبية وكبكابية
واما سلا وفنقرو وبيكا وشالا فاوخم الاماكن كلها لكثرة الرطوبة
عندهم واستمرار الامطار لانها لا تنقطع فى السنة الا مدة شهرين
او ثلاثة ومع ما فى دار الفور مما ذكرناه من الامراض كل منهم يحب
وطنه ويالف سكنه واذا تحول الى غيره يبكى عليه ويتمنى الرجوع
اليه وهذه غريزة جبل عليها الانسان وانطبع عليها الجنان

من قديم الزمان فلذلك كان المصطفى صلعم يحن الى مكة حنين
المشتاق ولولا ان الله امره بسكنى المدينة لاقام بمكة بعد الفتح
باتفاق لكن من حيث ان امراض بلاد السودان لم تكن وبائية قتالة
كانت اعمارهم اطول من اعمار غيرهم فلذلك تجد فيهم المسنين حتى تجد
من تجاوز المائة وعشرين واما ابناء السبعين والثمانين والتسعين
فلا يكاد ان يحصرهم العد ولا يوقف لكثرتهم على حد هذا مع ما
ابتليوا به من الفتن والحروب والمحن لان كل قبيلتين منهم بينهما
دم مسفوك وثار مطالب به غير متروك كما بين البرتي والزيادية
وبني عمران والميمة وفلاتا والمسااليط والمسيرية الحمر والرزيقات
والمجانين وبني جرار والزغاوة والحاميد مما لا يكاد يحصى هذا
خلاف فتن الملوك وخلاف ما يصير من القتل في مجلس الشراب
او في المعاندة على الكواعب الاتراب ولولا ذلك لكانوا في الكثرة
كياجوج وماجوج وضاق بهم الفضاء والمروج فان قلت اذا كان
الامر كما ذكر فما بال النساء العجايز قليلة مع انهن لا يقاتلن
ولا يحضرن حروبا فلو كان ما ذكر صحيحا في عدم كثرة الرجال كان
وجود النسا المسنات كثيرا مع انهن مثلهم او اقل قلت لما
كن يجزن على من قتل لهن من الرجال ويتحملن بعدهم الضر والنكال

كن

كن عرضة للامراض المردية الجالبة للمنية بسبب ما يحصل
لهن من الانفعالات النفسانية ومع ذلك هن اكثر من الرجال
المسنين ولقد كنت في بلدة اقل عمارا وسكانا وهو ابو الجدول
ورايت فيها من المسنين والمسنات كثيرا وكلما دخلت حلة
ارى فيها اكثر من ذلك مع ان معيشتهم في غاية الانحطاط لو تناول
منها احد من اهل بلادنا مرة واحدة لذهب منه النشاط لان
اكثر مآكلهم اما مرّة او متعفنة ويرون ان هذه هي النعمة المستحسنة
وكنت حين حللت ببلادهم ولم اعتد باعتيادهم صنعوا في الدار
وَنِكة ودعوني ان اكل منها فابيت ولما سمع والدي بذلك قال لي
حيث لم ترض ان تاكل من هذا الأُدْم لم جئت هنا وصار متحيرا
فكان يتكلف ويصنع لي ارزا بلبن ولما توجهت الى الفاشر ونزلت
في بيت الفقيه مالك الفوتاوي حضر العشآء فرايت الادم مرا
فسالت ما هذا فقيل لي هذه وَيكة الهجليج فابيت ان اكل منها
فجاؤوني بادم اخر فشممت منه رائحة منتنة فقلت ما لهذا منتن
فقيل لي هذه ويكة الدودري وهي جيدة عندهم فابيت ان اكل
منها فاخبر الفقيه مالك بذلك فارسل لي لبنا حليبا عليه عسل
فاكلت منه ولما حضر في ديوانه للسمر قال لي لم لم تاكل من وَيكة

الهجليج او الدودري فقلت له احداهما مرة وثانيتهما متعفنة
فقال هذا هو الطعام الذي يصلح في بلادنا ومن لم ياكل هكذا
يخشى على نفسه من الامراض والدودري ويكة تتخذ من عظام
الغنم والبقر وسائر الحيوانات وهو انهم ياخذون عظم الركبة
وعظم الصدر ويجردون ما عليها من اللحم ثم يضعون العظام في
خابية ويتركونها اياما حتى تعفن فيخرجونها ويهرسونها في هاون
حتى ينهرس العظم في اللحم ويصنعونه كرات في جرم البرتقان
الكبير فاذا ارادوا الطبخ اخذوا قطعة من كرة وذوبوها في الماء
فان كان فيها قطع من عظم صفوها من مصفاة ثم صبوا ذلك
الماء في القدر ووضعوه على النار حتى يصير له قوام فياتون
بقدر صغير يقطعون فيه قليلا من البصل ويقلونه في قليل
من السمن ويضيفونه لذلك ويضعون فيه شيا من الملح
والفلفل والكمبا ان وجدت وهذا طعام لا يوجد الا في بيوت
امراء الفور واما ويكة الهجليج فلا يخلو اما ان تكون من الورق
او من الثمر فالتي من الورق هي انهم يجنون الوريقات الطرية الحديثة
ويدقونها وتوضع في القدر على النار وتحرك بالمسواط حتى تمتزج
مع ما فيه من الماء والدهن وان كانت من الثمر فكيفيتها انهم

يامغزون

ياخذون الثمر وينقعونه في الماء ثم يهرسونه باليد حتى يذهب
لحمه كله في الماء وياخذون ذلك الماء ويصفونه في قدر فان كانوا
فقراء وضعوا عليه قليلا من الشحم واكلوا وان كانوا اغنياء
قادوا النار حتى يصير له قوام ثم عملوا تقلية كالتي ذكرناها في
الدَوْدِري واضافوا لها لحما مدقوقا من القديد وصبوا فيها
الماء وتركوا الجميع على النار حتى يحصل الاستزاج التام فتنزل عن
النار وهذه من اعظم ماكلهم هذا طعام اغنيائهم واما فقراؤهم
فقد ذكرنا سابقا انهم ياكلون الدخن بغير تقشير وان اُدمهم
قبيح جدا لانه اماكُولْ او ورق الهجليج الصغير الطري المسمى عندهم
بالنِيلُمُو او ثُفْل السمسم او ثمر الهجليج الاخضر المسمى عَنْقَلُّو او ثمره
الناضج وملحُ كلٍّ ما ذكر الرماد المسمى بالكَنْبُو لقلة الملح وغُلُوِّه
واترف الفقراء من تكون له شياه او بقرة يحلب لبنها وياخذ زبده
وياتدم بمخيضه ولا يعرفون اللحم الا بعد اشهر ان ذبحت في البلد
بقرة او ثور واقتسموها فياخذ الفقير منهم قسما على قدر حاله
بامداد من الدخن لا بشيء اخر ولذلك تجد اكثر شبانهم يعانون
القنيص وقد ذكرنا سابقا ايضا انه في كل سبت يضرب الورناك
طبله وتخرج الشبان كلهم معه للصيد فكل منهم ياتي في المساء

بما تيسر معه لان غاباتهم فيها كثير من الحيوانات الوحشية
فاكثر ما يصيدونه الارنب ثم الغزال ثم ابو الحصين ثم بقر
الوحش وان وجدوا تيتلاً مريضا او اخذوه على غرة قتلوه
واقتسموا لحمه والتيتل حيوان وحشي على صورة البقر الاهلي
الا انه اصغر جرما فاعظمه كالعجل وله قرنان صاعدان مائلان
قليلا اما للخلف او للامام طولهما بنحو شبرين واقل ومع وحشيته
فيه نوع بلادة فلا يفر الا من ناس كثيرين واما من رجلين او
ثلاثة رجال فلا يفر بل يثبت مكانه وينظر اليهم نظر المتامل ومن
عادة الفور انهم اذا راوه ينادونه بصوت عالٍ يا تيتل يا كافر
فيصير شاخصا اليهم كانه غير مكترث بهم فلا يبرح من مكانه
الا اذا يدنون اليه دنواً كلياً فحينئذ يمشي رويدا رويدا فان
راهم جدوا في طلبه هرول والفرق بين التيتل وبقر الوحش
المعتاد ان التيتل وان كان نوعا من بقر الوحش الا انه اصغر
حجما وقرونه تنبت معتدلة كقرن الغزال وبين القرنين من
اعلا انفراج كثير ولون التيتل اصفر كله واما البقر الوحشي فمنهم
الاسود والاصفر والابلق الذي لونه مختلط ببياض كثير وقرونه
كقرون البقر الاهلي في الغلظ والاعوجاج وحجمه كحجم البقر ايضا

وبهذا

وبهذا تعلم ان التيتل نوع من البقر وبينه وبين البقر الفروق
المذكورة وهناك اناس مشغولون بصيد الحيوانات لا حرفة
لهم سواها وكل منهم قد اعد لذلك عدة فاما الشبان
فيستعينون على الصيد بالكلاب والسفاريك لا غير واما
الحداثون فيحتالون ومنهم طائفة الصيادين المذكورين لا حرفة
لهم سواها وهم على قسمين منهم من يتمحض لصيد ذوات الاربع
كالغزال وبقر الوحش والفيل والجاموس والضباع والسباع
والخرتيت ونحوها وهولآء يجتمعون فرقا فرقا كل فرقة منهم
خمسة انفار او ستة فيأتون للطريق التي يمر عليها الفيل وغيره
حين وروده على المآء ويحفرون فيها حفرة عميقة اطول من
قامة ويدقون في مركزها وتدا مدبب الراس حاد السن كالرمح
ويصلّبون على الحفرة اعوادا ضعيفة ويغطونها بالحشيش
ثم يغطون الحشيش بالتراب فياتي الفيلة او السباع او بقر
الوحش او الجاموس او الخرتيت واردة للمآء فتمر على تلك الحفرة
فمتى ما ثقل على الاعواد الوطئ تكسرت تحت ارجلهم وسقط
في الحفرة منها حيوان او اثنان فمتى نزل الحيوان بثقله على الوتد
الذي في المركز دخل ذلك الوتد في لحمه فلا يقدر ان يتحرك حتى

يأتي صاحب الحفرة فيتمم قتله ويأخذ لحمه بعد سلخ جلده
فيعملون اللحم قديدا وهو المسمى عندهم بالشراميط لانهم
يشرمطونه اي يقطعونه سيورا ويأكلون منه طريا فان
كان فيلا اخذوا اسنانه وجلده وقددوا لحمه وان كان خرتيتا
اخذوا قرنه وجلده وقددوا لحمه وهذا القديد يأكلون منه
ويبيعون منه وكل فرقة لها جماعة في البلد يفتقدونهم في
كل اسبوع ويأتونهم بما يحتاجونه من الزاد وغيره ويكون
معهم جمل يحملون ما يجدونه عندهم من القديد والجلود والقرون
وسن الفيل فيأتون بالجلود فيعملون منها الدرق والسياط
ويبيعون العاج وقرن الخرتيت والسياط للتجار ويبيعون
الدرق للعسكر وهم قوم لا عهد لهم ويسمون الدَرَامِدَة
فلا يناكحونهم ابدا ولا يتزوج الدَرْمُودِي الا من جنسه ومنهم
من يتحيل على الصيد بان يأتي لمحل الوحوش ويأتي بحبل من
قد متين ويجعله خرتة واسعة فاذا مر عليه شيء من
الوحش ودخلت رجله في الخرتة وهي دائرة اشبه بالعروة
فرفع الوحش رجله انخرطت عليه وهي ماكنة الاوتاد فلا يقدر
الوحش على قطعها ولا قلعها فيمكث حتى يأتون اليه

فيقتلونه

فيقتلونه ومنهم من يعلو على شجرة يقيل تحتها الوحش ويكون
معه حربة او حربتان من الحراب
الواسعة الحادة التي هي هكذا
فيمكث في اعلا الشجرة حتى ياتي
الوحش ويقيل ويهدأ فينظر
لمن هو قريب منه ويطعنه وهو نائم في بطنه فتنفر باقي الوحوش
التي معه ويمكث المطعون فينزل اليه الصياد ويتم قتله ومنهم
من يتمخض لصيد الطير واحسن طير يصاد عندهم الحبارى وهو
طائر عظيم اكبر من الدجاج الرومي لونه ابيض يميل الى الاصفر والخضرة
يسمن في ايام الدبرت سمنا مفرطا ويكون لحمه طريا لطيفا وهذا
يالفودا معروفا عندهم وحشرات صغيرة فياتي الصياد
بذاك الدود او الحشرات ويكون معه خيط قد فتله من
العصب فتلا جيدا وهو رفيع لا يكاد ان يرى للطائر ويقصد
المحال التي يصيد بها فمتى راى الصياد الحبارى في محل ربط حشرة
او دودة في خيط وربط الخيط في اسفل شجرة ويذهب الى الحبارى
فيسوقها وفي الحبارى بلادة لا تكاد تطير حتى يقرب الانسان
الذي يمسكها فيسوقها لجهة الحشرة او الدودة حتى تراها فمتى

ماراتها هرعت اليها وابتلعتها ولما صارت الحشرة في حوصلتها
وارادت تذهب يمنعها الخيط من الذهاب فياتي الصياد
فيذبحها ويضعها معه ويربط في الخيط حشرة اخرى ان كان
هناك حبارى ويوجد ايضا طير اخر يسمى ابا طنطرة وهو ابيض
وهو طائر اكبر من الحبارى بقليل وله في عنقه كيس طويل مخروطي
الشكل اسفله واسع واعلاه ضيق يبتلع الحشرات ايضا كالحبارى
ومنهم من يصيد الطيور الصغيرة بالشباك وهذا اقل الدرامدة
كسبا لكونه يغرم حبا اذ العصافير وابو موسى وامثالها لا تقع
الا على الحبوب فياتي في المحل الذى يريد الصيد فيه بحيث يكون
قرب نهر او بركة وينصب شبكته وهى شبكة مربعة وصورتها
هكذا

ولها اربعة اوتاد وتذان منها

مربوطان

مربوطان لِصَق ركنيها ووتدان مربوطان في حبلين طويلين في
ركنيها الاخرين فيدق الاوتاد في الارض وفي قرب احد اركانها
الوحشي حبل متين طويل جدا فينصب الشبكة ويبذُر الحبَّ
امامها وياخذ طرف الحبل الطويل ويمكث بعيدا عنه فمتى نزلت
الطيور وكثرت على الحب كَفَأَ الشبكة عليها بالحبل الذي في يده
وعيون الشبكة ضيقة جدا فلا يخرج منها عصفور ولا يفلت
منها شي فياتي صاحب الشبكة وياخذ الطيور منها فان كان
فيها ما هو غالي الثمن كالدُرّة او البَبَّغَا ونحوه اخذ ريش جناحيه
وتركه في مِكْتَلِه وان لم يكن فيها ذلك ذبحها كلها وبذر حبا اخر
وحين كنت هنالك كانت لي شبكة وكنت اصطاد بها في بيتي
فطالما شبعت من العصافير بصيدي بها وهناك من هو مغرم
بصيد القرود والنسانس في الجبال ولا اعرف كيفية اصطيادهم
بها واحسن من ذلك كله الصيد بالبارود لان الانسان هناك
متى ما كان معه بندقة جيدة يشبع من لحوم الحيوانات بغير
مشقة ومن الاغنياء من يشتري من الدراهمة عبدا ولا يكلفه
الا بالصيد فلما نصح ذلك العبد اشبع سيده من اللحم ولقد
رايت عند شيخنا الفقيه مدني عبدا يسمى سعيدا مسنا فاخبرني

بانه صياد واطعمني لحم غزال وذكر انه من صيده وانه لا بد له في كل
جمعة ان ياتي له باللحم مرتين او ثلاثا فصرت اتمنى لو ان يكون لي عبد مثله
فما عثرت عليه وقسم متمحض لصيد الزراف والنعام وهم اعراب
البادية كالمحاميد والزبدة والعريقات بدار الوادای والمجانين
والزيادية وبني جرار والعريقات بدار الفور وكل من هولاء يصطاد
على الخيل فاكثرهم صيدا اسبقهم جوادا ثم ان الانسان منهم اذا رای
صيدا وتبعه لا يقفو اثره بل يباريه حتى يحاذيه ومتى تمكن من فريسته
عقرها فاما النعام وان كان شديد العدو فيوجد من يلحقه واما
الزراف فلا يكاد يلحقه في العدو فرس ولذلك لا يلحقه الا الفرس
الذي يمر كالريح واعراب البادية في دار فور ودار وادای منعمون
فيما يشتهون لا يحتاجون الا الى الدخن والذرة والملبوسات
لكن يشترون ما يحتاجونه من ذلك بما زاد عن كفايتهم من
السمن والعسل والمواشي وجلود الصيد والبقر والابل حتى انهم
يجلبون لدار الوادای ولدار الفور الاجربة والقرب وبطط وحبالا
مصنوعة من سيور الجلد ويسمون هذه الحبال الجلدية بالوَرَج
والسياط وغير ذلك واما السمن فمن انعامهم والعسل فمن
الاشجار لان النحل يعشش فيها وهم يجتنونه والصيد كثير فلذا ترى

ريش

ريش النعام عندهم لا قيمة له وكذا قرن الخرتيت وحين كنت
في دار الوداي جآء بعض التجار من فزان يطلب ريش النعام وطلب
من الشريف احمد الفاسي الذي توزر بعد ابي ان يكتب له كتابا الى
الشيخ شوشو شيخ المحاميد بالوصية عليه وان يامر الاعراب
بالصيد له برفق في الثمن وكان معه خمسون ريالا من الفرانسا
فكتب له الشريف بذلك فاخذ الكتاب وتوجه الى المحاميد بدليل
من العرب ومكث هناك ما شاء الله ان يمكث ولما جآء اخبرنا
بانه حين وصل اليهم وسال عن بيت الشيخ دل عليه فنزل
في اكرم ضيافة وارحب نزل ولما اراهم كتاب الشريف زاد الشيخ
في اكرامه وبالغ في التلطف واكبر به وافرد له بيتا من الشعر بفرشه
وجميع ما يحتاجه ووكل وصيفا ووصيفة لقضاء مهماته وكان
ذلك التاجر اخذ معه هدية للشيخ المذكور فقدمها له فقبلها
منه واثابه عليها ثم ان التاجر سلم للشيخ الخمسين ريالا فطلب
الشيخ العرب وقال لهم هذا رجل غريب اضافني والتجأ لي ويريد
ريش النعام فمن كان له ارب في الريالات فليغد للصيد من
الصباح وكل من اتي بجلد ظليم فله نصف ريال ومن اتي بربدآء فله
ربع ريال فاهتز العرب لطلبه واصبحوا قانصين ففي يوم واحد

جاؤا بنحو عشرين ظليما فمكث عندهم نحو من عشرين يوما
فجمع فيها نحو مائة جلد ظليم وحملها له الشيخ علي ابله وزوده
بزاد كثير وكان من جملة ما جآء به دهن النعام فانه جآء منه
بكثير واتى ومعه من العسل والكَنْيَاكَنْيَا والسَرْنة والكَرْنُوشى
كثير وباع في وارة الظليم بثلاثة ريالات ولم يبق معه الا نحو عشرة
من الجلود وربح ربحا كثيرا واما الزراف لا نفع في المتجر الا بجلوده
يبيعونها واما لحمه فياكلونه طريا وقديدا ويوجد عند العرب من
الارز والدِفْرَة والكُورَيْب والهَجْلِيج والتمرهندى والعسل والكرنو
والسرنة ما لا يوجد عند غيرهم واما اللبن فلا قيمة له عندهم
لكثرته ياخذون منه السمن ويرمون رائبه حتى ان من اتى الى
احيائهم وخصوصا احيآء الرزيقات ومسيرية الحمر والحبانية يجد
الغدران والبرك القريبة منهم كلها لبنا **فصل في**
معاملة اهل دار فور قد تقرر في علم التوحيد
ان الحق تعالت اسماؤه غنى عن المحل والمخصص فهو صاحب
الغنا المطلق لا يحتاج الى احد من خلقه وجميع الخلائق لفضله
محتاجون ولنواله سائلون وعلى ابواب رحمته مزدحمون فنظر
اليهم بعين رحمته ووهب لكل منهم ما يقوم به وبعائلته وفضل

بعضهم

بعضهم على بعض في الرزق فجعل منهم الملوك ومنهم الغني ومنهم
الصعلوك وجعل لهم اسبابا يتبعونها في طلب الارزاق وامر
بالسعي والاجتهاد خوف الاملاق ومن عظيم منّته ان جعل
البيع والشراء حلالا بين الناس لينالوا ما في نفوسهم ويذهب
عنهم الباس فجعل في البلاد المتمدنة النقدين قرّة للعين يتنالون
بهما ما يحتاجونه من امور معاشهم ويضطرّون اليه في ارتياشهم
وخص سبحانه وتعالى كل مملكة بسكة معروفة ودراهم ودنانير
بينهم مالوفة لكن لمّا كانت اهل السودان في بُعْد عن التمدن
العظيم وفي ظلمة وحشية كالليل البهيم كان اغلبهم لا يميز
الذهب من النحاس ولا القصدير من الرصاص حتى من كان
في بلادهم معدن الذهب يبيعونه تبرا ويرون ان بيعه كذلك
احرى وسيما مملكة دارفور ليس بها شي من المعادن الا ما
جلب اليها من الاقطار حتى ان اعظم حلي نسائهم كما تقدم من
انواع الاحجار فهم جديرون ان يكونوا بمعزل عن المعاملة بالفضة
والنضار لكن لما وطئت بلادهم التجار وتمصرت بالمتاجر فيها
الامصار احتالوا الى سكة بها يتعاملون ويشترون بها ما يشتهون
فانقسموا في ذلك اقساما واذهب كل قسم منهم بما اصطلح

عليه من المعاملة وأما فاولها الفاشر وهو مقر السلطنة وتخت
المملكة جعلوا من القصدير خواتيم يشترون بها ما يحتاجونه
من لحم ودجاج وطيب وحطب وخضراوات وغير ذلك وتسمى
بالفوراوية تارنيه وهى على قسمين غليظة وتسمى تارنيه تونقانيه
ورفيعة وتسمى تارنيه بيتيا يتعاملون بها فى سفاسف امورهم كما
ذكرنا والامور المهمة يتعاملون فيها بالتكاكى جمع تُكيه وهى شقة
من غزل قطن طولها عشرة اذرع وعرضها ذراع وهى على نوعين
شبيكه وهو منسوج خفيف غير مندمج وكنكات ومنسوجها
ثقيل مندمج فمن الاول كل اربع تكاكى بريال فرانسا ومن الثانى كل
اثنين ونصف بريال فرانسه وما عدا ذلك فبيعهم كله استبدال
شى بشى والامور العظام عندهم تباع بالرقيق فيقال هذا الفرس
بسداسيين او بثلاثة سداسيا والسداسى عندهم العبد الذى
اذا قيس بالشبر من كعبه الى شحمة اذنه كان طوله ستة اشبار
والسداسية كذلك وقيمة السداسى من التكاكى ثلاثون تُكيه ومن
الشواتر الزرق ستة والبيض ثمانية ومن البقر ستة ومن الريالات
فرانسا عشرة ريالات وكل انسان يشترى بما عنده ولا يعرفون
المحبوب ولا القرش ولا الفرانك ولا الخيرية ولا شى من معاملات

اهل

اهل المدن سوى الريال الفرانسا المسمى عندهم ابا مدفع واما
اهل كوبيه وكبكابيه وصرف الدجاج فانهم يتعاملون بالخرش
وهو خرز ليس بالغليظ ولا بالرفيع منه اخضر ومنه ازرق يعمل
سبحا كل سبحة مائة حبة وقد قدمنا الشرح عليه في حلي النساء
وزينتهن فيتعاملون به في سفاسف الامور عوضا عن التارنيه
في الفاشر ومن العجايب ان التارنيه في هذه الاسواق الثلاثة
لا تسقى شربة ماء بل المعاملة بالخرش من خمسة حبات الى
مائة ومن سبحة الى عشرة الى ما لا نهاية له وقيمة التكية عندهم
ثمان سبح وبقية الاحوال كالفاشر واما قرلي وما ولاها فيتعاملون
بالفلقو وهو ملح صناعي مستخرج ترابا من الارض ويصبون
عليه الماء على غالب ظني لرسوب الاوساخ والاتربة ويصفى
ويقطرون ماءه لنقص هذا الماء ويتلقون المقطر منه في قوالب
كالاصابع فيجمد بعد برودته ويصير كالاصابع وقد شاهدت
محال استخراج هذا الملح ورايت اواني التقطير ويشابهون
البرام الافرنجية ولا نعلم من اوصل هذه الصناعة اليهم واهل
البلد لا يعلمون ايضا بل قصارى امرهم اذا سئلوا وقال لهم قائل
من علمكم هذه الصناعة ان يقولوا شيء وجدنا اباءنا يفعلونه

بالملابس وبالاكنات التي لا يبرد فيها المجالس ونظر لاهل الجنوب
بعين الاسعاف والتلطيف فجعل المطر ينزل عليهم وقت اشتداد
المصيف ولما كانت ارض الفور من هذا القبيل وفي وقت الصيف
يشتد فيها الغليل كان مدرار الوبل مطفياً لوهج ذلك الحرور
لطفا من العزيز الغفور فيزرعون على مطر الصيف ويسمون
ذلك الفصل بالخريف فلذلك على ظني لا يزرعون بُرّا ولا شعيرا
ولا فولا ولا عدسا ولا حمصا ولا ينبت عندهم المشمش ولا
الخوخ ولا التفاح ولا الرمان ولا الزيتون ولا البرقوق ولا
الكمثرى ولا الترنج ولا الليمون الحلو ولا البرتقان ولا اللوز
ولا البندق ولا الفستق ولا الجوز ولا الزعرور ونحو ذلك بل
يزرعون الدُخْن وهو حب صغير اصفر منه يقتاتون
هم ودوابهم ومواشيهم فهو الغذاء الرئيس عندهم ويزرعون
الذرة على اختلاف انواعه ويسمى عندهم المَارِيْق وهو انواع
فنوع منه يسمى الغَزير وهو الذرة الحمرا ونوع يسمى أبا
نَشْلَوْلَوْ وهو الذرة البيضا ونوع يسمى أبَا أبَاظ وهو الذرة
المعروفة في مصر بالذرة الشامي ولا يزرع القمح عندهم الا في
جبل مَرّة لكثرة الامطار فيه او في كوبيه وكبكابية ويسقونه من

الابار

الابار حتى يتم نضجه كما تقدم ذلك **والدخن** عندهم نوعان نوع
يسمى **دنبي** وهو ما يزرعه اعجام الفور في الجبال وغيرها وهو
حب كالدخن المعتاد الا انه يميل الى البياض وسنبله اغلظ منه
وينضج زرعه قبله بنحو عشرين يوما وهو قليل في سهل دار
فور ولا يالفونه كالدخن الاصفر واما انواع الذرة فلا يالفون
منها الا الابيض ومع الفتهم له لا يكثرون من تناوله **واما ابو
اباط** فيزرعون منه قليلا للشهوة فياكلونه مشويا ولا يخزنون
منه حبا **واما العزير** فهو مبغوض عندهم لا ياكله الا الفقرا عند
الاضطرار وينبت عندهم في البرك والغدران **ارز** ينبت بدون
زارع فيجمعون منه ما قدروا عليه في ايام الربيع فيطبخونه
باللبن من قبيل الترفه وعندهم نوع اخر يقرب من الارز وليس بارز
ويسمى **بالدفرة** وهو حب صغير اصغر من حب الارز وفيه بعض
فرطحة شديد البياض يالفونه اكثر من الارز ويزرعون من
السمسم شيا كثيرا ومن العجب انهم لا ينتفعون منه
بزيت بل ياكلونه حبا ويطبخون منه في اطعمتهم كما ان العسل
النحلي كثير عندهم ولا ينتفعون بشمعه بل ياخذون العسل
ويرمون الشمع وهم احوج الانام اليه والى زيت السمسم لانهم

فانهم يتعاملون فيها بالربط وهي ربط غزل من قطن طولها
عشرة اذرع وفيها عشرون فتلة لا غير فيتعاملون بالربط
في سفاسق امورهم ويتعاملون في الامور التافهة جدا بالقطن
كما يجتنى من شجرته اي بغلافته التي تخرج منها فيتعاملون بقطع
منه كاوقية واوقيتين وثلاث اواق على سبيل الحدس والتخمين
لا بالوزن والامور المهمة كما في الاسواق واما سوق نمليه وما
والاها فمعاملتهم بالبصل يشترون به جميع امورهم التافهة
والقطن ايضا والربط وباقي امورهم بالتكاكي ولا يعرفون
الشواتر ولا الريالات واما سوق راس الفيل فبالحشاشات
وهي قطع من حديد مصنوع
صفايح ولها انبوبة وصورتها هكذا
فيدخلون في طرفها الانبوبي
قضيبا ويحرثون بها الزرع فتقطع الحشيش الذي في الزرع
ولذلك سميت الحشاشة فيتعاملون بها في سفاسق
امورهم وتافهها من حشاشة الى اثنين الى عشرين وما زاد
على ذلك فبالتكاكي والشواتر كما في الاسواق واما تمورك
فمعاملتهم بدمالج النحاس وهي في مهمات امورهم وبالخذ ورق

سفاسق

سفاسف امورهم وقد تقدم تعريف الدمالج والخدور في حلى النساء فلا اعادة واما اهل القوز فيتعاملون بالدخن في سفاسف امورهم كلها كقبضة وحفنة وحفنتين الى نصف مدّ الى مد وباقي امورهم المهمة بالتكاكي والريالات كما في الاسواق واكثر ما يتعاملون به البقر فيقولون هذا الفرس بعشر بقرات او بعشرين فانظر ايها المتامل الى اهل مملكة واحدة كيف تنوعت معاملاتها واختلفت احوالها فترى هولاء يرون شيا حسنا وهولاء يرونه قبيحا والملك لا يحكم عليهم باجرا معاملة واحدة في جميع الاسواق بل ابقى كل قوم على ما اعتادوا فسبحان الفعال لما يريد ولنمسك عنان القلم عن الركض في ميدان المعاملات لان ما ذكرناه فيه كفاية في الاعتبارات

باب في ما ينبت في دار فور من النبات وفي السحر والتعزيم وضرب الرمل وغير ذلك

اعلم ان الغني عن المتى والاين والكيف والمنزه عن الجور والظلم والحيف قسم الاشيا وعدّلها وانزل كلا منها منزلها فجعل في البلاد الشمالية البرد الشديد وفي الجنوبية الحر الذي ما عليه من مزيد لكن لرحمته بعباده منّ على اهل الشمال بالدفء

ففعلناه ولا نعرف اول من صنعه ولقد عاملت بهذا الملح
واشتريته وله لذة عجيبة فى طعمه تخالف لذة الملح الطبيعى
الا انه غير شفاف وفيه سمرة وانواع الملح فى دارفور ثلاثة
زغاوى وهو ملح طبيعى يخرج من بئر الزغاوى وقد قدمنا ذكره
وميدوبى وهو ملح طبيعى ايضا الا انه لونه احمر كالدم وقد
يستخرج قطعا كبارا كالحجار الطاحون فى العظم والاستدارة
وثقله لا يحمل الجمل منه الا حجرين وله طعم لذيذ اكثر من النوعين
الاخرين واغلا ثمنا منهما ولا نعلم ما سبب احمراره وبالجملة
فاغلا الاملاح الميدوبى واوسطها الفلقو وادناها الزغاوى
فاهل سوق قرلى وما ولاها يتعاملون بالملح الفلقو فى سفاسف
امورهم كالحرش فى كوبيه والتارنية فى الفاشر ولا يباع عندهم الملح
بكيل ولا وزن بل بالاصابع فيباع هذا الشى بفلقوبه بفلقوتين
بثلاثة فلقويات وهكذا وباقى الامور هم كغيرهم واما سوق
كُسًا فيتعاملون فيه بالدخان ويسمى بلغتهم تابا كما يسمونه
الافرنج وهذا الاتفاق من العجائب ولا خصوصية لاهل دارفور
بل جميع السودان يسمون الدخان تابا واما اهل فزان واهل
طرابلس المغرب فيسمونه تبغا وفى سنة ١٢٣٢ رايت قصيدة

لبعض

لبعض البكريين في حل شرب الدخان واظن تاريخ كتابتها في وسط القرن التاسع من الهجرة يقول فيها

من الطويل

وقد اظهر الله القدير بمصرنا نباتا يسمى التنبغ من غير مرية
بتاء مثناة وباء موحد وغين وضبط الغين فيها بفتحة

ومنها

شرحه

ومن يدعي التحريم جهلا فقل له باي دليل ام باية آية
وليس بها سكر ولا الله ذمها فقولك بالتحريم من اي وجهة

ومنها

شرحه

فان تنتشق دخانها فترى الشفا فلا تنس باسم الله اول مصة
وقل بعد ذاك الحمد لله وحده لحمدك للمولى زيادة نعمة

انتهى وهذا التابا هو اقماع اهرامية الشكل مصنوعة من ورق الدخان بعد دقه وهو اخضر في مهراس من خشب حتى يصير كالعجين ويجعلونه اقماعا ويجففونها في الشمس وبعد جفافها يبرزونها الى سوقهم ويتعاملون بها في سفاسف امورهم وهذا نوع الدخان قوي الرايحة يكاد اذا شمه انسان ان ياخذه الدوار من بعد [illegible] منها ما هو كبير ومنها ما هو صغير فكبيرها كاكبر الكف [illegible] وصغيرها كصغيرها واما كريو والزيل والشعيرية

يستصبحون فى بيوتهم بالحطب ومع كثرة الحطب عندهم لا يفحّمون منه فحما ينفعهم ولا يعرفونه ويزرعون **اللوبيا** و**البطيخ** مع الدخن سواء فاما اللوبيا فهى كاللوبيا بارض مصر الا انها اكبر لانها عندهم تقرب من حب الفول المصرى واما البطيخ فاكثره صغير الحجم كالبطيخ الذى يكون فى اخر فصل البطيخ فى المقثاة واذا كسر يكون غير نضيج لكن الذى فى دار الفور مع صغره نضيج ولهم فى البطيخ ثلاث منافع الاولى انهم ياكلون منه حال نضجه كما ناكل بطيخنا ويشربون مآءه كذلك الثانية انهم ياخذون البطيخة وينزعون قشرها بالسكين ثم يقطعونها اربع قطع ويتركونها حتى تجف فيخزنون منه من هذا القبيل شيأ كثيرا وفى وقت الاحتياج يدقونه فى مهراس من خشب حتى يصير دقيقا فيعملون منه حَسُوًّا يشرب وتسمى عندهم مديدة وهى المسماة بعرف الأورُوبّا بالكريمة وربما اكلوا منه بغير دق ولا طبخ الثالثة انهم يجمعون من البزر شيأ كثيرا ويخزنونه ويدقونه وقت الاحتياج وينسفون قشره وياخذون اللب فيطبخونه فى اُدُمهم او يعملون منه الكريمة ايضا ويزرعون **البصل** و**الثوم** و**الفلفل** وهو حب

صغير

والكُسْبَرة وحب الرشاد في كوبيه وكبكابيه وفي اودية
جبال الفور كما تقدم ويزرعون القرع بانواعه ويزرعون نوعا
من القثاء وفي كوبيه وكبكابيه يزرعون الخيار والفقوس
الطويل والباذنجان والملوخية والبامية وفي غيرها لا
وهناك واد بين البلد المسمة بمربوطة والفاشر يسمى وادي
الكُوع يفيض وقت الخريف من كثرة الامطار فلا يعبره الا من يعرف
السباحة وفيه تيار شديد فاذا فاض هذا الوادي وطفا الماء على
شاطئيه ثم نضب ينبت فيه من البامية شي كثير فيهرعون
اليه من الجهات القريبة له ويجمعون تلك البامية ويجففونها
ويدّخرونها لادمهم العام كلها وهذا الوادي يشق دارفور بالعرض
من اولها الى اخرها ونشاؤه من جبال مرة وعلى شاطئيه سياج
من شجر السنط واذا فاض يعم من كل جهة من جهتيه ما
ينوف عن فرسخين الا في بعض المحال ضايقته الرمال وسعته
في بعض المحال كخليج مصر وفي بعضها اوسع بمرتين يسافر
المسافر على شاطيه نحو خمسة عشر يوما وانما ذكرت انه
بين مربوطة والفاشر لاني مررت به كثيرا من هناك والا فهو ممتد
كما ذكرت ويزرعون فولا قرونه تكون تحت التراب ولينس

كالفول المسمى فى مصر السنارى الأن لان ذلك فيه الوان عجيبة
من احمر ناصع واصفر وابيض وبنى كما تقدم ذلك **واما الاشجار**
فليس عندهم من الاشجار المعروفة الا **النخل** وهو فى كوبيه وكبكابية
وسرف الدجاج ونُملّيه كما تقدم ذلك فى التكلم على جبل مرة وفى نُملّيه
بعض شجر من **الموز** وفى قرلى شجرات من **الليمون** الحامض وبقية
الاشجار الموجودة هناك كلها نابتة طبيعة فى الخلاء فاعظمها منفعة
الهجليج وله نوعان الهجليج الاصفر والهجليج الاحمر وذلك بحسب
لون ثمرها وهذا الثمر كالبُسر الغليظ والهجليج شجر يعظم كما يعظم
الجميز فى ارض مصر اوراقه بيضية قليلا وله ثمر حلو الطعم ببعض
مرارة وله رائحة خاصة به ولهذا الثمر غلاف يكون عليه وهو قشرة
ليست بالغليظة ولا بالرفيعة فينزعونها ويمصون الثمر مصا لانه
خشب مكسو بشئ كالطلاء يمتص ويبل بالماء فاذا ذهب صار
الخشب اى نواه ابيض وهو غلاف لشئ كالصنوبر هيئة وبياضا
وهو بزر الا انه اكبر منه حجما لكنه مر الطعم فيعطنونه فى الماء نحو
ثلاثة ايام ويغيرون ماءه فى كل يوم فتذهب مرارته وح بعضهم
يملحه بالملح وبعضهم يقلوه وبعضهم يطبخه بالعسل واذا كان
مملوحا كان طعمه كطعم اللوز المملوح وهناك نوع ثانى من الهجليج

وهو

وهو الهجليج الاحمر فياخذون لبّه بعد نضجه ويضيفون عليه الصمغ ويعجنونه به فيصير حلوا من لذيذا وعلى الاطلاق ياكلون ثمر الهجليج على كيفيات مختلفة ولشجر الهجليج هذا منافع لا توجد عندهم في غيره من الاشجار لا يرمون منه شيا بل ينتفعون بجميع اجزائه فاما ورق فانهم يطبخون الطري الغض منه في ادمهم واذا كان بانسان جراح فيه دود يمضغون من هذه الورق حتى يصير كالعجين وينفخونه في الجرح فينقّي من الدود وينظف من اللحم النتن ويأخذ في البرء واذا أُخذ ثمر الهجليج وهو اخضر وهرس في مهراس حتى صار كالعجين نفع كالصابون في غسل الثياب فان له رغوة كالصابون يُنقي الاوساخ وينظف الثياب المغسولة به الا انه يصفّرها قليلا واذا لم يكن وقت الثمر توخذ جذور الشجرة وتدق ويغسل بها فتفعل ذلك وخشبه يستصبح به في البيوت بالليل عوضا عن السراج لانه لا دخان له ومن خشبه تعمل الواح القرآءة ومن رماده يعمل الكُنبو وهو ملح سائل يوخذ من الرماد المذكور ويطبخ به الا ان به مرارا وذلك عند اعوازهم للملح لقلته وغلوه و **النبق** وهو نوعان عربي وكرنو والثاني اكبر حجما من الاول واكثر لحما ويخالفه في اللون فان النبق المعتاد العربي اذا نضج احمر لونه والكرنو اذا نضج اصفر

وهذا انفع من الاول ومن منافعه ان التمر عجينه يمسك اطلاق
البطن وقبل ما يُدَق ويعجن يُنحت جلدته الظاهرة ثم يعملون
منه اقراصا ويجففونها وياكلونها واذا كسر نواه يوجد فيه
بزرتان في مسكنين والعرب ياخذون هذا البزر الصغير ويجففونه
في الشمس ثم يطبخونه بالعسل فيصير لذيذا ويبيعونه في دار
الفور ويسمى كَنْيَكْنِيا فيوكل كالحلوى واذا مضغ من به دود القرح
من ورق النبق الكرنو وازدرد ريقه قتل دود القرح واخرجه ميتا
والتبلدي وهو شجر عظيم ضخم اجوف الجذع ينبت في الفيافي
واهل البادية اذا اشتد بهم العطش في غير وقت الامطار ياتون
الى التبلدي فيجدون في تجويفه ماء مجتمعا من المطر فيشربون منه
ويذهب أُوامهم ولهذا الشجر ثمر مستطيل كبير كالالواز وفي باطنه
بزر احمر كحب الترمس في الحجم وكبزر الخروب في اللون الا انه فيه
دقيق ابيض حامض الطعم يستف منه فيوجد مرا والاستفاف
منه على الريق يقبض اطلاق البطن وتعمل منه الكريمة مع الدقيق
فتصير لذيذة وشجر الدُلَب وهو المسمى في عرف مصر بالجوز
الهندي الا ان هذا الشجر لا يوجد في جميع دارفور بل لا يوجد الا في
الجهة الجنوبية منها ويسمى في عرف الفور بالدَلَيْب وهو شجر

طوال

طوال كالنخل او اطول وينتج جوزا كبيرا اذا كسر غلافه وجد ما فى
باطنه فى غاية اللذة لا سيما قبل تمام نضجه فانه يكون كاللبن
مع الحلاوة واللذة ومن اشجارهم **الحُمَّيض** وهو شجر شايك
كاضخم ما يكون وله ثمر كالتفاح الكبير الا ان له عجما وفيه حموضة
لذيذة ولونه ابيض يميل الى الصفرة ومن اشجارهم **الدَوم** وهو
شجر معروف فى صعيد مصر ويسمى **بالمُقْل** ايضا ومن اشجارهم
العَنْدُراب وهو شجر متوسط فى الطول والغلظ يحمل
ثمرا اشبه بعنب الذئب الا انه احمر قانى الحمرة ولا عجم فيه
وهذا الثمر حلو الطعم جدا ينضج فى اول فصل الدرت اى الربيع
بلغتهم وهو اول فصل الخريف عندنا ومن اشجارهم **القِدَّيم**
وهو شجر اشبه شجر الرمان يحمل ثمرا صغيرا اذا فلقتين عليه جلدة
حمرا ناصعة الحمرة فى غاية الحلاوة وعجمه كبير ولا اجد له شبيها
فى فواكهنا امثله به ومن اشجارهم شجر **المُخَيط** وهو شجر صغير
يحمل ثمرا كالنبق فيه مرار فيوخذ وينقع فى الماء اياما فتذهب
مرارته فيرش عليه اللح ويطبخ ويوكل ومن الناس من يجففه بعد
النقع ويسحقه حتى يصير دقيقا وتعمل منه عصيدة وهذا الفعل
خاص بايام الغلاء واشتداد الكرب ومن اشجارهم **اللُولُو** وهو

شجر يقرب من شجر الجوز المسمى بعين الجمل يحمل ثمرا كثير ابى فروة الان ثمر
ابى فروة فيه تفرطح وهذا كحب البندق لكنه اكبر من البندق في
الحجم يساوى حجم ابى فروة وابو فروة هو المسمى في بلاد الترك بالكستنا
وفي تونس بالقسطل ولهذا الثمر دسم ولا يوجد الا في الجهة
الجنوبية في اخر دار فور اى في جهة بلاد الفرتيت واهل تلك الناحية
يعصرون منه زيتا ولقد رايته ووجدته اكثر شبهها بالشيرج
في الهيئة وبزيت الزيتون في الطعم فيدهنون منه ويجعلونه
أُدْما في اطعمتهم ويوجد الخرّوب والجمّيز لكنهما رديئين لا
ينفعان بشي ويزرعون القُطن بنوعيه البلدى ويسمى عندهم
بالعربي والهندى ويسمى عندهم بلوى وينتفعون منه اتم
المنافع لان منه كساويهم وبه معاملتهم كما قدمنا ذلك في باب
المعاملات واما الاشجار التى لا يوكل لها ثمر فكثيرة جدا تكاد ان لا
تدخل تحت حصر ولكن نذكر اشهرها وانفعها فنقول من
انفعها العُشر وهو شجر قصير متعدد الفروع جذعه مكسو
بشي ابيض كالشحم اذا ضغط بين الاصابع يتفتت وورقه كبير واذا
كسر يخرج منه عصارة بيضا كاللبن وله ثمر كالكرة باطنه ممتلى
بشي كالزغب او الوبر يتطاير في الهوا لخفته ولهذا الشجر منافع منها

ان

ان عصارته اذا وضعت على جلد حيوان ازالت شعره ويلحون
لحاءه فتوجد فيه خيوط رفيعة كالحرير فتجمع ويفتل منها خيوط
تنفع لخرز القرب ويفتل من اللحاء حبال فتنفع للربط والحمل
والوبر الذي في الثمر تسد به خروق القرب ومن عادتهم اذا سرقوا
حمارا او فرسا وارادوا تغير شعر موضع منه يدهنون المحل الذي
يريدون تغيره بهذه العصارة فيذهب الشعر ويخلفه شعر
ابيض فيشتبه على اربابه لكن منهم من يعرف ذلك للاعتياد به
وخشبه خفيف كخشب القفل ورايتهم يسودون البارود بفحمه
وفي اسبتالية ابي زعبل شجرة منه وفي الصعيد كثير منه ايضا ومنها
شجر يسمى الحَشَاب وهو شجر ذو شوك ومنه يوخذ الصمغ
العربي ولقد رايته واجتنيت منه الصمغ لينا يمتد كالعلك
وينبت في الاماكن المعطشة الرملية ومنها السَنْط
وهو شجر القَرَظ وهو شايك ضخم ومنها الطلح وهو من فصيلة
السنط والطلح شجر يعلو اكثر من قامة ولحاؤه احمر وله شوك
طويلة كالابر وورقه مركب من وريقات صغيرة والسَيّال شجر
طويل يعلو اكثر من قامة لكن اصغر من الطلح ولون قشره اخضر
يضرب الى البياض وله شوك ابيض واوراقه مركبة كل ورقة من

وريقات صغيرة ومنها الكِتر وهو شجر ذو شوك وفروع كثيرة وشوكه كالسنّارة وله صمغ يجتنى منه لكن صمغ الحشاب اغلا واحسن منه ومنها اللَوُوت وهو شجر صغير ذو شوك صغير وفروع كثيرة فيه اخضرار لا يفارقه وان جف اذا قشّر لحاؤه وتشم منه رايحة كريهة خاصة ومنها القَفَل وهو شجر ليس بالكبير ولا بالصغير لكن اكثره ينبت في الجبال ومنها الحَرَاز وهو شجر هائل الضخم والكبر ذو شوك يعظم جذعه حتى لا يحتنقه الرجلان اذا مدا باعيهما ظله ظليل حتى ان منه ما يجلس في ظله مائة رجل واكثر وبالجملة فالاشجار التي لا يوكل لها ثمر تنفع في امور أُخَر فانهم يقطعون منها الاخشاب لبيوتهم اما السنط فقرَظُه للدباغ وشعبه الطويلة عمد لبيوتهم واما اللَوُوت فلحاؤه يربطون به سقف البيوت وفروعه يجعلونها في السقوف وفي الصريف والصريف عندهم عوض عن الحايط عندنا واما الكِتر والحَشَاب فياخذون منها الصمغ واحيانا يقطعون شوكهما يجعلون منه ال[illegible] لمواشيهم ولبيوتهم لان لكل بيت زريبة غالبا وهي كناية عن السور وصريفا وهو كناية عن الحايط والبيوت في الوسط اشبه شي بالخيم والطوق لك المضروب حولها

والبيوت

والبيوت إما من قصب الدخن أو من قصب رفيع يسمى المَهَبِيب والثانى لا يعمل الا للاغنياء واكابر الدولة وهو قصب ناعم قليل الكعوب رفيع كالسمار ابيض يميل الى الصفرة ذكى الرائحة خصوصا بعد نزول المطر واعلم ان النبات فى بلاد السودان كثير لا يحصى افراده العدّ ولا يوقف له على نهاية ولا حدّ ولا اعرف منه الا ما اشتهر وذاع وملأت شهرته البقاع لانى كنت اذ ذاك فى سن الشباب والجهل سابل علىّ جلباب لكن لكثرة مخالطتى بهم واسفارى معهم عرفت ما عرفته بالاسم ولا اقدر ان اميزه تميزا كليا فمنه شجر النشاؤ وهو شجر كبير وصغير وصغيره اكثر من كبيره وهذا الصغير اطول من القامة وقشوره خضر بالنسبة للكبير لان قشرة كبيرة مغبّرة اعنى ان لونها اغبر وهو اللون الذى يقرب للبياض وليس ابيض ناصعا ويحمل فى ابّان حمله عناقيد تاكل منها اهل السودان وهذه العناقيد فيها حب كاصغر العنب ما نضج منه يكون اسود وما قرب للنُضج يكون احمر وما لم يقرب منه يكون اخضر وطعمه حلو فيه بعض حرافة وورقه يغلب على ظنى انه بيضى او يقرب من ان يكون بيضيا اخضر الظاهر والباطن والبَطّوم شجر كبير هائل المنظر اغبر اللون غليظ

الساق صلب الخشب اوراقه صغيرة بيضية في حوافيها تسنن
وترى قشرة الساق من اسفل مشققة شقوقا غير منتظمة
وثمره كثمر النشا وعناقيده ايضا الا ان هذا لحبه اذناب طويلة
ولا يوكل ثمره وهو اصغر من ثمر النشا وتعلو ساقه اكثر من
قامتين ويتفرع فروعا كثيرة واما الأَبْنُوس فهو شجر متوسط
وقشرته خضرا داكنة والابنوس قلبه فاذا نُحِيَتْ القشرة
انكشفت عن عود اسود الا انه يكون سواده خفيفا وهو
اخضر فكلما يبس ازداد سوادا واحسن الابنوس ما اخذ من
الجذور وهذا النبات لا يوجد في دار الفور وانما يجلب من دار
الفرتيت اليها والجُوخَان او الجُوغَان كذلك الا ان الجوخان
له ثمر كالبندق في الحجم حلو الطعم فيه بعض يبوسة كالغضروف
واما الجَعْجَع فهو شجر متوسط ايضا ولون ساقه يميل الى
الحمرة وفروعه ليست كثيرة التفرع وفيه شوك طويل واذناب
اوراقه قصيرة فربما ظن انها ملتصقة بالفروع لقصر اذنابها
وهذه الاوراق مستديرة مسننة تسننا غائرا وثمره كثمر
الزعرور وفيه مساكن الا انه غضروفي او فيه خشبية واغلب
ظني ان في كل ثمرة اربعة مساكن بينها حواجز واما دار فرتيت وهم

مجوس

مجوس السودان المحاذون لجنوب دار فور فينبت فيها القنا
ومنها يصنعون اعواد حرابهم واكثر اعواد حراب اهل الدولة في
دار فور من القنا وهو جميل جدا ويجلب من دار فرتيت واما النباتات
التي فيها الخواص فمنها شجرة كِيلِي وهي شجرة متوسطة لا شوك
فيها تثمر ثمرا كالزعرور الا انه خشبي يوخذ الثمر وينقع في الماء ويسقى
المتهوم ولون هذا الثمر كلون الرمان الحامض اذا جف والشَعْلُو
وهو شجر نصف خشبي كثير الفروع لينها ورفيعها تمتد فروعه
وتشتبك ببعضها متراكمة حتى تصير الشجرة وحدها كالاكمة
وله ثمر كالبلح الكبير الاخضر ولا عجم ولا نوى فيه وفيه عصارة
لبنية ببعض لزوجة لطعمه بعض حلاوة ابتداء وحرافة انتهاء
اخضر لا يفارقه لون الخضرة ولو جف اذا مضغه شارب
الخمر ازال ريحتها وقد تقدم ذلك ومنها دَقَرَة وهو نبات
حشيشي ينبت في الاراضي الصلبة اوراقه رقيقة فيها نوع
استدارة اذا دق الورق في هاون وعصر ماؤه في العين الرمدا
المتورمة بالتهاب حاد ثلاثة ايام صباحا ومساء ابراه ولقد
كنت في سوق نُمْلَيْه في غير روية الجبل ومسكت بيدي الفلفل
وصرت اعبث به ثم هبت ريح فقذيت عيناي فدعكتهما

بيدي ونسيت امر الفلفل فتالمتُ المًا عظيمًا والتهبا في الحال
وورمًا فركبت وسافرت فلم اقدر على الركوب من شدة الالم
فدخلت في بلدة وبت عند امراة عجوز فيها فلم اكتحل بنوم
وانقلب الجفنان وغلظا حتى خشيت على عيني من العمى وصرت
لا اعرف ما ينقذني من ذلك فلما اصبح الصباح جائتني عجوز ونظرت
عيني وتوجعت لي ثم قالت هذا امر سهل ثم دعت بابنة لها
صغيرة تكاد ان تكون ابنة سبع سنين او ثمانية وقالت لها
بلغة الفور اذهبي الى اسفل الجبل وائتيني باوراق من النبات المسمى
دقرة فذهبت الصبية وغابت قليلا ثم جائت ومعها اوراق
كثيرة فاخذتها العجوز ودقت بعضها بين حجرين حتى صار
كالعجين وامرت بفتح عيني ومسك يدي ثم عصرت في عيني من
عصارة النبات المذكور فنزل في عيني باردا ثم ابتدا ياكل بغير الم
حتى كانما في عيني دود واريد ادعكهما بيدي فلا استطيع للضبط
علي فعانيت من ذلك مشقة حتى اضمحل الاكلان وجائني النوم
فنمت واستغرقت في نومي مدة عظيمة فلم افق الا قرب
العصر فاحسست في عيني خفة وذهب الالم ولما كان من
الليل جائت وعصرت لي من تلك العصارة وبت بانعم ليلة وفي

الصباح

الصباح عصرت لى منها ايضا فانفتحت عيناى وكانى لم ارمد
بهما فذبحت اذ ذاك كبشا سمينا وليمة للشفاء واعطيت
العجوز جديا سمينا وغالب النبات والشجر يثمر فى اخر زمن الخريف
وهو الصيف عندنا لانهم يسمون صيفنا خريفا وخريفنا دَرَتا
وفى عرفهم يعنون به الربيع وربيعنا صيفا ولم يوافقونا الا فى
الشتآء فان الشتاء عندهم هو الشتاء عندنا وفى الصيف
الحقيقى تمطر السمآء عندهم ويزرعون لان اول سقوط المطر
عندهم فى الجوزآء ويسمونه الرُشاش وفى السرطان تنفتح
عزالى السحاب ويكثر المطر وتمتلاء الاودية وبذلك تعلم سبب
زيادة النيل المبارك ومما يوكد ان كثرة الامطار عند اهل السودان
هى السبب فى كثرة نيل مصر ما وقع من الاتفاق ان سنة ١٢٥٣
هجرية وقع فى مصر غلاء عظيم حتى ابيع الاردب من القمح بمائة
وخمسين غرشا بل اكثر وسببه عدم فيضان النيل كعادته
وح كنت متشككا هل وقع ذلك بارض السودان ام لا وبقيت
على الشك الى سنة ١٢٥٧ فجاء القاض الدليل قاضى القضاة
بمملكة الوادى فاخبرنى انه فى تلك السنة قل القطر حتى اجدبت
الارض وغلت الاقوات واكلت الناس الجيف والكلاب وهو

اتفاق عجيب ادل دليل على ان زيادة بحر النيل من امطار تلك البلاد ولله في ذلك حكمة لا يعلمها الا هو وفي وقت الرشاش يكثر هبوب الرياح والموتفكات واكثر مجيئها في اوقات العصر واذا هبت ترى من بعد كالسحاب فتارة تكون حمرا وقد سدت الافق من الجهة التي تاتي منها وغالب الموتفكات تاتي من قبل المشرق ونادرا ان تاتي من الجنوب وفي مجيئها من الشرق تحمل رملا كثيرا من القوز الذي تمر عليه وكل موتفكة تاتي بمعية مطر لان قبل ذهابها يرعد الرعد وبعد الرشاش ينزل المطر برعد قوي حتى انه ربما نزلت منه صواعق فضرّت ولقد رايت صاعقة نزلت على شجرة هجليج فكسرت منها فرعا عظيما وساخت في الارض واخرى نزلت على بيت فدخلت نار من خلال البيت واصابت رجلا فاحرقت ذراعه وساخت في الارض وسمعت منهم ان من كان معه حديد لا تقربه الصاعقة وهذا خلاف راي الافرنج وفي فصل صيفهم الذي نسميه ربيعا تكثر الزوابع والسراب في الارض ولا اعلم ارضا يكثر فيها الزوابع والسراب كارض السودان واحسن المطر عندهم واهناه ما يقع بالليل والناس نيام وهو وان كان يحصل فيه رعد الا انه لا يضر كما يضر الرعد الذي ياتي بالنهار ويكثر قوس قزح

عندهم

عندهم في وقت نزول المطر حتى انه يكون في الساعة الواحدة
في اربعة محال او خمسة منها ما يكون كالقوس ومنها ما يكون
على خط مستقيم وهو قليل واكثره يكون على خط منحني والرشاش
عندهم نحو خمسة عشر يوما وفيه يزرعون الدخن والذرة بانواعه
واطول الخريف عندهم ستون يوما غير ايام الرشاش واوسطه
ستون يوما بايام الرشاش واقله لا حد له واغلبه ان يكون
خمسة واربعين او خمسين يوما واقل من ذلك قحط وجدب فهو
كالعدم الا ان جاءت في تلك المدة امطار غزيرة روت الارض ريا
عظيما خصوصا عند آخر الفصل وختام الزرع واذا طالت مدة
الخريف وكثرت امطاره سموه خريف التيمان واسماء الشهور
في بلاد الفور والواداي بالعربية فلا يعرفون الاشهر الرومية
ولا القبطية ولا الاعجمية فاهل العلم منهم يسمونها كما سمتها
العرب قديما بالاسماء المشهورة الآن كمحرم وصفر وربيع الخ واما
عوام الناس فيسمون الشهور باسماء اخر وهذه الاسماء وان
كان معناها عربيا لكنها مستهجنة ويبدؤن في حساب
السنة بشوال لكن باسم اخر فيسمون شوالاً بالفطر وذي
القعدة فَطْرَيْن وذي الحجة بالضَّحِيَّة ومحرما بالضحيتَيْن

وصفر بالوحيد وربيعا الاول بالكرامة وربيعا الثاني بالتوم وجمادى
الاول بالتومين وجمادى الثاني بسابق التيمات ولم يسلم من
التغيير الارجب ورمضان فيقولون رجبا ويسمون شعبان
القصير ورمضان رمضان انتهى وبالجملة فخواص النبات في دارفور
عجيبة حتى اني لخشي ان ذكرتها يكذبوني ولا اجد لي شاهدا على ذلك
واكثر الخواص في الجذور وهناك معلمون نباتيون لهم تلامذة
عديدة اكثر اوقاتهم مسافرون يصعدون اعالي الجبال ويتخللون
بطون الاودية يحفرون على النبات ويعلمون تلامذتهم وهولاء
القوم يسمون بالمغراقيين ولهم في دارفور شنآن ولهم معاندة
مع بعضهم كل منهم يريد ان يرتفع صيته وجميع الجذور التي ياخذونها
يضعونها في قرون الغنم بل وفي قرون البقر وهي على انواع منها
ماهو للمحبة والقبول والجذور التي لذلك تسمى نارة وكان
في ايامنا اشهر الناس بها رجل يسمى بكرلوكو وكان مقره بجديد
السيل وكان من عشق صبية وامتنعت عليه بغضا فيه
ذهب الى بكرلوكو فاخذ منه نارة ودلك بها وجهه ويديه وذهب
الى محبوبته ومسح بيده على كتفها او شي من جسمها فوقع حبه
في قلبها بحيث لا تقدر تفارقه فيفعل بها ما يريد وان خطبها

وابا

وابا ابواها فرت معه حيث يريد وتزوجته قهرا عنهما ومن كان
له حاجة بباب الملك وخشى ان لا تقضي وذهب الى بكرلوكو واخذ
منه قطعة من النارة وذلك بشي منها بين كفيه ومسح على وجهه
احبه الملك وقضى حاجته وان كان ضامرا له سوءً واشتهر
بكرلوكو بهذا الامر حتى ان النساء ليغنين به ويقلن

بكرلوكو أبا
بنتين بسدا

ومعناه ان بكرلوكو ان اراد ان يرخص مهور البنات يجعل الرجل
يتزوج بنتين بسداء واحد والسدا هو عشرة اذرع غزلا قياما
ومما اتفق لي في ذلك انه في يوم من الايام جائني رجل معه نارة
يدّعي انها عظيمة جدا وانه اخذها من بكرلوكو وعرفها على للشراء
فقلت له يا هذا انما يحتاج الى النارة من تبغضه النساء وانا في
شبابي هذا وتيسير حالي لو اردت ابنة الملك لما تعذرت علي
فكيف بغيرها ويحتاج اليها من يخشى سطوة الملك وانا في
امن من ذلك لاني غريب وشريف ولي عند الملك حرمة فاعرضها
على غيري فهو اولى بها مني لاني انا في نفسي نارة فما اصنع بالنارة ثم
ومنها ما يستعمل للمضرة وهو على انواع نوع يستعمل لقتل العدو

وكيفية ذلك ان يوخذ الجذر الذى فيه خاصية القتل ويغرز فى
ظل راس المراد قتله ففى الحال يتاثر ويلتهب المخ ويبقى الشخص
لا يعى شيئا فان لم يتدارك سريعا بضد ما فعل له مات واذا
اريد ابطال عضو منه يغرز الجذر فى ظل العضو المراد ابطاله كاليد
او الرجل ففى الحال يتالم العضو ويلتهب وينتفخ وربما حدثت فيه
غدة كغدة الطاعون وان لم يتدارك سريعا ينفتح وينتهى
بفقد احساس العصب وبطلان الوظايف كلها واذا اريد ان
يصاب بالدوار وبالقىء هناك جذور توضع على الجمر ويتلقى
دخانها ولو فى كم الثوب ويطبق عليه طبقا جيدا ويتوجه
للشخص المقصود فيفتح كمَ الثوب ونحوه بقرب انفه فتسطع
رايحة دخان الجذر فى انفه فيقع فى الحال حتى تبقى رجلاه اعلا من
راسه فان لم يتدارك فى الحال بقى كذلك اياما ومنها جذور
خاصيتها جلبُ النوم وهذه الجذور تستعملها السارقون
وتجعلها فى قرون فيدخل السارق بالليل على المحل واهلـــه
مستيقظون فيُشير اليهم بالقرن الذى فيه الجذر ثلاث
مرات فيضرب الله على اذانهم فلا يعون شيأ فيدخل السارق
وياخذ ما يريد اخذه وربما ذبح الشاة وسلخها وشوا مـــن

لحمها

لحمها واكل ووضع في يد كل من ارباب المحل قطعة من الكبد ثم اخذ
ما اراد وخرج وبعد خروجه من الدار يفيقون ويسال بعضهم
بعضا عن الرجل الذى كانوا رأوه فكل منهم يقول رايته ولا ادرى ما
فعل فاذا بحثوا فى محلهم يرون انه ما ترك لهم شيا وقد فاز بما
اخذ فيعضّون اناملهم تلهّفًا وقد امتنع عليهم وبالجملة فهذا
الامر فى دارفور مشهور لا ينكر وكنت سالت عن تلك الخواص
استاذى الفقيه مدنى الفوتاوى اخا الفقيه مالك الذى تقدم ذكره
فاخبرنى ان الكتب المنزلة على ادم وشيث وابراهيم وغيره من
الانبياء دُفِنتْ فى الارض وانبتَ الله هذه النباتات فى المحل
الذى دُفنت فيه وانتشر بزرُها بهبوب الرياح فى الارض فعم
نباتُها وانتشر واستفيدت منها هذه الخواصُ بالتجربة
اقول وهذا نوع من انواع السحر وضرب من ضروبه ومنها نوع
يعمل بالكتابة والتعزيم على الاملاك العلوية والسفلية ومن
هذا النوع تظهر امور كثيرة خارقة للعادة لقد اخبرنى الثقاة بدار
فوران فى محاربة الخليفة للسلطان عبد الرحمن كان للخليفة عدةُ
رجال يقوّسون بالبندق فسحرهم جماعة السلطان حتى ان البارود
كان يخرج من البندق كالمبلول لا يسمع له صوت ورصاصه كان لا

يضربو بندق جماعة السلطان بعكسه فى الصوت والضرر
ومما وقع من هذا القبيل ان لما توفى السلطان عبد الرحمن
وولى ابنه السلطان محمد فضل مكانه ابى عليه اولاد السلاطين
كاولاد السلطان تيراب واولاد السلطان ابى القاسم واولاد
الخليفة واولاد السلطان عمر وخرجوا عن الطاعة وركبوا خيولهم
وخرجوا الى القرى وجيشوا جيشا عظيما فخشى الشيخ محمد
كرا من خلل يقع فى البلاد فدعى بالفقيه مالك الفوتاوى واعلمه
بما يخشاه من غائلة هذا الامر فضمن له ان ياتى بهم الى بين
يديه اذلاء فاخرج الشيخ محمد كرا جيشا لنظر الملك محمد دلدن
ابن عمة السلطان محمد فضل وذهب الفقيه مالك فعمل من
سحره ما عمل وكانت اولاد السلاطين فى محل بينه وبين الفاشر
مسيرة يومين فلما عمل فيهم السحر ركبوا خيولهم عند المسا خوفا
من الملك محمد دلدن ان يهجم عليهم بجيشه وارادوا البعد
فعموا عن الطريق وباتوا ليلتهم تلك سارين الى جهة الفاشر
والملك دلدن فى اثرهم فما اصبحوا الا وهم تحت الفاشر ولما اصبح
الصباح وراوا انفسهم بقرب الفاشر ندموا على سريانهم
وسمع بهم الشيخ محمد كرا فارسل لهم جيشا وحينما وصل الجيش

اليهم

اليهم اطبق عليهم جيش الملك محمد دَلْدَن لانه في اثرهم ولما صاروا
بين العسكرين انهزمت الناس الذين كانوا التفّوا عليهم وبقيت
اولاد السلاطين في نفر قليل فقبض عليهم الملك محمد دلدن وتوجه
بهم الى الشيخ محمد كرّا فامر بهم الى السجن واكتفى شرهم وكان ذلك
من السحر ولولاه لجاسوا خلال دارفور وعاثوا فيها واتسع الخرق
على الراقع والمخصوص بالاعمال السحرية في دارفور هم قبيلة الفُلّانْ
ولقد رايت منهم رجلا يسمى الفقيه تَمُرُّو بفتح المثناة الفوقية
وضم الميم واخرُهُ راء مشددة مضمومة يذكرون عنه امور
عجيبة ويفيضون ذكرها مع التصديق لها حتى بلغت هناك
مبلغ التواتر الذى يمتنع تكذيبه فمنها ما اخبرني به الثقة من
فقهآء دارفور انه سافر مع الفقيه تَمُرُّو المذكور من جديد كريو
الى الفاشر ورجع معه الى جديد كريو فقال لما كنا في اثنآء الطريق
اشتد علينا حر الشمس وكان الفقيه تمرّو راكبا على جمل فاخذ
ملحفته وفردها ثم رجع وضمها بين يديه وقرا عليها بعض اسمآء
ثم قذفها الى اعلا فانفرد على راسه كانها ظلّة وظللته هو وصاحبه
من حر الشمس كانها ممسوكة من اطرافها بين رجُلَيْن تتبعهما
اينما توجها كالمظلة وهذا الامر من اغرب ما يسمع واعجبه

ومنها بينماهما سائران في سفرهما ذاك اذ نزل عليهما المطر
فقال الفقيه تمرو لخادم كان معهما ائتني بقبضة من التراب
فناوله اياها فاخذها بيده وقرا عليها بعض كلمات ثم نثر التراب
حول راسه فانقشع السحاب وصار المطر ينزل عن يمينهما
ويسارهما وهما يمشيان في اليبس لا تنزل عليهما قطرة ومما
بلغني ان المساليط اقتتلوا مع الفُلّان في بعض الاحيان وهزموهم
واقتفوا اثرهم ليستاصلوهم ففعل الفلّان شيئا من سحرهم
فسحروا اعين المساليط حتى انهم كانوا يرون اثر الذهاب معكوسا
كانه اثر المجيء ولقد بلغني من شيخنا الفقيه مدني الفوتاوي
عليه سحائب الرحمة ان ملك البرنو كان له كاتب جليل القدر على
غاية من التقوى والصلاح فجاء اليه الوزير الاعظم وقال له ان الملك
يامرك ان تكتب كتابا لفلان مضمونه كذا وكذا فابى الكاتب عليه
وقال لا اكتب الا ان يقول لي السلطان بنفسه او يرسل لي
علامة تدل على صدق رسوله فذهب الوزير الى السلطان واخبره
بما قاله الكاتب فدعاه السلطان وقال له قد اذنتك ان كلما
قال لك وزيري هذا اكتب لكذا وكذا على لساني ان تكتب له
وكان الخاتم الذي تختم به الاوامر السلطانية مع الكاتب المذكور

فامتثل

فامتثل امره وصار يكتب له كلما اراد حتى انه جآء اليه يوم من الايام
وقال له ان الملك يامرك ان تكتب الى فلان الملك ان يتوجه الى
العامل فلان ويقتله ويستصفي امواله ويرسلها صحبة راسه
فكتب له ذلك والسلطان لا يعلم بشيء من ذلك فما راعه الا
وقد امتلأت البطحاء بالاموال والرقيق والبقر والابل والغنم
وراس شخص موضوعة على سن رمح فسال السلطان عن الخبر
فاخبر ان هذا راس فلان وهذا ماله وقد قُتل حسبما امرتَ
فانكر السلطان ودعا بالكاتب وقال من امر بقتل فلان واستصفا
امواله فقال له انت فقال له في اي وقت امرتُك بذلك قال في
الوقت الفلاني جآءني وزيرك فلان وقال لي اكتب الى فلان العامل
بالجهة الفلانية ان يتوجه الى فلان العامل بالجهة الفلانية
ويقطع راسه ويرسلها على رمح ويرسل امواله كلها فقال
لم آمُرْهُ بذلك وكيف مع عقلك وحسن تدبيرك انك كتبت
له بغير استئذان مني فقال ايدك الله مولانا انك قد دعوتني
في اليوم الفلاني وقلت لي كلما قال لك وزيري هذا اكتب لكذا
اوكذا على لساني فاكتب له فامتثلت امرك من ذلك الوقت
وصرت اكتب له كلما امرني به فغضب السلطان وقال اني

لم آمرك ان تكتب له في مثل هذا الامر المهم بل امرتك ان تكتب
له في الامور التي لا ضرر فيها على الدولة او مثل هذا الامر يكون بغير
استئذان فقال الكاتب ان مولانا لم يستثنِ امراً من الامور حين
امرني بطاعته فزاد غضب السلطان وامر بالقبض على الكاتب
فلم يقدر احد على القبض عليه وما ذاك الا انه كل من مد اليه يدا
ليقبض عليه تيبّس فلا يقدر ان يثنيها وتصير كأنها قطعة خشب
فلما رأى السلطان ذلك قال له اعفُ عن هولاء فقال لا اعفو عنهم
الا ان اعفاني السلطان من الخدمة فاعفاه من الخدمة وعفا عنهم
هو ايضا فلانت ايديهم ورجعت كما كانت وهذا مصداق قوله
صلى الله عليه وسلم من خاف من الله خاف منه كل شيء
ومن لم يخف الله خوّفه الله من كل شيء ه ومما ينخرط في سلك
هذه العجائب ما شاع على السنة اهل دارفور من ان هناك
قبيلتين من رعايا الفور احداهما تسمى مسلاط والثانية تيمُوركه
يتشكلان باشكال الحيوانات لكن المشهوران مسلاط تتشكل
بشكل الضبع والهر والكلب واما تيموركه فتتشكل بشكل السبع
لا غير واعجب من ذا ان هذه القبيلة يقولون عنها ان الميت
منها يقوم بعد ثلاثة ايام من قبره ويتوجه الى بلد اخر ويتزوج بها

ويعيش

ويعيش زمنا ولقد اشيع على السنة اهل دارفور ان للسلطان
طائفة من هذه القبيلة يرسلها في مهمات اموره وان لها ملكا
حاكما عليها ويبالغون في هذه الطائفة حتى انهم يقولون انها
تتشكل بجميع انواع التشكلات حتى الرجل منهم اذا ضاق عليه
المجال وخاف من الضبط عليه يبقى ريحا ولقد ادركت حاكم هذه
الطائفة وكان يسمى على كُرْتَب وكان رجلا مسنا ضعيف الحركة
من فقرآء الجند لا يظهر عليه اثر الثروة ثم انه مات وولي ابنه مكانه
وكان شابا جسيما وخشن الخلقة لكن يظهر عليه اثر الثروة
وكان يركب العتاق من الخيل وله خدم وابّهة فانعقدت بيني
وبينه صحبة وذهبت الى داره عدة مرار وكان يسمى عبد الله كُرْتَب
فاتفق الى خلوتُ به في بعض المرار وسالته عما تقول فيه الناس
من التشكل وانه يسافر مسيرة عشرة ايام في برهة فنشا لغني
بكلام اخر ولم يفدني بشيء فتركته في ذلك الوقت وسالته ثانيا
في وقت اخر فتبسم وقال سبحان الله ما كنت اظن انك تصدق
هذا القول ثم شاغلني بغير ذلك حتى خرجت من عنده ثم انكر
معرفتي بعد ذلك وصار يمر على ولا يلتفت لجهتي وتركته انا ايضا
لما رايت من تنكره ولا اعلم لذلك سببا سوى تكرار سواله في

هذا الشان ولقد سافرت للغزو مع ملك من الملوك اسمه
عبد الكريم بن خميس عرمان وكان ابوه من اعظم وزراء السلطان
ونقم عليه وابّد سجنه حتى مات وصار ولده خادما للدولة حتى
أُرسل للغزو في الفرتيت وكان لي عليه دين فذهبت معه
لاستوفاه منه فتوغلنا في بلاد الفرتيت مدة ثلاثة اشهر وكنا
في محل لا يوجد فيه شيء من البقول ولا الخضروات فدعاني ذات
يوم من الايام فلما دخلت عنده وجدت بصلا اخضر وفقوسا
وكل منهما كانما اخذ من مقثاته الآن فسالته عنهما ومن اين وصلا
له فقال من دارفور فسالته عمن اتى له بهما وكيف بقيا طريين مع
بعد المسافة سيما الفقوس فانه كان غضا بالكلية فقال قد
جيء بهما في اقل زمن وانظر الى تاريخ هذا المكتوب فاخذت
المكتوب منه ونظرت اليه فاذا هو من بعض احبابه بدارفور وتاريخه
صبيحة ذلك اليوم فبهتُّ وصرت متعجبا من ذلك فلما راى
عجابي قال لي لا تعجب فان معنا جماعة من التيموركه وفيهم قوة
التشكل يذهبون الى ابعد محل في اقرب زمن فقلت اريد ان تريني
اناسا منهم فقال لك ذلك ثم لما قفلنا نريد دارفور ووصلنا اليها
بتنا بظاهر بلد من بلاد التيموركه نسيت اسمها ولما كان عند

الصبح

الصباح جآءنا اناس كثيرون يسلمون على الملك وانا جالس معه
فرحب بهم واكرمهم وكسا رؤساءهم ثيابا حسنة ففرحوا بذلك
ولما اردنا الرحيل قال رئيسهم إنّا نوصيكم ان رايتم في طريقكم
سباعا فلا تمسّوها بسوء لان جميع ما ترونه من السباع في هذه
الجهة منا فقال الملك اذ ذاك نحن نريد ان نسمع من بعض اصحابك
الآن فقال سمعا وطاعة ثم ندب ثلاثة انفار منهم سماهم فقاموا
وتوجهوا الى الخلاء فغابوا قليلا ثم سمعنا زئير اسد عظيم ازعج
القلوب وافزع الدواب فقالوا هذا صوت فلان سموه ثم
سكت وزأر اسد اخر يقرب منه ثلاث زأرات فقالوا هذا فلان
ثم سكت وسمع بعد ذلك زئير اعظم من الزئيرين السابقين
حتى كادت ان تنخلع القلوب لسماعه فقالوا هذا صوت فلان
سموه واعظموا امره ثم بعد قليل جاءوا على هيئتهم الادمية وقبلوا
يد الملك ففرح بهم واكرمهم وح كساهم ثيابا فاخرة وودّعناهم
وارتحلنا وح قال لي الملك هولآء الطائفة هم الذين اتونا بالبصل
والفقوس ونحن في اخر دار فرتيت م ومما يلحق بهذه العجايب
ما يقوله الرمّالون حين يضربون تحت الرمل لانهم يقولون
كلاما وقع للانسان لا يعلم به احد الا الله تعالى ويقولون على امور

تقع كانه يراها بعينه فمما دعاني الى صدق اقوالهم اني حين
اردت الانتقال من دارفور والسفر الى دار وداي كان في البلدة التي
كنت فيها رجل يقال له سالم له صهر في بلد اخر يقال له اسحاق
ماهر في علم الرمل وكنت ضيق الصدر لتعسر امور السفر علي
فقال لي سالم المذكور هل لك في ان تتوجه معي الى صهري اسحاق يضرب
لك الرمل ويقول لك ما يظهر له فاجبته لذلك وتوجهت معه لبلدة
صهره المذكور فدخلناها ضحى فرايناه غايبا في زرعه فصبرنا حتى
قدم فرحب بنا واكرمنا واتى لنا بغذآء حسن ثم قال له صهره سالم
ان الشريف قد جاء يلتمس منك ان تضرب له رملا فقال السمع
والطاعة وضرب الرمل وقال لي كلاما كنت اكذبه فيه فوالله
لقد وقع جميع ما قاله وكانه تكلم من اللوح المحفوظ لم يخطي
في كلمة فمن ذلك انه قال لي انك ستذهب الى دار وداي عن
قريب بجميع اهل بيتك ما عدا امراة ابيك فانها لا تذهب
معك وكنت اكذبه واقول كيف لا تذهب مع انها احوج الناس
للذهاب فصدّق الله قوله فلم تذهب معنا وعملت علينا
حيلة وهي انها بقيت معنا حتى كانت ليلة الرحيل ففرت
وتركت ابنتها بنت سبع سنين فلما اصبحنا طلبناها فلم

نجد لها اثرا وسافرنا ولم نستقر لها على خبر ومن ذلك انه قال
لى ليلة قدومك على بيت ابيك ياتونك بجارية صفتها كذا وكذا
فوقع كما قال ومنها انه قال لى لا تجتمع بابيك فى دار ودى فكان
كذلك ولم اجتمع معه الا فى تونس ومنها انه قال لى ان بيت ابيك
حيطانه حمر كانها طليت بمُغْرَة فرايتها كذلك والمُغْرَة نوع حجر لونه
احمر هش يسحقونه ناعما فيطلى به البيوت ويصنعون به
ايضا الحبر الاحمر يخلط مع الصمغ فى الماء ومنها انه قال لى انك تركب
هناك جوادا اخضر فكان كذلك وقال لى ان السلطان ينعم عليك
بجوار وغيرها فكان كما ذكر ومن اعجب ما وقع حين كنا عنده جاءته
نسوة يتخاصمن مع بعضهن ويريدن ان يضرب لهن رملا يظهر
به مالا ضائعا لتعلم كل منهن من اخذه فضرب الرمل وقال قد
ضاع لكن خرز احمر منظوم فى خيط وهو مخبا فى رتاج البيت الفلانى
فقامت امراة واتت به من الرتاج المذكور كما قال لكن لم يقل من
الاخذة له منهن وله فى خط الرمل باع طويل ومن هذا القبيل
ما حدثنى به عمى السيد احمد زَرُّوق ان والدى عليه سحائب
الرحمة والرضوان لما كان صحبة المرحوم السلطان محمد صابون
فى محاربة جبل تامه ضاع له جمل بازل وارسل العبيد والخدم ليفتشو

عليه فذهبوا وغابوا طويلا ثم رجعوا بالخيبة فيئس المرحوم والذى
منه وكان ممن صحبه رجل يعرف خط الرمل فقال له بعض الحاضرين
انك رجل رمال فان كنت عارفا بيّن لنا الجمل ياتى ام لا فضرب الخط
وقال ان الجمل هاهنا غير بعيد فقوموا وانظروه فى ابل جيرانـنا
فذهبت العبيد الى ابل الجيران فوجدوا الجمل باركا فى وسطها وعرفوه
وجاؤا به الى محله وهذه غاية الاتقان فى علم الرمل ومن هذا
القبيل ايضا ما حكى لى بعض الاشراف فى دار وداى ان جماعة من
العلمآء كانوا مجتمعين فى محل وفيهم من يعرف علم الرمل معرفة
خبير وفيهم من يدعيه فتذاكروا فى علم الرمل والذى يدعيه
يقول انا ضربت الرمل لفلان الملك ولفلان القايد واخبرتهما
بكذا وكذا فطلب منه احد الحاضرين ان يضرب له فضرب
وقال كلاما لا يغنى شيا فالتفت العارف الى الخط المضروب
وتامله ثم قال انى مبشرك انك فى غد تقبض من السلطان
ستين راس رقيق وكان الامر كما قال واذا انجر الكلام الى علم
الرمل فنذكر منه نبذة يقف بها المتامل على ماهيته واشكاله
واسمائه والاشكال السعيدة والنحسة والمتوسطة
فنقول اما اشكاله فهى ستة عشر شكلا اولها الطريق

وصورته

وصورته هـــــكذا .... ⁘

وهو جيدة لمن اراد السفر واجود منها لمن

يسال عن قدوم الغائب وردية لمن كان مريضا فانها تدل على

طريقه للقبر وثانيها الجماعة وصورتها هكذا .... ⁘

وهو شكل سعيد الا في المريض فانـــه

يدل على اجتماع الناس لجنازته وثالثها اللحيان

وصورته هـــــكذا .... ⁘

وهو شكل سعيد في جميع الاحوال ورابعها

النكيس وصورتـه هـــكذا .... ⁘

وهو شكل نحس في جميع الاحوال الا في

الحامل فانها تلد ذكرا وخامسها الإجتمـــاع

وصورته هـــــكذا .... ⁘

وهو شكل سعيد في جميع الاعمال الا في قبض

الدراهم وسادسها العُقلة وصورته هكذا .... ⁘

وهو شكل نحس الا في السوال عن الحامل

وسابعها العتبة الداخلة وصورته هكذا .... ⁘

وهو شكل سعيد في جميع الاحوال فمن

كان اول خطه هذا الشكل اوثانيه ان كان مغموما زال غمه
ولمن كان مترقبا لمجي غائب قدم عليه سريعا وان كان معسرا
زال عسره وثامنها العتبة الخارجة وصورته
هكذا .... ⁞

وهو شكل نحس يدل على موت المريض
وتعطيل الحاجة واضطراب الامور وطلاق الزوجة وتاسعها
القبض الداخل وصورته هكذا .... ⁞

وهو شكل ممتزج يدل على قبض
الدراهم والظفر بالعدو ولكنه يدل على موت المريض
وحبس المطلوب للحاكم وعاشرها القبض الخارج
وصورته هكذا .... ⁞

وهو شكل يدل على عدم رجوع ما
خرج من اليد وذهاب الابق واباق الرقيق لكنه يدل على
الخلاص من الحبس وعلى السفر والانتقال من مكان
لاخر وحادي عشرها البياض وصورته
هكذا .... ⁞

وهو شكل جيد في كل الاحوال الا في

المريض

المريض فانه يدل على الكفن وثاني عشرها **الحمرة** وصورته هـــكذا ....

وهو شكل يدل على اهراق الدما وعلى

القبر للمريض لكنه سعيد للحامل فانها تلد ذكرا ويدل على

الثياب الحمر كما ان البياض يدل على الثياب البيض وثالث عشرها

الجودلة وصورته هـــكذا ....

وهو شكل سعيد يدل على الفرح والسرور

وان الحامل تلد انثى وان الامر ياتي على احسن حال ورابع

عشرها **نقي الخد** وصورته هكذا ....

وهو شكل نحس ويدل على الشباب

والعدو المجهول وطول المكث في الحبس وقبض روح المريض وخامس

عشرها **النصرة الداخلة** وصورته هكذا ....

وهو شكل سعيد يدل على النصر والظفر

وقضا الحاجة ونجاة المريض والمسجون والحامل وسادس عشرها

النصرة الخارجة وصورته هكذا ....

وهو شكل يدل على امور حميدة الا في

محاربة العدو فانه يدل على انهزام الجيش وعدم الظفر به فاذا اراد

الانسان ان يضرب الرمل المذكور ياتي برمل نظيف نقي ويبسطه على الارض ثم ينقط فيه بالاصبع الوسطى اربعة اسطر من غير عدد بالاسطر من اليسار الى اليمين هكذا

ثم يتتبعه زوجا فزوجا حتى ينتهي الى الآخر فان كان الاخر زوجا اثبته وان بقي فردا اثبته فيثبت ما تحصل من السطر الاول اولاً وما تحصل من الثاني تحته وهكذا حتى تتم الاربعة اسطر فيتحصل منها شكل من الاشكال الستة عشر المتقدمة ومن لم يجد رملا ضرب الخط بفول او حمص وهو انه ياخذ قبضة من غير عدد ويسقطها زوجا زوجا ويثبت الاخير ان كان زوجا او فردا واما تولدات اشكاله واتصالاتها وما يتعلق بها من الاسما والحروف والكواكب والعاقبة وعاقبة العاقبة ونحو ذلك فكله منوط بمؤلفات علم الرمل فلا نطيل الكلام عليها وانما ذكرنا هذه النبذة اليسيرة ليكون للناظر في رحلتنا هذه الالمام بماهية الرمل في الجملة ولئلا تخلو هذه الرحلة عن مثل هذه الفائدة والله عـــــالم

وقد طبع بالحجر هذه النسخة الجليلة المنمقة الجميلة بدار طباعة السيد كَيْنِپْلَيْنْ العامرة الكائنة بمدينة پاريز الباهرة وذلك برسم وخط السيد پَيْرُونْ بنعمة الله وعون وكان طبعه على ذمته ونظره وهمته في سلخ شهر نونبر سنة خمسين وثمانمائة بعد الالف المسيحية والحمد لله في البدء والنهاية ونسأله من الخير بلوغ الغاية امـــــين

« Chose dont la magnificence est admirable, est sublime, chose à laquelle nous croyons, sur la parole révélée par le Koran le livre de la toute sagesse :

« Chose dont le nom est tracé par quatre lettres, en poésie ; rappelle-toi le dans son emploi prosodique et métrique.

« Je m'arrête ici ; j'attends de toi une réponse précise, belle comme le sens du mot de mon énigme. Que Dieu te maintienne dans tes hautes pensées de bien. »

— Page 423, ligne 2. « ... conjugable dans tous les temps. » c'est-à-dire qui a son emploi régulier dans les cas voulus, au refa' et au nasb.

— Page 38, ligne 25, lisez Adnân, au lieu de Adouân.

— Page 47. Dans la lettre de Mohammed Kourra, deux ou trois membres de phrases sont passés : mais ici, de même que dans plusieurs autres endroits du volume, le texte arabe est facile à comprendre, et, pour cette raison, je me dispense, comme je m'en dispenserai ailleurs, de donner la traduction des passages ou membres de phrases omis, ou éliminés à dessein.

— Page 112, ligne 9, au lieu de « Dieu ne t'écouterait pas... » lisez : « Dieu ne m'écouterait pas... »

— Page 119, à la ligne 18, le renvoi à la note F, de la page 425, est omis. Cette note est la traduction du passage ومن عاميته الخ jusqu'aux mots وكان فى شهر رمضان الخ.

— Page 168, ligne 5, après le mot « résistent ! » mettez : « O toi qui disperses les montagnes (et leurs habitants), sans avoir besoin, pour cela, du secours de l'or ! » (Dyouân, administration ; — état ou registre où sont inscrites les troupes stipendiées, &c.)

— Page 176, ligne 9, au lieu de « singulier de doumloudj, » lisez : dont le singulier est doumloudj.

— Page 231 ; les neuf premières lignes ne sont pas en accord avec le texte arabe.

Perron

Novembre 1850.

appartiennent les grandes choses comme choses qui te sont naturelles (et faciles).

« Donne, donne sans cesse. Les productions de ta pensée ce sont autant de perles précieuses que nul ne peut revendiquer. »

— Le logogriphe suivant commence, dans le texte arabe, par :

« Allons ! dis à qui est riche de science, à qui sait y voir et devine facilement le logogriphe, et en découvre le mystère :

« Voyons ! je t'en prie : Quel est le mot de trois lettres... &c

. . . .

« Par la transposition de ses lettres tu peux, regarde bien composer trois mots ; c'est chose vraiment remarquable.

« Savoir : un qui a deux sens &c. »

— Page 422, ligne 3 :

« Allons ! dis à qui a la perfection et l'intelligence du langage, et à qui le seigneur des cieux a fait don de la science :

« Quel est, je te prie, toi homme d'un esprit supérieur, etc.....

« Elle devient malade, mon cher ami, à mesure que &c. .....

« ..... synonime de ghadâ (le matin) ; sois intelligent et pénétrant. (Certainement tu me comprends, tu m'as deviné.)

« Il suffit (j'en ai dit assez), je me suis assez expliqué ; donne-moi la solution. Du reste, le mot est dans notre sainte révélation (le Koran). Réfléchis un moment. J'ai fini. »

— Voici encore un de mes logogriphes ; il est sur le mot semâ, le ciel :

« O toi qui t'es élevé au ciel de la science et de la sagesse, toi dont la générosité descend sur les hommes comme la pluie des nuages,

« Devine nous quel est le nom de la chose dont l'aspect est pur et clair, dont la beauté est passée en proverbe chez les arabes et chez les barbares,

« Chose immensément élevée, qui n'aurait asile que ceux qui aiment celui dont la puissance a créé les zéphirs ;

« Chose à laquelle appartiennent les flambeaux étincelants qui nous guident dans les ténèbres de la nuit ;

ter, j'étais inquiet de mon dénûment absolu.»

— Note C, se rapportant à la page 28, et placée à la pag. 420 «... réviseur des traductions à l'école vétérinaire fondée auprès de l'école de médecine par le Souverain, prince du bonheur (Mohammed Aly). Voici le logogriphe :

« Dis-moi, mon cher Kettâb, maître (accapareur, kettâb) en science et en piété, toi qui es un océan des connaissances qui sont si douces et si agréables aux hommes,

« Voici un mot &c. — Au quatrième vers : « Il a un synonime &c.» — Au 7.e vers : « Et bien entendu, mon cher ami, tous ces mots &c.» — Au 8.e vers : «... j'en suis sûr, toi intelligence remarquable de notre époque; je te demande donc quel est le mot (de mon logogriphe).»

— Page 421, ligne 6 : « Maintenant donne-moi le mot de l'énigme; ne te laisse pas demander, mon vertueux ami, la solution (car je suis sûr que tu la tiens).»

Dans la réponse du cheykh Moustafa Kettâb, les cinq premiers vers et les deux derniers ont été retranchés presque en entier :

« Toi, homme de science et d'esprit, aimé de tous pour tes vertus, tes qualités, tes talents,

« Toi qui par ton profond savoir es connu à l'Orient et à l'Occident, tu nous surprends par l'aisance de tes vers.

« Et pourquoi n'en serait-il pas ainsi ? Mon ami, en effet, a tout l'art des poètes; il a à ses ordres ce qui échappe et manque à tous.

« Certes ! ni Kious, ni Imrou-l-Kays n'auraient pu jadis mesurer un langage qui, à l'égal du sien, eût ému et enflammé les désirs des amants.

« Tes vers me sont venus comme un doux zéphir. Qui prétendrait en pouvoir composer de pareils, serait certainement un menteur.»

Les deux derniers vers sont :

« Voilà le mot de ton logogriphe, mon cher Mohammed El-Tounsy, toi le guide et le modèle des hommes, toi à qui

Observations.

J'étais encore en Egypte lorsque Mr. Jomard publia la traduction de ce voyage, que je lui avais envoyée. Il parut à propos de retrancher quelques longueurs, deux ou trois passages trop lestes, des répétitions, des expressions synonimiques, qui plaisent aux arabes et que le lecteur français réprouve. Je rétablis ici le plus important, afin d'être utile aux arabisants encore peu versés dans les études arabes. Certaines inexactitudes de concordance entre le texte et la traduction qui d'ailleurs a été imprimée ainsi surtout en vue du public, seront facilement appréciées par les arabisants spéciaux.

Dans ma traduction, j'ai relégué à la fin du volume, sous le titre de notes, les digressions qui interrompent trop longuement le récit. Dans le texte arabe, je les ai laissées à leur place, afin de présenter la relation originale telle qu'elle est.

— Aux notes et éclaircissements, page 405, ligne 19, avant les mots « En Egypte &c. », doit être restitué le passage suivant:
« Abou-l-Câcem El-Haryry a raison de condamner les pièces d'or comme chose inutile si celui qui les possède ne les fait pas circuler:
« C'est un mal attaché à la nature même des pièces d'or,
« Qu'elles ne servent, dans les moments de nécessité et de péril,
« Que quand elles fuient de ta main comme un esclave qui s'échappe.
« Honneur à toi qui sais (les dépenser et) les jetter par-dessus les monts!
« Honneur à toi si, tes dinâr te chuchotant leurs cajoleries à l'oreille,
« Tu leur dis résolument et sans détour:
« Je ne veux pas de votre intimité; filez. »
A Tunis est en usage ce dicton populaire: « Mets de l'or à la gueule du malheur, tu le fais taire. » En Egypte &c.

— Page 23 du texte français, ligne 18, au lieu de: « J'étais réduit &c. » il faut: « Je ne savais où trouver de quoi subsis

صفحة	سطر	خطا	صواب
٣٤	٩	وضعها	وضعها على
٤٠	١٦	تعرّب	تغرّب
٤٣	٢	جاز	حاز
٤٥	٣	رلت	زلت
٤٦	٢	خرجنا	ضربنا
٥١	١٧	فرس	فارس
٥٣	٩	كتيرون	كثيرون
٥٣	٩	الجارحين	الخارجين
٥٤	١٥	تجابوا	تحابوا
٥٩	١	عليه	على
٦٥	١٤	بعيد	بعيدا
٦٩	١٠	معنًا	معنى
٦٩	١٤	مجونا	مجوت
٧٣	١٧	صنعتما	صنعتما
٧٦	٩	ترتينب	ترتيب
٧٧	٩	قلوا	قولوا
٧٧	١٣	في	وفي
٧٧	١٤	النتيياس	السياس
٧٨	٩	منْ	من
٧٩	٩	محمد	احمد
٨٠	١٣	فلملسمع	فلما سمع
٩٦	١	فلامرة	فلاموة

صفحة

صفحة	سطر	خطا	صواب
٩٦	١٥	اميما	امينًا
١٠٦	١٣	حله	تحله
١٠٩	١٧	يذب عنهم	يذب عنهم عند السلطات كلما وقع منهم امر مع اعدائهم من القبائل الاخر
١٢٠	٢	اقوى	اقوى
١٣٠	١٣	وداراباديما	وداراباديما انما كانت مساحتها نحو عشرة ايام لان اباديما يحكم على اثنى عشر ملكا كل ملك له ايالة مستقلة وبلجا
١٣٧	١	يتعرص	يتعرض
١٤٣	١٦	التفتن	التفنن
١٤٤ و١٤٥	١٤	امحب	اعجب
١٤٥	٥	كال	كال
١٤٥	٩	كجتى	كِنِّي
١٥٣	١٠	لغطوا	لفظوا
١٥٧	١٠	مريص	مريض
١٥٨	١	الناس	اناس
١٦١	١٢	خوجه	جوخه
١٦٣ و١٧٢	١١ و٣	بعص	بعض
١٧٩	٣	عاليااما	عاليا
١٨٧	٥	يحافطون	يحافظون
١٩٢	٨	الصفر	الصغر
١٩٦	١	نوافخ	نوافج

